

# مجلة العلوم الشرعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الحادي والخمسون

ربيع الآخر ١٤٤٠هـ



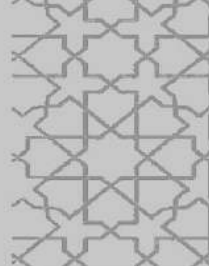
www.imamu.edu.sa  
e-mail : islamicjournal@imamu.edu.sa



رقم الإيداع: ٣٥٦٤ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩ هـ  
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤٢٠١ - ١٦٥٨



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



المشرف العام

**الدكتور / محمود بن سليمان آل محمود**  
مدير الجامعة المكلف  
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

**الأستاذ الدكتور / إبراهيم بن محمد قاسم الميمن**  
الأستاذ في المعهد العالي للقضاء

مدير التحرير

**الدكتور / أحمد بن عبد الرحمن الرشيد**  
الأستاذ المشارك في قسم أصول الفقه بكلية الشريعة

## أعضاء هيئة التحرير

- أ. د. إبراهيم مصطفى آدي  
قسم الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي في نيجيريا
- أ. د. سعيد عبد الله حارب  
نائب مدير جامعة الإمارات لشؤون المجتمع
- أ. د. عبد العزيز بن عبد الله الهليل  
الأستاذ في قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين  
وكليل الجامعة للموارد البشرية
- أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس  
الأستاذ في قسم الفقه المقارن - كلية الشريعة والقانون بالقاهرة جامعة الأزهر
- د. علي بن محمد السويلم  
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
- د. خالد بن راشد العبدان  
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة - المعهد العالي  
للدعوة والاحتساب
- د. هشام عبد العزيز محمد الشرقاوي  
عمادة البحث العلمي - أمين تحرير مجلة العلوم الشرعية



## قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :  
**أولاً : يشترط في البحث ليُقبل للنشر في المجلة :**

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

### ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4) .
- ٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .
- ٤- يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة ..

## ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
  - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
  - ٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
  - ٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً:** عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً:** عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً:** تُحكّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً:** تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً:** لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- تاسعاً:** يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلآت من بحثه .
- عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم الشرعية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ ( فاكس ) ٢٥٩٠٢٦١

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

**E.mail: islamicjournal@imamu.edu.sa**

## المحتويات

١٣	نظرية (الظاهر والباطن) عند الصوفيّة وعلاقتها بظاهرة الغموض والكتمان لديهم دراسة في الشّأة والمفاهيم والأسباب والنتائج د. بدر بن ناصر بن محمد العواد
١٢٣	جماعات التكفير نشأتها وأصولها الفكرية دراسة عقدية نقدية د. كمال عبد العال تمام عبدالعال
٢٠٥	الآية الكبرى على ضلال مؤلف حماسة البشرى للعلامة أحمد بن إسماعيل البرزنجي (ت ١٣٣٥هـ) -دراسة وتحقيقاً د. عبدالملك بن مرشود العتيبي
٣٣١	اختلاف الرواة في حديث أبي هريرة ؓ في البحر ودراسة طرقه وعللها د. طارق بن عودة عبدالله العودة
٣٧١	احتساب النبي ﷺ مراتبه، درجاته، ثمّراته د. محمود بن عبد الهادي دسوقي علي العزاوي



نظريّة (الظاهر والباطن) عند الصوفيّة  
وعلاقتها بظاهرة الغموض والكتمان لديهم  
دراسة في النشأة والمفاهيم والأسباب والنتائج

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة  
جامعة القصيم



نظريّة (الظاهر والباطن) عند الصوفيّة  
وعلاقتها بظاهرة الغموض والكتمان لديهم  
دراسة في النشأة والمفاهيم والأسباب والنتائج  
د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم

تاريخ قبول البحث: ١٤٢٩/٧/٩هـ

تاريخ تقديم البحث: ١٤٢٩/٢/٢٠هـ

### ملخص الدراسة :

تتناول هذه الدراسة نظريّة (الظاهر والباطن) عند الصوفيّة والتي تُعدّ واحدة من أهمّ وأخطر النظريّات التي يقوم عليها البناء المعرفي عندهم، وقد وجدنا أنّ الطّريق التي مهّدت لظهورها هي تلك الخلوات التي كان يلجأ إليها الصوفيّة للبعد عن بهرج الحياة وصخبها، ثمّ أسهمت عدّة عوامل ومؤثّرات داخلية وخارجية لتتلور في شكل نظريّة فلسفيّة متكاملة، فقد نتج عن احتفاء القوم بالواردات القلبية واعتقادهم بها أن زهدوا وزهدوا في علوم الشريعة، وخوفاً من إنكار العلماء عليهم وتنكر العوامّ لهم لجأوا إلى عدّة حيل، مثل الترويج لتقسيم الدّين إلى (شريعة) و(حقيقة)، و(ظاهر) و(باطن)، وادّعاء أنه لا تعارض بينهما البيّنة مع أنّ الواقع على خلاف ذلك بالكلية.

وقد نشأ عن تبني هذه التّظريّة ظاهرتان غريبتان هما: (الكتمان) و(الغموض)، فالقوم لا يفترقون عن التّواصي بإخفاء معارفهم ومشاهداتهم عمّن لم يكن من أهل طريقتهم، ثمّ إنهم إذا احتاجوا للكلام تنكبوا درب الوضوح وكسوا عباراتهم بأردية الغموض والهلامية حتى أصبحت اللّغة الإشارية سمة ظاهرة على كتاباتهم، وحتى دخل شيء من كلامهم في حيز الطلسمة المستغلقة باعترافاتهم، وعلى الرّغم من كونهم يبدون أسباباً متفاوتة في تحليل هاتين الظاهرتين إلّا أنّ الصّحيح أنّ السّبب الحقيقي وراءهما هو علمهم بما في اعتقاداتهم من المصادمة الصّريحة للشّرع وخوفهم من أن يؤخّذوا بسيفه كما وقع للحلاج حين صرّح بالقول بـ(الحلول والاتحاد).

وقد رجّحت أنّ القول بـ(وحدة الوجود) هو السّرّ الأعظم الذي يُصّرّ القوم على عدم البوح به، كما أوردت دلائل بطلان هذه التّظريّة المشؤومة، ثمّ ختمت بذكر الآثار المترتبة على تبنيها.





## المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، وَمَنْ يَضِللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :

فإنَّ نظريّة (الظاهر والباطن) من أهمّ النظريّات الفلسفيّة التي توارد عليها الصوّفيّة في القديم والحديث، ولم تزل تتغلغل مع مرور الوقت في مفاصل الفكر الصوّفي وتتمازج معه حتى أصبحت إحدى الركائز الأساسيّة واللّبنات الكبرى في بنائه المعرفي، بل صارت جزءاً لا يتجزأ من ماهيّته على اختلاف مدراسه واتجاهاته، بحيث لا يمكنه أن يتنفّس إلّا بواسطةها ولا أن يتمدّد إلّا من خلالها، إذ أنها تضمن له مكاناً في دائرة القبول المجتمعي، كما تحميه بما تُمدّه به من قُدرة مطلقة على التّلوّن بحسب الطّروف المحيطة.

ومكمن الخطورة فيها هو أنها تنتهي في جوهرها إلى تعطيل نُصوص الوحي وتسويغ الخروج عن ناموس الشّريعة.

وقد تولّد من عمل الصوّفيّة بموجبها أمرٌ غريب تنضح به كتاباتهم وقصائدهم، وهو ظاهرة الغُموض التي يُغلّفون بها أفكارهم عن قصد، ثمّ ذلك الإلحاح المستمرّ على الكتمان والسّريّة!

ولمّا كانت هذه النّظرية تتعارض بصورة تامّة مع صرائح الأدلّة ومقاصد الرّسالة إذ الشّريعة إنّما جاءت بالتّعويل على الظّاهر والعمل به والمؤاخذة عليه، كما يترتّب عليها من المفاصد الكلّية والجزئية ما قد يستوجب في أحيان كثيرة كفرَ العبد وانخلاعه من دينه أثرتُ أن أسلّط الضّوء عليها بالبحث في مفهومها، والكشف عن مظاهرها وتجلياتها، ومحاولة تتبّع امتداداتها والوقوف على آثارها.

### خُطّة البحث:

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. على الوجه الآتي:  
مقدمة.

المبحث الأوّل: نظرية الظاهر والباطن عند الصوّفية.

المطلب الأوّل: نشأة نظرية الظاهر والباطن في الأوساط الصّوفيّة وتطورها.

المطلب الثاني: مفهوم العلم الباطن، ومكانته، وطريقة تحصيله.

المطلب الثالث: أدلّة الصّوفيّة على القول بالباطن.

المبحث الثاني: علاقتها بظاهرة الكتمان والغموض لديهم، وسبب ذلك.

المطلب الأوّل: ظاهرة الغموض.

المطلب الثاني: ظاهرة الكتمان.

المطلب الثالث: سبب لجوئهم إلى الغموض والكتمان.

المبحث الثالث: بطلان هذه النّظرية والآثار المترتبة عليها.

المطلب الأوّل: بطلان هذه النّظرية.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة عليها.

## منهج البحث:

١. عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. توثيق الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بمجرد العزو، وإن كان في غيرهما خرّجته.

٣. توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

٤. ترك التعريف بالأعلام والأماكن ونحوهما؛ لأنّ الأصل في مثل هذه البحوث أنها موجهة للمتخصّصين، كما أنّ ذلك سيؤدّي إلى الإطالة وهو ما يتنافى مع ما تفرضه طبيعة هذه البحوث ومتطلبات النشر.

٥. تحديد سنة الوفاة عند مرور الأعلام للمرّة الأولى ما لم يكن الواحد منهم صحابياً أو حياً أو ذُكر عرضاً في سندٍ أو خبر أو قصة.

## الدراسات السابقة:

على الرغم من خطورة هذه النظرية الصوفية وما تولّد عنها من نتائج وترتّب عليها من آثار إلا أنني لم أجد أحداً من المعاصرين أفردوا بالدراسة.

## المبحث الأول:

نشوء هذه النظرية ومفهومها عند الصوفية.

المطلب الأوّل: نشأة نظرية (الظاهر والباطن) في الأوساط الصوفية وتطورها.

من العسر جداً على الباحث — أيّاً كان — أن يحدّد وقتاً معيناً لبداية التّصوّف أو أن يؤرّخ على وجه الدّقة لنشأة أفكاره وتشكّل مدارسه وتطور نظريّاته؛ ذلك أنه لم يقم على يد واحدٍ بعينه قعد له ووضع أصوله ورسم معالم منهجه، وإنما بدأ على شكل نزعات واجتهادات فردية هنا وهناك لا يجمع بينها شيء سوى الزّهد، وبالتالي فقد كان منذ تجلّياته الأولى اتّجهاً

هلامياً غير محدد الضوابط ولا مُقيّد بمرجعية معيّنة، وظلّت مفاهيمه تتأسّس ونظريّاته تتطوّر في حركة دؤوبة دوغما توقّف بحسب التجارب الوجدانيّة والكشوف العرفانيّة لأهله، "كما دخل فيه أقوامٌ ببدعٍ وفُسُوقٍ وإلحادٍ"<sup>(١)</sup> مما نتج عن هذا كلّهُ تفاوتٌ كبيرٌ في المقولات والآراء حتى في الزّمن الواحد أحياناً، بالإضافة إلى انعدام المصنّفات وقلّتها في مراحل كثيرة وخصوصاً في المراحل المتقدّمة.

غير أنّ من المؤكّد أنّ التّصوّف كان في بداياته الأولى (أي: في منتصف القرن الثّاني تقريباً) لوناً من ألوان الزّهد يفرّبه العابد من الدّنيا وزخرفها، بعدما صُبغت حياة النّاس الاجتماعيّة بمظاهر الرّفاهيّة والبذخ جرّاء الفتوحات الإسلاميّة العظيمة التي سهّلت تدفّق الخيرات من كلّ مكان، فانغمس كثيرٌ منهم آنذاك في التّهتُّك والمجون والبحث عن الملذّات وتحصيل المتّع بأيّة وسيلة.

وفي ظلّ هذه الطّروف بدأت بوادر نوع جديد من الزّهد بالظهور خُلط فيه المشروع بغير المشروع، وهو ما يمكن تسميته بـ(النّسك الأعجمي)<sup>(٢)</sup>، وفيه من الغلوّ في التّأله والمبالغة في تحمّل المشاقّ والتّنتطح في الورع ما يخالف الهدى النبويّ، ف"قد كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم ينهى عن التّعسير ويأمر بالتيسير، ودينه الذي بُعثَ به يُسرّ...، ولم يكن أكثر تطوُّع النّبيِّ صلى الله عليه وسلم وخواصّ أصحابه بكثرة الصّوم والصّلاة، بل ببرّ القلوب وطهارتها وسلامتها وقوّة تعلقها بالله خشيةً له ومحبةً وإجلالاً وتعظيمًا ورغبةً

(١) الرّدّ على المنطقيّين (٥١٦) بتصرف يسير.

(٢) انظر: المجالسة وجواهر العلم (٣٩٦)، التمهيد لابن عبد البرّ (٢٠٩/١٤).

فيما عنده وزهداً فيما يفنى"<sup>(١)</sup>.

وعوداً على بدء فقد آثر جماعةً من الزُّهَّاد — وخصوصاً زهَّاد البصرة — اعتزالَ الحياة العامَّة بصورة تامَّة وعدمَ المشاركة في أيِّ من نشاطاتها تحت غطاء "نسيانِ الدُّنيا ونسيانِ أهلها"<sup>(٢)</sup>، مفضِّلين الانزواءَ في خلواتهم والانشغال بالعبادة فقط باعتبارها الحكمة العظمى من إيجاد الخليقة<sup>(٣)</sup>.

وأنت حين تمرّ عليك — على سبيل المثال — أخبارٌ من ذهب عقله عند سماع آيةٍ أو أكثر من كتاب الله أو صُعب أو مات<sup>(٤)</sup>، أو خبر من "مكث ثلاثين سنةً لم يضحك، وأربعين سنةً لم يمزح"<sup>(٥)</sup>، أو يطرق سمعك قولٌ أحدهم - : "لا يبلغ الرَّجُلُ منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب!"<sup>(٦)</sup> وقول الآخر - : "من تزوج أو كتب الحديث أو طلبَ

---

(١) لطائف المعارف (٢٥٤) بشيء من الاختصار.

(٢) شُعَب الإيمان (٣٥٦/٦)، تاريخ مدينة دمشق (١٣/٥١)، تاريخ الإسلام (١٥٤/٢٧).

(٣) انظر: تلبس إبليس (٢٠٢)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/١١)، مقدِّمة ابن خلدون (٤٦٧)، التَّصَوُّف: المنشأ والمصادر (٤٤)، المذاهب الصُّوفية ومدارسها (٢١).

(٤) انظر: إحياء علوم الدِّين (٢٩٧/٢)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/١١)، روح المعاني (٢٦٠/٢٣).

(٥) حلية الأولياء (٢٤٠/٨).

(٦) العزلة والانفراد لابن أبي الدُّنيا (١٣٨)، حلية الأولياء (٣٥٩/٢)، سير أعلام النبلاء (١٧٤/٨).

معاشاً فقد ركن إلى الدنيا<sup>(١)</sup> ثم تُقارنها بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأخذك العجب كلَّ مأخذ، وتدرك حينئذ أنك أمام منحنى جديد لمفهوم الزهد والتعبُّد بدأت ملامحه الأولى بالظهور والتشكُّل.

وعلى كلِّ ففي تلك الخلوات المفعمة بالسكينة كان القوم يقطعون أوقاتاً طويلة لا همَّ لهم سوى الاشتغال بمجاهدة النفس، فألسنة تلهج بالذكر، وعقول تغوص في بحار التَّفكُّر، وأرواح تغيب في ملكوت الله العظيم، وقد وصف الجنيد بن محمد (٢٩٧هـ) نفوس هؤلاء بأنَّ "أنيستها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر"<sup>(٢)</sup>، وكان بعضهم يقول -: "ربما مكثتُ خمسَ ليالٍ لا أقرأ بعد الفاتحة بآيةٍ واحدة أتفكّر في معانيها، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل، فسبحان من يرده بعداً!"<sup>(٣)</sup>.

وكان من الطبيعيّ في مثل هذه الأحوال أن تخطر في قلب الواحد منهم بعضُ المعاني التي لم تكن مألوفةً له من قبل، مما جعل كثيراً منهم يحرصون على هذه الخلوات باعتبار أنّ ما يتولّد عنها من الخواطر القلبية هو نور يقذفه الله في قلب العارف، ذلك أنّ "الفيض الإلهيّ والمبشّرات ما سدّ بأبها، وهي من أجزاء النبوة، والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع، والله يهرول لتلقّي من أتى إليه يسعى"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو طالب المكيّ (٣٨٦هـ) -: "كانوا عنده في الخلوة بين يديه لا

(١) قوت القلوب (١/٢٩٦).

(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٦٣).

(٣) البداية والنهاية (١٠/٢٥٦).

(٤) الفتوحات المكيّة (١/٢٨٠).

يذكرون سواء ولا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله تعالى رُشدَهُم ووقفَهُم لسديد قولهم، وآتاهم الحِكمةَ مِرآئًا لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصّافية وعقولهم الزّاكية وهمهم العالية، فأثرهم بحسُن توفيقه أن ألهمهم حقيقة العلم، وأطلعهم على مكنون السّرّ حين آثروه بالخدمة وانقطعوا إليه بحسن المعاملة"<sup>(١)</sup>.

ويؤكّد أبو سليمان الدّاراني (٢١٥هـ) العلاقة الوطيدة بين الخلوّة وتقليب الفِكرة بقوله - : "التّمسُّ وجوه الفِكرة في الخلّوات"<sup>(٢)</sup>، ويوافقه على ذلك ابنُ عطاء الله السّكندري (٦٥٨هـ) حيث يقول - : "ما نفع القلبَ شيءٌ مثلُ عزلةٍ يدخل بها ميدانَ فِكرة"<sup>(٣)</sup>.

وفي نصّ مهمّ ومتقدّم تُشير رابعةُ العدويّة (١٣٥هـ) إلى ما يربّ به العابدُ في خلّوته من مراحل تنتهي إلى انشغاله بالفكر عن الطّاعة فتقول - : "المحبّة عندي لها أولٌ وآخر، فأولّها لهجُ القلب بذكر المحبوب، والحزنُ الدائم، والتّشوقُ اللّازم، فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدانُ الخلّوات عن كثيرٍ من أعمال الطّاعات"<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا يمكن أن نفهم سرّ تعلقهم بالخلّوات وتنويعهم بأهميّتها، فحين سئل الحارثُ المحاسبيُّ (٢٤٣هـ) عن علامة الأُنس بالله قال - : "الفرار إلى

(١) قوت القلوب (١/٢٣٢).

(٢) حلية الأولياء (٩/٢٦٦).

(٣) الحِكم العطائيّة بشرح ابن عبّاد النّفري الرّندي (٤٨).

(٤) حلية الأولياء (٩/٣٤٨).

مواطن الخلوات، والتفرد بعذوبة الذكر<sup>(١)</sup>، ومثله ذو النون المصري (٢٤٥هـ) الذي لم يفتر عن التنويه بها فيقول: "ثلاثة من أعمال الأنس بالله: استلذاذ الخلوة، والاستيحاش من الصُّحبة، واستحلاء الوحدة"<sup>(٢)</sup>، ويقول أيضاً: "من أحبَّ الخلوة فقد تعلقَ بعمود الإخلاص، واستمسكَ بركنٍ كبير من أركان الصدق"<sup>(٣)</sup>.

ولم يعد غريباً في تلك المرحلة — فضلاً عما بعدها — أن يوصف الواحد منهم بكونه "يحبُّ الخلوة ويأنس إلى الوحدة!"<sup>(٤)</sup>، وأنه رُزق فيها فتوحاتٍ عظيمة لا يمكن إحصائها<sup>(٥)</sup>.

ومن الجدير بالتنبيه أن متقدمي الصوفية وإن كانوا متفقيين على الاحتفاء بتلك الخواطر من جهة المبدأ ومن حيث الجملة إلا أن مشايخ الاستقامة منهم لم يكونوا يستعجلون في قبولها كما هو شأن الأكثرين، وإنما كانوا يتوقفون في قبولها حتى يجدوا ما يؤيدها من نصوص الوحي كما قال أبو سليمان الداراني: "ربما تقع في قلبي التُّكئة من نُكَّت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة"<sup>(٦)</sup>، وقال أيضاً: "ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن

(١) المصدر السابق (١٠٧/١٠).

(٢) المصدر السابق (٣٤٢/٩).

(٣) حلية الأولياء (٣٧٧/٩).

(٤) المصدر السابق (١٨٠/١٠).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/٢)، شذرات الذهب (٣١٧/٦).

(٦) طبقات الصوفية للسلمي (٧٦)، تاريخ مدينة دمشق (١٢٧/٣٤).



يفعله حتى يَسْمَع فيه بأثر، فإذا سَمِع فيه بأثر كان نوراً على نور" (١)، وقال أبو عمرو إسماعيلُ بن نُجيد (٣٦٦هـ) - : "كلُّ وجِدٍ لا يشهد له الكتاب والسُّنة فهو باطل" (٢).

ومردّ صنيع هؤلاء هو علمُهم بأنّ العصمة لا تكون إلّا فيما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم، وأمّا ما يقع لهم ولغيرهم من السّوانح والواردات "ففيه صواب وخطأ، وإنما يُفرّق بين صوابه وخطئه بنور التّبوّة" (٣). وهذا الذي ذكرناه عنهم إنّما هو خطوات البداية في طريق التّيه الطّويل.

قال ابنُ الجوزيِّ (٥٩٧هـ) — متحدّثاً عن أوائل الصّوفيّة --: "لبس إبليسُ عليهم في أشياء، ثمّ لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلّما مضى قرنٌ زاد طمعه في القرن الثّاني، فزاد تليسه عليهم إلى أن تمكّن من المتأخّرين غاية التّمكّن.

وكان أصلُ تليسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أنّ المقصود العمل، فلمّا أطفأ مصباح العلم عندهم تحبّطوا في الظّلّمات، فمنهم من أراه أنّ المقصود من ذلك ترك الدّنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خُلِقَ للمصالح، وبالغوا في الحمل على النّفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع.

وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادّة، وفيهم من كان

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٠/٦٩٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١١/٢١٠). وانظر للاستزادة: روح المعاني (١٦/١٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٩). وانظر: أضواء البيان (٣/٣٢٤).

لقلّة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعية وهو لا يدري.  
ثم جاء أقوامٌ فتكلّموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات  
وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبى، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التّصوّف  
وأفردوه بصفات ميّزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسّماع والوجد  
والرقص والتّصفيق وتميّزوا بزيادة النّظافة والطّهارة، ثمّ ما زال الأمر ينمي  
والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلّمون بواقعاتهم ...<sup>(١)</sup>  
والمقصود أنّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ وإنما أخذ في التطوّر شيئاً فشيئاً  
في خطّين متوازيين:

**الخطّ الأوّل:** تعظيم شأن الواردات القلبية باعتبارها جوهر العلم وحقيقته  
المتلقاة عن الله عزّ وجلّ مباشرة.

- وقد أسهمت عدّة عوامل في دفع العجلة في هذا الاتجاه، ومنها ما يلي:
- ١ - إحساس الصّوفيّة بالاختصاص في تأتّي تلك الواردات، وامتناعها  
عن غيرهم من طلاب علم الشريعة على الرّغم من حرصهم واجتهادهم؛  
مما أوجب تعظيمها والفرح بها والسّعي في تطلّبها.
  - ٢ - ظنّهم أنّ تلك الواردات فيوض عرفانية يمين الله بها على السّالكين  
من باب الكرامة لهم؛ جرّاء تلك المجاهدات التي كانوا يقومون بها.
  - ٣ - ما كان يراه بعضُهم في تلك الخلوات من خيالاتٍ ويسمعه من  
مخاطبات يظنّها من الملائكة، كما قال أبو حامد (٥٠٥هـ) -: "ومن أوّل  
الطّريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون

(١) تلييس إبليس (٢٠٢).

الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائده"<sup>(١)</sup>. وهذا بطبيعة الحال مما لا حقيقة له، وإنما الشأن كما قال الفخر الرازي (٦٠٦هـ) -: "إنّ الإنسان إذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فرمى صار بحيث كأنه يسمع في داخل قلبه ودماغه أصواتاً خفية وحروفاً خفية، فكأنّ متكلماً يتكلم معه ومخاطباً يخاطبه، فهذا أمرٌ وجداني يجده كلُّ أحد من نفسه"<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما تكون هذه المشاهدات والمخاطبات ليست إلّا هلوسات نتجت عن إجهاد النفس بالجوع المفرط وحرمانها من النوم لأوقات طويلة<sup>(٣)</sup>، كما قال الحافظ الذهبيّ (٧٤٨هـ) -: "قلّ من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلّا واضطربَ وفسد عقله وجفّ دماغه، ورأى مرأى وسمع خطاباً لا وجود له في الخارج"<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً - في معرض حديثه عن ابن عربيّ --: "هذا الرّجل كان قد تصوّف وانعزل وجاع وسهر، وفُتِحَ عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة، فاستحكم به ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنّها موجودةً في الخارج، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله، ولا وجود لذلك أبداً في الخارج"<sup>(٥)</sup>.

(١) المنقذ من الضلال (١٧٨).

(٢) التفسير الكبير (٧٨/١).

(٣) انظر: تلبيس إبليس (٢٠٣) و(٢٠٧) و(٤٦٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٧).

(٥) تاريخ الإسلام (٣٧٧/٤٦).

ولمّا سُئل عَضُدُ الدِّينِ الإِيْجِيُّ (٧٥٦هـ) عمّا في كتابِ الفُتُوْحَاتِ المَكِّيَّةِ من الطَّوَامِّ قال:- "أفتطمعون من مغربيّ يابسٍ المزاجِ يحرّ مكّةً ويأكل الحشيشَ شيئاً غيرَ ذلك؟!"<sup>(١)</sup>.

ومن أخطر الآثار التي تولّدت عن ظاهرة الولوج بالواردات وهو اجس النفوس أن أعرض القومُ شيئاً فشيئاً عن علم الشريعة بالكليّة، وزهدوا الناس فيه ونفروهم عن التّشاغل بتحصيله؛ بدعوى أنّ ثمة طريقاً أقصر وسنّداً أوثق للتلقّي عن الله، فما الحاجة إلى التّطويل وبالإمكان الأخذ عنه مباشرة؟! ولهذا أثر عنهم أنهم كانوا يقولون -:"حدّثني قلبي عن ربّي"<sup>(٢)</sup> و"أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت، وأخذنا عن الحيّ الذي لا يموت"<sup>(٣)</sup> و"ليس العالم الذي يحفظ من كتابٍ فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنّما العالم الذي يأخذ علمه من ربّه أيّ وقتٍ شاء بلا حفظٍ ولا درس"<sup>(٤)</sup>، و"من غير تعبٍ ولا نصبٍ ولا سهر" على حدّ قول ابن عربيّ في رسالته للفخر الرّازي<sup>(٥)</sup>.

ولا ريب بأنّ هذا كسل ذهنيّ وبطالة تحصيليّة، وهو ما كان يُشير إليه الإمام الشّافعي (٢٠٤هـ) بقوله -:"أسّس التّصوّف على الكسل"<sup>(٦)</sup>.  
هذا من جهة.

(١) مصرع التّصوّف (١٨٢).

(٢) تلبّيس إبليس (٣٩٠)، إغاثة اللّهفان (١/١٢٣).

(٣) الفتوحات المكيّة (١/٢٨٠)، إغاثة اللّهفان (١/١٢٣)، فتح الباري (١/٢٢٢).

(٤) إحياء علوم الدّين (٣/٢٤).

(٥) الطّبقات الكبرى (١/١٤).

(٦) حلية الأولياء (٩/١٣٧).

ومن جهةٍ أخرى فلا ريب أنّ فتح الباب أمام السّالّكين للاشتغال بعلم الشريعة سيُظهر ما عليه شيوخُهم من الجهل؛ لأنّ بضاعتهم مُزجاةٌ لا تنفّق إلّا بين الجهال<sup>(١)</sup>، وسيكشف ما هم عليه من الضّلال في الفرح بتلك الواردات وتعظيم شأنها، ومن ثمّ فقد رأوا أنه لا بدّ من إغلاق باب المعارضات بالتّفسير منه، وهذه قاعدة مطّردة لدى أهل البدع كما قال الأوزاعي (١٥٧هـ) - : "ليس من صاحب بدعةٍ تُحدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف بدعته بحديث إلّا أبغضَ الحديث"<sup>(٢)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحدّ بل ربّما زهد القوم في تعلّم القراءة والكتابة مطلقاً "بُحجة أنّ النبيّ كان أمياً لم يتعلّم من صحيفة ولا كتاب"<sup>(٣)</sup> مع أنه أشرف الخلق وأعلمهم برّبّه، وقد رواوا عن الجُنيد أنه قال - : "أحبّ للصّوّفيّ أن لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه أجمع لهمه"<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة (٧٢٨هـ) - : "وأهل العبادات البدعيّة يُزيّن لهم الشيطان تلك العبادات ويُبغض إليهم السُّبُلَ الشرعيّة حتى يُبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يُحبّون سماع القرآن والحديث ولا ذكّره، وقد يُبغض إليهم حتّى الكتاب، فلا يُحبّون كتاباً ولا من معه كتاب ولو كان مصحفاً أو حديثاً!"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تاريخ الإسلام (١٣٠/٣٦).

(٢) شرف أصحاب الحديث (٧٣).

(٣) نظريّة الأخلاق والتّصوّف عند أبي حيان التّوحيدي (٧٧).

(٤) قوت القلوب (٤٤٣/١).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٤١١/١٠).

وقد ساق الحافظ ابن الجوزي وغيره كثيراً من عجائب الحكايات وغرائب الأقوال والتي تصبّ جميعها في هذا الاتجاه التزهديّ بل التنفيريّ، منها ما جاء عن أبي بكر محمد بن عمر الورّاق (٢٤٠هـ) أنه جعلَ كتابةَ الحديث من الآفات التي تعرض للمريد<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سليمان الدارانيّ أنه جعل طلبَ الحديث من الرُّكون إلى الدّنيا<sup>(٢)</sup>.  
وعن أبي سعيد الكِنديّ أنه قال:- "كنتُ أنزل رباطَ الصُّوفيّة وأطلب الحديث في خُفيّةٍ بحيث لا يعلمون، فسقطت الدّواة يوماً من كُمِّي فقال لي بعضُ الصُّوفيّة: استرْ عورتك"<sup>(٣)</sup>.

وعن جعفر بن محمد الخَلديّ (٣٤٨هـ) - شيخ الصُّوفيّة في بغداد وكبيرهم في زمانه — أنه قال -:- "مضيتُ إلى عبّاس الدُّوري - وأنا حدّثٌ - فكتبتُ عنه مجلساً وخرجتُ، فلقيني صوفيّ فقال أيشِ هذا؟ فأريته، فقال: ويحك! تدع علمَ الخرق وتأخذ علمَ الورق؟! ثم خرّقَ الأوراق، فدخل كلامه في قلبي فلم أعد إلى عبّاس"<sup>(٤)</sup>.

وعن الحسين بن أحمد الصّفّار (٣٧٢هـ) أنّ أبا بكر الشّبليّ (٣٣٤هـ) رأى

---

(١) انظر: الرّسالة القشيريّة (٢/ ٣٥٣). وقد رووا مثله عن الجنيد فانظر: قوت القلوب (١/ ٤٤٣)

(٢) انظر: قوت القلوب (١/ ٢٣٤)، إحياء علوم الدّين (١/ ٦١)، تليس إبليس (٣٥٩).

(٣) تليس إبليس (٣٩٩).

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٧)، تليس إبليس (٣٩٩).

بيده مَحْبَرَةٌ فقال له - : "غَيْبُ سَوَادِكَ عَنِّي ، يكفيني سوادُ قلبي" (١) .

وكان يقول :

إذا طالِبوني بعِلْمِ الوَرَقِ برزتُ عليهم بعِلْمِ الخِرْقِ (٢)

وحين قيل لبعضهم - : "ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق؟ قال :

ما يصنع بالسَّماع من عبد الرزاق مَنْ يسمع من الملك الخَلِّاق؟!" (٣) .

وكان أحدهم إذا سأله إنسانٌ في حاجة يقول له : "اصبرْ حتى يجيءَ

جبريلُ!" (٤) ، وقد زعموا أنَّ "المفتوح عليه - سواءً كان وليًّا أو نبياً - لا بُدَّ له

أن يُشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ، ويخاطبهم ويخاطبونه" (٥) .

ولقد كان غير واحد من متقدِّمي شيوخهم يُحدِّثهم من هذا المسلك الذي

بدأ بالانتشار السَّريع بينهم ؛ لعلمهم بخطورة عواقبه وكارثية مآلاته ، فهذا

سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي (٣٤٥هـ) يوصيهم بقوله - : "يا معشرَ الصُّوفِيَّةِ ، لا

تفارقوا السَّوَادَ على البياض ؛ فما فارق أحدُ السَّوَادِ على البياض إلَّا

تزنديقٌ" (٦) ، ويحثُّهم بقوله - : "اجتهدوا أن لا تلاقوا الله إلَّا ومعكم المحابرُ" (٧) .

---

(١) تلبس إبليس (٣٩٩) .

(٢) المصدر السَّابق (٣٩٠) .

(٣) إغاثة اللِّهفان (١/١٢٣) .

(٤) الأخلاق المتبويَّة (١/٤٥٥) .

(٥) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدَّبَّاغ (٢١٧) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة (١٠/٤١٢) .

(٧) تاريخ الإسلام (٢١/١٨٧) . وانظر للاستزادة في المصدر نفسه : (٢٢/١٢٠) .

**الخطّ الثّاني:** جمع الهمة وتجريد العزم على تطلّب تلك الواردات لذاتها، وذلك عن طريق المجاهدات البدنيّة والرياضات الروحيّة من تقليل النّوم وتجويع النّفس والسّياحة في البراري والاستغراق في الذّكر إلى غير ذلك<sup>(١)</sup>، وهذا عندهم مـ "مّا لا سبيل إليه بالسّماع والتّعلّم، بل بالدّوق والسّلوك"<sup>(٢)</sup>. قال العلّامة ابن خلدون (٨٠٨هـ) - : "ثمّ إنّ قومًا من المتأخّرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراءه، واختلفت طرق الرّياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إماتة القوى الحسيّة وتغذية الرّوح العاقل بالذّكر حتى يحصل للنّفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها"<sup>(٣)</sup>.

ويكمن الفرق في الجملة بين هذه المرحلة وما كان عليه الوضع في بدايات التّصوّف من وجهين:

أ- أنّ الخلوّة كانت لدى أوائل الصّوفيّة وسيلةً لتفريغ القلب من الأشغال وجمعه على عبادة الله تعالى والانقطاع إليه، أمّا في هذه المرحلة فلم تعد الخلوّة وسيلةً للتعبّد وإنما طريقاً للوصول إلى تلك الواردات العرفانيّة التي أصبحت عندهم هي الغاية القصوى من سلوك الطّريق حتى زعموا أنّه كان يُسمَع لخلوة بعضهم دويّ كدويّ النّحل من كثرة الواردات عليه!<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مقدّمة ابن خلدون (١٠٩).

(٢) المتقدّم من الصّلال (١٧٢).

(٣) الفتوحات المكيّة (٢٨٩/١)، مقدّمة ابن خلدون (٤٧٠).

(٤) انظر: لطائف المنن والأخلاق (٥٦٦).



ب- أن متقدّمي الصوفيّة كانوا يحتفون بالواردات القلبية ويعدّونها — في الجملة — عطايا وهبات ربّانيّة، ولكنهم لا يحصرون العلم الحقيقيّ فيها، كما أنهم لا يقبلونها بإطلاق، بل فيهم من لا يقبلها إلّا بشاهدين من الكتاب السنّة على ما سبق بيّأته، وأمّا في هذه المرحلة فقد أصبحت محلّ قبول بالاتفاق وعُدّت هي العلم الحقيقيّ وما سواها فظواهر وقشور.

### المطلب الثاني: مفهوم العلم الباطن، ومكانته، وطريقة تحصيله.

منذ القرن الرابع والقرن بانقسام العلم إلى قسمين: (علم ظاهر) و(علم باطن) يُعدّ من المسلّمات المعرفيّة عند الصوفيّة باختلاف طبقاتهم. وقد ذهب بعضُ الباحثين إلى أنّ هذه النظريّة في حقيقتها إرثٌ شيعيّ تسرّب إلى التّصوّف من التّشيع<sup>(١)</sup>.

واستدلّوا على ذلك بـ "أنّ الشّيعة بجميع فرقها - وخاصّة الإسماعيليّة منهم - يعتقدون أنّ لكلّ ظاهر باطنًا"<sup>(٢)</sup>، وأنّ من الشائع بين الصوفيّة ادّعاء اختصاص عليّ بن أبي طالب بعلوم وإشارات خفيّة لا يُشاركه فيها غيره من الصّحابة، وأنه شيخهم في الأصول إلخ<sup>(٣)</sup>.

كما أنّ الروايات المكذوبة التي تدّعي انفرادَه بعلم خاصّ متداولةٌ بينهم، كحديث - "قُسمت الحكمةُ عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء

(١) انظر: التّصوّف: المنشأ والمصادر (٢٤٣).

(٢) المصدر السّابق (٢٤٣).

(٣) انظر: المصدر السّابق (١٤٩).

والتَّاسُ جزءاً واحداً<sup>(١)</sup>، وحديث:- "إنَّ القرآنُ أنزلَ على سبعةِ أحرفٍ، ما منها حرفٌ إلَّا له ظهرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عنده علمُ الظَّاهرِ والباطنِ"<sup>(٢)</sup>.

والذي يظهر أنَّ هذه الأسباب قد أسهمت بالفعل في تسرُّب هذه التَّظريَّة، لكنها ما كانت لتنجح لولا توفُّر البيئة المناسبة لاستنباتها في جنبات الفكر الصُّوفيِّ، فقد كان تعظيمُ شأنِ الوارداتِ القلبيَّةِ والسَّعيِّ في تحصيلها وتفضيلها على غيرها هو الباب الذي دخلت منه.

ولعلَّ أبا نصر السَّراج (٣٧٨هـ) هو أقدم - أو من أقدم - من نصَّ على هذه القسمة التَّنائيَّة بهذا الاعتبار، حيث أوردتها ودافع عنها وردَّ على المعارضين عليها من سَمَّاهم أهلَ الظَّاهر؛ مما يدلُّ على أنها كانت معروفةً قبله<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في حلية الأولياء (٦٥/١). وانظر الكلام عليه في: العِللُ المتناهية (٢٤١/١)، ميزان الاعتدال (٢٦٦/١).

(٢) أخرجه أبو نُعيم في حلية الأولياء (٦٥/١).

(٣) انظر: اللِّمع لأبي نصر السَّراج (٤٣).

**تنبیه:** ثمة استعمال آخر للفظ (علم الباطن) جرى على السنة بعض أئمَّة الزُّهد في وقت مبكَّر.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في بيان تلبيس الجهميَّة (٢٣٧/١) -: "الصُّوفيَّة العارفون الذين لهم في الأُمَّة لسانٌ صدقٌ إذا قالوا: (علم الباطن) و(علوم الباطن) ونحو ذلك فهم لا يريدون بذلك ما يناقض الظَّاهر، بل هم متفقون على أنَّ من ادَّعى باطناً من الحقيقة يناقض ظاهر الشَّريعة فهو زنديق، وإنما يقصدون بذلك عملَ باطن الإنسان الذي هو قلبه بالأعمال الباطنة كالمعرفة والمحبة والصَّبْر والشُّكر والتَّوَكُّل والرِّضا ونحو ذلك"

ونحن وإن كنا لا نعرف بالتحديد أولَ مَنْ نطق بهذا التقسيم إلا أنّ منزعه واضح، وهو أنهم يعتقدون أنّ كلّ نصّ جاءت به الشريعة سواء تعلق بالعقائد أو بالعبادات أو بالآداب له معنيان أو ظهر وبطن:

المعنى الأول: ظاهرٌ يمكن الوصول إليه من خلال دلالة اللفظ الوضعية أو السياق ونحوهما من قوانين اللغة وقواعد التفسير، وسميَ ظاهرًا "لأنه ظهر للخلق"<sup>(١)</sup>.

فهذا هو الظاهر الذي يُعوّل على ثبوته والعمل بهدياته في الأصل عامّة المسلمين باستثناء من ضلّ، وهدايته الظاهرية موافقة لدلالته الباطنية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -: "أما أهل الإيمان فالباطن الحقّ عندهم موافقٌ للظاهر الحقّ، فما في بواطنهم من المعارف والأحوال وتحقيق التوحيد ومقامات أهل العرفان موافقٌ لما جاء به الكتاب والرسول"<sup>(٢)</sup>.

---

ومن أمثلة ذلك ما نقله الحافظ الذهبيّ في تاريخ الإسلام (٦٢/٧) عن ابن الأعرابيّ (٣٤٠هـ) حيث قال -: "كان عامّةُ نساك البصرة يأتونه [يعني: الحسن البصري] ويسمعون كلامه، وكان عمرو بن عبّيد وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان للحسن مجلسٌ خاصٌ في منزله لا يكاد يتكلّم فيه إلّا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن". وهذا الاستعمال ما زال موجوداً عند الصوفية قديمًا وحديثًا. انظر على سبيل المثال: إحياء علوم الدين (٣/٣).

(١) روح المعاني (٦/١٩٠).

(٢) درة تعارض العقل والنقل (٥/٨٦).

وهذا المعنى هو المسمّى في لسان المتصوّفة بالظاهر وبالقشر، وأهله هم أهل الظاهر، وأهل الشريعة، وعلماء الرُّسوم، وعلماء الوسائط، والعامّة إلى غير ذلك<sup>(١)</sup>.

المعنى الثّاني: باطنٌ لا يرشد إليه اللفظ بأيّ من دلالاته المعتبرة سواءً كانت جليّة أو خفيّة، وإنما هو معنى ما ورائي يفصل بينه وبين المعنى الظاهريّ للتّصوّف مفاوز، فـ"هو العلم الذي فوق طور العقل"<sup>(٢)</sup>، ولهذا تُسبب إلى (الباطن) الذي هو داخلٌ كلّ شيء وجوفه والغامض منه<sup>(٣)</sup>.

وقد بيّن الآلوسي الكبير (١٢٧٠هـ) سببَ هذه التّسمية وهو أنه "باطنٌ بالنّسبة إلى أرباب الأفكار وذوي العقول المنغمسين في أحوال العوائق والعلائق، لا المتجرّدين العارجين إلى حضائر القُدس ورياض الأنوار"<sup>(٤)</sup>، وأشار في موضعٍ آخر إلى أنه "غيرُ ظاهرٍ على أكثر النّاس، ويتوقّف حصوله على القوّة القُدسيّة دون المقدّمات الفكرية"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: تفسير السُّلَمي (٤١٣/١)، الفتوحات المكيّة (٧٧/٢)، تلبّيس إبليس (٣٩٠)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٣٧٩/٢)، مدارج السّالّكين (١٧٣/٣)، الرّدّ على القائلين بوحدة الوجود (١٠٦)، روح المعاني (١٩/١٦).

(٢) اليواقيت والجواهر (٤٦/١).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (٥١)، لسان العرب (٥٥/١٣)، تاج العروس (٢٦٤/٣٤).

(٤) روح المعاني (١٩٠/٦).

(٥) روح المعاني (٣٣٠/١٥).

وقد اختلفت عباراتُ القوم في تعريف (العلم الباطن) غير أنّ مؤدّاهما في النهاية واحد، ومن أشهر تلك التعاريف ما نقله أبو حامد الغزاليّ عن بعضهم من أنه "سرٌّ من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبّابه لم يُطلع عليه ملكاً ولا بشراً"<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى عندهم (أعني: المعنى الثّاني) هو الغاية المقصودة والسرّ المحجوب، ويطلقون عليه علم الباطن، وعلم الحقيقة، والعلم اللدنيّ، وعلم المكاشفة، وعلم الموهبة، وعلم القلوب، وعلم المعارف، وعلم الإشارة، وعلم الأسرار الإلهيّة، والعلم المكنون، وعلم الوراثة، واللّب<sup>(٢)</sup>، وأهلّه في اصطلاحهم هم أهل الحقيقة، وعلماء الحقائق، وأهل العرفان، والخاصّة، والحكماء، وأصحاب الهبة، وورثة الرّسل إلى غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

ولا يخفى ما تحمله جميع هذه الأسماء والنوعت من مضامين تبجيليّة. ونظراً لما يصحب هذا الاسم في العادة من تشييع الفقهاء وذمّهم حاول بعضهم التّملّص من معرّته، فحين تكلم عبد الوهّاب الشّعراي (٩٧٣هـ)

---

(١) إحياء علوم الدّين (٢٤/٣). وانظر للاستزادة: تفسير السُّلّمي (٤١٤/١)، تفسير التّسفيّ (٣١٠/٢)، تفسير البحر المحيط (٣٣٤/٢)، روح المعاني (٢٠/١٦)، أجد العلوم (٤٦٩/٢).

(٢) انظر: الفتوحات المكيّة (٤٤١/٢)، فيض القدير (٤٥١/٢)، اليواقيت والجواهر (٤٦/١)، روح المعاني (١٩٠/٦) و(٣٣٠/١٥) و(١٩/١٦)، أجد العلوم (٣٢٩/٢).

(٣) انظر: الرّسالة القشيريّة (١٣٤/١)، تفسير القشيري (٣٨٣/٢)، الفتوحات المكيّة (٢٧٩/١)، التفسير الكبير (٤/٢)، عمدة القاري (١٨٥/٢)، الرّد على القائلين بوحدة الوجود (١٠٦)، روح المعاني (٢٢٥/٣٠).

عن صعوبة فهم كلام القوم النَّاشئ عن دقة علومهم - بحسب وصفه - قال -  
: "وهذا الذي دعا الفقهاء ونحوهم من أهل الحِجَاب إلى تسمية علم الصُّوفِيَّة  
بعلم الباطن، وليس ذلك بباطن إذ الباطنُ إنما هو علم الله تعالى، وأمَّا جميع  
ما عَلِمَهُ الخلقُ على اختلاف طبقاتهم فهو من علم الظَّاهر؛ لأنَّه ظهر  
للخلق"<sup>(١)</sup>، غير أنَّ هذا الادِّعاء ضربٌ في حديد بارد! فجريانُ لفظ (علم  
الباطن) على ألسنة القوم وتعظيمهم لشأنه وتعويلهم عليه أكثر من أن  
يُحصر، وأشهر من أن يُنكر.

قال أبو حامد الغزالي -: "اعلم أنَّ انقسام هذه العلوم إلى خفيَّة وجليَّة لا  
ينكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقَّفوا في أوائل الصِّبَا شيئاً  
وجمدوا عليه، فلم يكن لهم ترقُّ إلى شأو العُلا ومقامات العلماء  
والأولياء"<sup>(٢)</sup>.

كما حاول جماعاتٌ من الصُّوفِيَّة - وخصوصاً متأخريهم - ادِّعاء أنه لا  
تعارض بين الظَّاهر والباطن ولا بين الشريعة والحقيقة، فهذا عليّ بن خليل  
المرصفي (٩٣٠هـ) يقول -: "لا يكمل الرَّجلُ في مقام المعرفة والعلم حتى يرى  
الحقيقة مؤيِّدةً للشريعة"<sup>(٣)</sup>.

ويقول عليّ الخوَّاص (٩٩٣هـ) -: "من ظنَّ أنَّ الحقيقة تخالف الشريعة أو  
عكسه فقد جهل؛ لأنه ليس عند المحقِّقين شريعةٌ تخالف حقيقةً أبداً، حتى

(١) روح المعاني (٣/١٢٥).

(٢) إحياء علوم الدِّين (١/٩٩).

(٣) روح المعاني (٦/١٩٢).

قالوا: شريعةٌ بلا حقيقة عاطلة، وحقيقةٌ بلا شريعة باطلة، خلاف ما عليه القاصرون من الفقهاء والفقراء<sup>(١)</sup>.

وهذا الطرح وإن دار كثيراً على ألسنة القوم وفي كتاباتهم إلا أنه لا مصداق له عند النظر في ممارساتهم إلا عند المستقيمين منهم على السنة - وما أندرهم! -، فجميعها تسير في اتجاه واحد هو أنّ "الحقيقة لونها، والشريعة لونها آخر"<sup>(٢)</sup>، وعليه فهذا الكلام ونظائره إما أن يكون قد صدر عن بعضهم من باب التقيّة - مُدَاراةً للفقهاء - وهذا هو الغالب، أو جاء على معنى خاصّ بهم يخالف ظاهره، ويكفي في بطلانه أن نذكر ما تواردوا عليه من القول بأنّ الطرائق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وأنّ السبيل إليه غير متناهية في الحقيقة<sup>(٣)</sup>، وأنّ القرآن قابلٌ لكلّ التفسير وعلى أيّ وجه جاءت<sup>(٤)</sup>، فأين هذا الكلام من قوله تعالى ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٦]؟! بل إنّ منهم من يستدلّ صراحةً بالعلم اللدنيّ الذي خرج الخضرٌ بموجبه عن شريعة موسى على جواز الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بموجب العلم الباطن المزعوم<sup>(٥)</sup>.

ومن راجع - على سبيل المثال - كتاب "درّة الغواص على فتاوى سيدي

(١) المصدر السابق (١٩٢/٦).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٧/١٣).

(٣) انظر: الفتوحات المكيّة (٣١٧/٢)، روح المعاني (٣٩٦/١)، و(١٦٠/١٤).

(٤) انظر: درّة الغواص (٦٤)، اليواقيت والجواهر (٥٥/١).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٢/١١)، المنار المنيف (٧٥)،

روح المعاني (٣٢١/١٥).

عليّ الخواصّ" رأى فيه ما لا يُحصى من المخالفات الشنيعة للواضح وللقطعيّ من نصوص الشريعة.

وهذا العلم "هو العلمُ الذي تفرّدت به الصُوفيّة"<sup>(١)</sup>، ومدارُه "الكلامُ في علم أسرار التوحيد"<sup>(٢)</sup>، وقد زعموا أنه لا يتأتى إلّا للخواصّ والأفراد فقط<sup>(٣)</sup>، وأنه "نتيجةُ الخدمة وثمرةُ الحكمة"<sup>(٤)</sup>، وأنه "حيث انتهت درجةُ العلماء بأحكام الله ابتدأت درجةُ العلماء بالله، فنهاية علماء الظاهر بدايةُ علماء الباطن؛ لأنّ علم أهل الظاهر جُلُّه ظنيّ، وعلم أهل الباطن عيانيّ ذوقيّ، وليس الخبر كالعيان"<sup>(٥)</sup>.

كما بالغوا في شأنه حتى زعم بعضهم أنّ "من لم يكن له نصيبٌ منه يُخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النّصيب منه التّصديقُ وتسليمُه لأهله"<sup>(٦)</sup>. هذا رأيهم فيه.

وأما أهل السنّة والجماعة فقد استلهموا ما دلّت عليه نُصوص الوحي فوقفوا منه موقفاً معتدلاً، قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة -: "النّاس في هذا الباب على ثلاثة أقسام: طرفان ووسط. فقومٌ يزعمون أنّ مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النّفس توجب

(١) التّعريف لمذهب أهل التّصوّف (٨٧).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١١٨/٧).

(٣) انظر: الفتوحات المكيّة (٢٠٠/١).

(٤) عمدة القاري (١٨٥/٢).

(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١٨٠/٤).

(٦) فيض القدير (٣٢٦/٤).



حصول العلم بلا سبب آخر.

وقومٌ يقولون: لا أثر لذلك، بل الموجبُ للعلمُ بالادلة الشرعية أو العقلية.

وأما الوسط فهو أنّ ذلك من أعظم الأسباب مُعاونةً على نيل العلم، بل هو شرط في حصول كثير من العلم، وليس هو وحده كافياً بل لا بدّ من أمر آخر<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة لطريقة تحصيله والوصول إليه فعندهم أنه لا يتحصّل بواسطة إجمالة النظر وإعمال الفكر في ظواهر التّصوص — كما هو الشّأن في بقية العلوم — وإنما عن طريق الفيض الإلهي، فإنّ خلف تلك الظواهر — يزعمهم — معاني محجوبة هي "وراء النّظر العقلي"<sup>(٢)</sup> لا تراها إلّا عيون البصائر، و"العارفون ليس لهم آلة إلى فهم كلام ربّهم أو غيره إلّا بالكشف والدّوق لا الفهم والفكر"<sup>(٣)</sup>، ولهذا فإنّ الواحد منهم "يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة الذي لم يكن يُعرف لأحد قبله"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو حامد الغزالي -: "المجاهدة تُفضي إلى المشاهدة، ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب، وأمّا الكتب والتّعليم فلا تفي بذلك، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٦/١٣). وانظر للاستزادة: مدارج السالكين (٤٧٥/٢).

(٢) الفتوحات المكيّة (٣١/١).

(٣) درر الغوّاص (٨).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١٦/١).

ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف، فكم من مُتعلِّم طال تعلُّمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة؟! وكم من مقتصرٍ على المهمِّ في التعلُّم ومتوفِّرٍ على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب"<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عربي الأندلسي (٦٣٨هـ) - : "التأهب إذا لزم الخلوة والذكر، وفرغ المحل من الفكر، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه؛ حينئذ يمنحه الله تعالى ويُعطيهِ من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية"<sup>(٢)</sup>.

وباسم هذه المجاهدات يسلك القوم طرائق عجيبة في إذلال نفوسهم وتعذيب أجسادهم تُشبه طرائق الرهبان البوذيين، إذ الولاية - بزعمهم - لا تُنال إلَّا "بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخساسة"<sup>(٣)</sup>، فمنهم من يجلس "من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزاً على صدور قدميه، رافعاً أخمصيه مع عقبيه عن الأرض، ضارباً بذقنه على صدره، شاخصاً بعينه لا يَطرِف"<sup>(٤)</sup>، ومنهم من يسرق ثياب الناس في الحمامات ليظنوه لصاً فيوسعوه ضرباً وسباً، ومنهم من يقوم على رأسه طوال الليل<sup>(٥)</sup>، ومنهم من مكث

(١) إحياء علوم الدين (٧١/١).

(٢) الفتوحات المكيَّة (٣١/١).

(٣) إحياء علوم الدين (٣٥٨/٤).

(٤) المصدر السابق (٣٥٦/٤).

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٣٥٨/٤)، تلبيس إبليس (٤٢٨).

سبعين سنة لا يرفع بصره إلى السماء حياءً من الله! (١)

وقد حكى الحسن بن علي الدامغاني (٥٦٥هـ) أنّ رجلاً عظيمَ القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: أنا منذ ثلاثين سنةً أصوم الدهر لا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا أصدّق به وأحبه! فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنةٍ وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة، قال: ولم؟ قال: لأنك محبوب بنفسك، قال: فلهذا دواء؟ قال نعم، قال: قل لي حتى أعمله، قال: لا تقبله، قال: فاذكره لي حتى أعمل، قال: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة، وعلّق في عنقك مِخلّةً مملوءةً جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: كلُّ من يصفعني صفةً أعطيته جوزةً، وادخل السوق وطّف الأسواق كلّها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك" (٢).

ونسبوا للجُنيد - ولعله من الكذب عليه - أنه قال -: "لا يبلغ أحدٌ درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألفُ صديقٍ بأنه زنديق" (٣).

ثم إنّ القوم لمّا وقع في نفوسهم ما وقع من تعظيم الواردات القليبيّة واعتقاد عصمتها من الخطأ جعلوها هي الأصل، وقدموا موجباتها على مقتضيات الأدلّة السّميّة عند التعارض مردّدين أنّ "علوم النّظر أوهام إذا

(١) الطّبقات الكبرى (١/١١٥).

(٢) إحياء علوم الدّين (٤/٣٥٨)، تلبس إبليس (٤٢٨).

(٣) الفتوحات المكيّة (١/١٩٩)، اليواقيت والجواهر (١/٥٣).

قُرِنتْ بعلوم الإلهام"<sup>(١)</sup>.

قال أبو حامد الغزالي -: "إذا انكشفت لهم [يعني: العارفين] أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السَّمع والألْفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه، وما خالف أوّلوه"<sup>(٢)</sup>.

وهم في هذه النّقطة قد شابها المتكلّمين الذين يحكمون نصوص الوحي إلى عقولهم، فإذا ما تعارضتا عندهم قدّموا ما يسمّونه الدلائل القطعيّة العقلية<sup>(٣)</sup>.

وكلا الطائفتين متكبّبة لطريقة الرّعيّل الأوّل من سلف الأُمّة، إذ "لا يوجد في كلام أحدٍ من السّلف أنه عارض القرآن بعقلٍ ورأيٍ وقياس، ولا بدوقٍ ووجد ومكاشفة"<sup>(٤)</sup>.

فالحاصل أنّ الصّوفيّة يفرّقون بين العلم الظّاهر والعلم الباطن من عدّة جهات:

١ - من جهة الماهيّة والجوهر، فإنّ العلم الباطن هو الإحاطة بالأشياء على ما هي عليه في جوهرها الحقيقيّ، وأمّا العلم الظّاهر فهو معرفتها بحسب ما تبدو عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) اليواقيت والجواهر (٥٧/١).

(٢) إحياء علوم الدّين (١٠٤/١).

(٣) انظر: أساس التّقديس في علم الكلام (١٣٠).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢٨/١٣).

(٥) انظر: درر الغوّاص (٥٩).

٢ - من جهة الشرف والمكانة، فإن العلم الباطن أشرف من العلم الظاهر إذ هو "غاية العلوم"<sup>(١)</sup> قاطبة، ولهذا كانت عنايتهم متوجهة في الأساس إليه، فهو علمهم الذي ينتسبون إليه ويختصون بالكلام فيه<sup>(٢)</sup>.

٣ - من جهة طريقة التحصيل، فإن العلم الباطن لا يتحصّل إلا بمجاهدة النفس وتنقيتها من الأفذار والأكدار، بخلاف العلم الظاهر فإنه يتحصّل بالتعلّم والتّظر والفكر.

### المطلب الثالث: أدلة الصّوفيّة على القول بالباطن.

بيّنا فيما سبق أنّ النّوّة الأولى لنظرية الظاهر والباطن انبثقت من الخلّوات وما تولّد عنها من الخواطر والسّوانح القليبيّة التي كانت محلّ حفاوة في الجملة لدى أوائل الصّوفيّة، وشيئا فشيئا تمكّنت من النفوس فأتسعت دائرة الحفاوة بينهم؛ ليتطوّر الأمر من مجرد حفاوة إلى تعظيمها والسعي في تحصيلها والاعتقاد بموجباتها.

وكعادة كثير من الاتّجاهات المنحرفة والفِرَق الضّالة فالاستدلال بنصوص الوحي يأتي في مرحلة لاحقة تدعيماً لموقف أو شرعنة لرأي، وبهذا التّأخير الزّمني - وما يترتّب عليه من طعن أو تأويل وغير ذلك - يفقد الدليل دوره التّأسيسيّ ومكانته الرّياديّة، وليتحوّل بهذا من كونه إماماً هادياً إلى كونه غطاءً واقياً، وإلى هذا أشار وكيع بن الجراح (١٩٧هـ) بقوله:- "مَن طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنّة، ومن طلبه ليقوّي به رأيه فهو صاحب بدعة"<sup>(٣)</sup>.

(١) إحياء علوم الدّين (١/١٩).

(٢) انظر: اللّمع في التّصوّف (٤٤)، التّعريف لمذهب أهل التّصوّف (٨٧).

(٣) ذمّ الكلام وأهله (٢/١٨٧).

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الإشكالية المنهجية لدى أهل البدع فقال - : "هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان ، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك ، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه ، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى ؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك ، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها"<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر - : "أهل البدع سلكوا طريقاً آخر ابتدعوها اعتمادوا عليها ، ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد للاعتماد"<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع ثالث - : "المقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم"<sup>(٣)</sup>.  
وسوف نذكر هنا ما تيسر الوقوف عليه من أدلة القوم مع الرد عليهم ، وذلك فيما يلي :

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٥٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٧/٣٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٥٨).

الدليل الأول: ما ورد في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، حيث تباينت مواقفهما مما واجهاه تبايناً كلياً بحسب ما يحمله كل واحد منهما من العلم، فما فعله وليُّ الله الخضرُ من إقامة الجدار وقتل الغلام وتخريق السفينة صادرٌ عن علمه اللدني، وإنكارُ كليم الله موسى عليه ناتجٌ عن علمه الشرعيِّ الظاهريِّ، وكان الصواب مع حامل العلم الباطن كما حكاها القرآن؛ لأنَّ علمه موافق لواقع الأمر<sup>(١)</sup>.

والجواب عن هذا من وجهين:

أ - أنَّ الخضر نبيٌّ وليس ولياً على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو مذهب الجمهور على المشهور<sup>(٢)</sup>، والشواهد عليه كثيرة<sup>(٣)</sup>، وعليه فإنَّ الحاق الوليِّ بالنبيِّ - مع ما بينهما من التباين في الوحي والعصمة - قياسٌ مع الفارق. وإذا ثبت أنه نبيٌّ سقط أشهر أدلتهم وأقوى مستمسكاتهم، وقد "كان بعضُ أكابر العلماء يقول: أوَّل عقْدٍ يُحلَّ من الزندقة اعتقادُ كون الخضر نبياً"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٥٢٦)، مدارج السالكين (٢/ ٤٧٦)، أضواء البيان (٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر: تفسير السعفي (٢/ ٣١٥)، تفسير القرطبي (١١/ ٤٣)، تفسير البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، طرح الشرب في شرح التّقريب (٨/ ١٤٦)، روح المعاني (١٦/ ٢٩) و (١٦/ ٣٤)، مختصر الفتاوى المصرية (٥٦٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٢٨).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٨٨).

ب - أنّ الله تعالى هو من أتى على علم الخضر وأرشد موسى إليه ، وهذه التزكية الربّانية تدلّ على أنّ العلم الذي معه علمٌ صحيح ، وهذا ما لم يتحقّق ولن يتحقّق في غيره من ادعاء العلم اللدنيّ ، فمن أين لهم أنّ علمهم علمٌ صحيح وهم ليسوا ذوي أنفسٍ معصومة ولا علمهم مزكّي؟!

وهذا ما قصده حبرُ الأمة وتُرجمان القرآن رضي الله عنه (٦٨هـ) حينما كتب إليه نَجْدَةُ الحَرَوْرِيُّ يسأله عن قتل الصبيّان؟ فكتب إليه: إن كنتَ الخضرَ تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم" (١).

وقال العلامة الشنقيطي (١٣٩٣هـ) - : "غيرُ المعصوم لا ثقةً بخواطره ؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان ، وقد ضُمنت الهداية في اتباع الشرع ، ولم تُضمّن في اتباع الخواطر والإلهامات" (٢).

**الدليل الثاني:** قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافِ أَدَّعُوا بِهِ ۖ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] قالوا: "فالعلم المستنبط هو العلم الباطن. وهو علم أهل التّصوّف ؛ لأنّ لهم مستنبطاتٍ من القرآن والحديث وغير ذلك" (٣).

والجواب عن هذا الاستدلال أن يقال: إنّ هذا التّفسير تفسيرٌ حادث لم يقل به أحد من السلف فيما وقفتُ عليه (٤)، والآية في الأصل - وكما هو

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٩٦٧) ومحمد بن نصر المروزي في كتاب السنّة برقم (١٥٣) عن عطاء عن ابن عباس.

(٢) أضواء البيان (٣/٣٢٤).

(٣) اللّمع في التّصوّف لأبي نصر السّراج (٤٤).

(٤) انظر: الدرّ المنتور (٢/٥٧٥).



ظاهر - لم تأت في سياق الكلام عن الأحكام وطرائق استنباطها، وإنما أتت لتبيين الطريقة المثلى للتعامل مع الحوادث من أمنٍ وخوفٍ وغيرهما، ويُعزّز ذلك الوقوفُ على سبب نزولها<sup>(١)</sup>.

**الدليل الثالث:** ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال - : "ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيامٍ ولا صلاة، ولكن بسرّ وقر في صدره". قال أبو حامد الغزالي - تعليقاً على هذا الحديث - : "لا شكّ في أنّ ذلك السرّ كان متعلّقاً بقواعد الدّين غير خارج منها، وما كان من قواعد الدّين لم يكن خافياً بظواهره على غيره"<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن الاستدلال بهذا الحديث من وجهين:

أ- أنّ هذا الحديث لا أصل له مرفوعاً كما نصّ عليه الحافظ العراقي وغيره - على الرّغم من شهرته في كتب الصّوفيّة<sup>(٣)</sup>! -، وإنما هو منقول عن أحد السّلف ولم يوقف له على سند فيما نعلم<sup>(٤)</sup>.

ب - أنّ من قال هذا الكلام لم يُرد به (العلم الباطن)، وإنما قصد ما استقرّ في قلب أبي بكر من اليقين والإيمان<sup>(٥)</sup>، ويدلّ على ذلك قوله صلى الله

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١١٠٧/٢).

(٢) إحياء علوم الدّين (١٠٠/١). وانظر أيضاً: التّعريف لمذهب أهل التّصوّف (٧٨)، التّور السّافر عن أخبار القرن العاشر (٤٨).

(٣) انظر: المغني عن حمل الأسفار (٣٢)، المقاصد الحسنة (٥٨٤)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٣٠٨)، اللؤلؤ المرصوع (١٦١).

(٤) انظر: المنار المنيف (١١٥)، المغني عن حمل الأسفار (٣٢).

(٥) انظر: التّبصرة لابن الجوزي (٤٧٧/١)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

عليه وسلم - : "أسألوا الله اليقينَ والمعافاةَ ؛ فإنَّ النَّاسَ لم يُعطوا شيئاً بعد اليقين أفضلَ من المعافاة" <sup>(١)</sup> ، وقولُ عمر رضي الله عنه (٢٣هـ) - : "لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان أهل الأرض لرجح بهم" <sup>(٢)</sup> .

كما يدلُّ عليه استعمالهم الكلامية كقول جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه (٥٩هـ) - : "سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطُّور ، وذلك أوَّل ما قرأ بالإيمانُ في قلبي" <sup>(٣)</sup> ، وقولُ الحسن (١١٠هـ) - : "إنَّ الإيمانَ ليس بالتحلِّي ولا بالتَّمَنِّي ، إنما الإيمانُ ما قرأ في القلب وصدَّقَه العمل" <sup>(٤)</sup> .  
فالكلام في كلِّ هذه النُّصوص من إشادةٍ وغيرها متوجَّه إلى شيء واحد هو مناط النَّجاة والمفاضلة وهو ما يقع في القلب من الإيمان واليقين.

---

(٢/٣٨٥) ، جامع العلوم والحكم (٣٠) ، مرآة الجنان (١/٦٨) .

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٥) — واللفظ له — ، والإمام أحمد في مسنده برقم (٣٨) من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصَّغِير وزيادته (١/٦٧٩) .

(٢) أخرجه البيهقي في شُعَب الإيمان (١/٦٩) ، وصحَّحه السَّخاوي في المقاصد الحسنة (٥٥٥) ، والحديث رُوي مرفوعاً بأسانيد لا تخلو من مقال .

(٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه برقم (٣٧٩٨) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنِّفه برقم (٣٠٣٥١) و(٣٥٢١١) ، والأثر ضعيف السَّنَد جدًّا ، لكن نقل المُناوي في فيض القدير (٥/٣٥٦) عن الحافظ العلائي أنه قال - : "رُويَ معناه بسندٍ جيِّدٍ عن الحسن" ، كما صحَّحه عنه العلامة ابنُ القيم في حاشيته على سنن أبي داود (١٢/٢٩٤) .

الدليل الرابع: قوله صلى الله عليه وسلم -: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً!"<sup>(١)</sup>.

قال أبو حامد الغزالي -: "فليت شعري إن لم يكن ذلك سراً مُنِعَ من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلمَ لم يذكره لهم؟!"<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذا الاستدلال أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بقوله "لو تعلمون ما أعلم" ذلك العلم المزعوم؛ بدلالة كونه صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة عقب ذكره لما يُطلع الله عليه من الغيبات وما فيها من الآيات البينات، كرؤيته للجنة وما فيها من التعميم العظيم، ورؤيته للنار وشناعة منظرها وما أعدّه الله فيها من الأنكال والأهوال<sup>(٣)</sup>. ولا شك أن العلم الناشئ عن المعاينة أعلى درجة وأقوى تأثيراً في القلب من الخبر الصادق، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقد روت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أنّ الشمس خسفت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى بالناس ثم خطب فيهم فقال: "إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلّوا وتصدّقوا، ثم قال: إنّي أريت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (٩٩٧)، ومسلم في صحيحه برقم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) إحياء علوم الدين (١/١٠٠). وانظر كذلك: تفسير السلمي (١/٤٦) و(٢/١٤٢).

(٣) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي (٣/١٣٣).

النَّارَ فلم أرَ منظراً كالأيوم قطّ أفظع! ثم قال: يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" (١).

وروى أنس رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال - "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فلم أرَ كالأيوم في الخَيْرِ وَالشَّرِّ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" (٢).

وروى أبو ذرّ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم - "إنني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إنّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعٍ إلَّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" (٣).

الدليل الخامس: قول أبي هريرة رضي الله عنه (٥٧هـ) - "حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، أمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا الخلقوم" (٤).

(١) هذا اللفظ هو مجموع حديثين أخرج أولهما البخاري في صحيحه برقم (٩٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرج الثاني برقم (١٠٠٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣١٢)، وابن ماجه في سننه برقم (٤١٩٠)، والإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٥٥٥)، والحاكم في مستدرکه برقم (١٦٣٣)، والبزار في مسنده برقم (٣٩٢٥). والحديث قال عنه الترمذي - "حسن غريب"،

وصحّحه الحاكم عقب إخراجہ، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٢٩٩)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تخريجه لمسند الإمام أحمد - "حسنٌ لغيره بهذه السّيّاقه".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٠).

وهذا الحديث مما استدلَّ به أبو حامد وغيره حيث جعلوا المقصود بالأوَّل علمَ الظَّاهر، ولهذا بثَّه أبو هريرة، وأمَّا الثَّاني فهو علمَ الباطن المكتوم والذي لو باح الواحد بسرّه لاستُبيح دمه<sup>(١)</sup>؛ بناءً على أنّ "أسرار حقيقة التَّوحيد مما يعسر التَّعبير عنه على وجه المراد، ولذا كلُّ من نطق به وقع في توهيم الحلول والاتِّحاد، إذ فهم العوامَّ قاصر عن إدراك المرام"<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن الاستدلال بهذا الأثر أن يقال:

إنَّ أبا هريرة رضي الله عنه لم يكن يقصد بـ(الآخر) علمَ الباطن كما يزعمه المتصوِّفة والباطنيَّة، وإنما أراد أحاديثَ الفتن والملاحم وذمَّ أمراء السُّوء بأعيانهم وبيان أحوالهم وعيب زمانهم ونحو ذلك من الأخبار الغيبيَّة التي لا تتعلَّق بها أحكام عمليَّة ولا يحتاجها المسلم في دينه<sup>(٣)</sup>، ومما يدلُّ على ذلك أنه قال ذات مرَّة - وهو جالسٌ في مسجد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعنده مروانُ بن الحكم -: سمعتُ الصَّادقَ المصدوقَ يقول -: "هَلَكَ أُمَّتِي عَلَى يَدَي غِلْمَةٍ مِنْ قَرِيشٍ. فَقَالَ مَرَوَانُ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةٌ! فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: (بَنِي فَلَانٍ) وَ(بَنِي فَلَانٍ) لَفَعَلْتُ"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدِّين (١/١٠٠)، فتح الباري (١/٢١٦)، عمدة القاري (٢/١٨٥)، مرقاة المفاتيح (١/٤٧٩)، الرُّدُّ على القائلين بوحدة الوجود (٣٦)، روح المعاني (٦/١٩٠).

(٢) مرقاة المفاتيح (١/٤٧٩).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطَّال (٩/١٠)، كشف المشكل (٣/٥٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٣)، البداية والنهاية (٨/١٠٦)، تفسير القرطبي (٢/١٨٦)، عمدة القاري (٢/١٨٥)، روح المعاني (١٦/٢١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٤٩).

كما كان يتعوّذ بالله من إمارة الصّبيان والسّفهاء<sup>(١)</sup>، "يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، وقد استجاب الله دعاءه فمات قبلها بسنة"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأحاديث لم يُخصَّ بها أبو هريرة دون غيره<sup>(٣)</sup>، بل كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ربّما حدّث بها فحفظ من حفظ ونسي من نسي، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه من أحفظ الصّحابة وأكثرهم ملازمةً للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

ثم إنَّ أبا هريرة ذكر أنه حفظ هذا الوعاء من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، بينما يدّعي القوم أنهم يتلقّونه عن الله مباشرةً فكيف يكون هذا هو عين هذا؟!!

كما أنه لو كان يقصد ذلك العلم المزعوم لكان يتلقّاه باستمرار حتى بعد وفاة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لا في حياته فقط.

وعلى كلِّ فقد تصدّى شيخ الإسلام ابن تيميّة للردِّ على استدلال هذا فأتى - كعادته - بما لا مزيد عليه حيث قال - "ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء، بل ولا فيه من حقائق الدّين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبُر عمّا سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفّار، والفتن: ما يكون بين المسلمين، ولهذا قال عبدُ الله بن عمر: لو

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٦٦)، وصحّحه الألباني في ضعيف الأدب المفرد.

(٢) فتح الباري (٢١٦/١) باختصارٍ يسير.

(٣) انظر على سبيل المثال: مصنّف ابن أبي شيبة (٥٣٠/٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري، الحديث رقم (١١٨).

أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفَتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذبَ أبو هريرة!

وَإِظْهَارُ مِثْلِ هَذَا مِمَّا تَكْرَهُهُ الْمَلُوكُ وَأَعْوَانُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِتَغْيِيرِ دُولِهِمْ.

ومما يُبَيِّنُ هذا أَنَّ أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، فليس هو من السابقين الأولين، ولا من أهل بيعة الرضوان، وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه، وكان النبيُّ يحدِّثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلُّهم، ولكن كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركةٍ حصلت له من جهة النبيِّ؛ لأنَّ النبيَّ حدَّثهم ذات يوم حديثًا فقال: أيُّكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئًا سمعه؟ ففعل ذلك أبو هريرة.

وقد رُوِيَ أنه كان يُجزئىء الليلَ ثلاثة أجزاء، ثلثًا يصلي، وثلثًا ينام، وثلثًا يدرس الحديث، ولم ينقل أحدٌ قطَّ عن أبي هريرة حديثًا يوافق الباطنية، ولا حديثًا يخالف الظاهر المعلوم من الدين.

ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيءٌ من هذا لم يكن بُدُّ أن ينقل عنه أحدٌ شيئًا منه، بل التُّقُولُ المتواترة عنه كلُّها تُصدِّق ما ظهر من الدين وقد روى من أحاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق أصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٥/١٣). وانظر كذلك: بُغية المراتد (٣٢٣)، والحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٢٣) و (٦٩٢١)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٤٩٢).

الدليل السادس: ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال -: "إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعرفه إلا العلماء بالله تعالى، فإذا نطقوا به لا يُنكره إلا أهل الغرّة بالله تعالى"<sup>(١)</sup>.

وقد استدللّ بهذا الحديث الغزالي وغيره<sup>(٢)</sup>، "والمراد بأهل الغرّة: علماء الظاهر الذين لم يؤتوا ذلك"<sup>(٣)</sup>.

غير أنّ الحديث حكمَ عليه كثيرٌ من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ العراقي<sup>(٤)</sup> (٨٠٦هـ)، والحافظ السخاوي (٩٠٢هـ)، والمحدث الألباني (١٤٢٠هـ) بعدم الثبوت<sup>(٤)</sup>، وما دام كذلك فقد سقط الاستدلال به رأساً.

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في التصوّف برقم (٣٢)، والدليمي في الفردوس بمأثور الخطاب برقم (٨٠٢)، وأشار شيخ الإسلام في مجموع فتاواه (٢٥٩/١٣) إلى أنّ أبا إسماعيل الهروي قد رواه في كتابه "الفاروق بين المثبتة والمعطّلة" وهو غير مطبوع.

(٢) انظر: التّعريف لمذهب أهل التصوّف (٨٧)، إحياء علوم الدين (٢٠/١)، الفتوحات المكيّة (٢٤٤/٣)، فيض القدير (٣٢٦/٤)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١٢/١ و ١٧٩)، إيقاظ الهمم في شرح الحكيم (٦٢٧)، أجد العلوم (١٥٣/٢).

(٣) روح المعاني (٢١/١٦).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣١/١٣ و ٢٦٠)، بيان تلبيس الجهميّة (٣٢٧/٨)، الصّفديّة (٢٩٢/١)، درء تعارض العقل والنقل (٨٥/٥)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٢٣/١)، تخريج الأربعين السّلميّة في التصوّف (١٢٦)، سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة (٢٦٢/٢).



وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية الاستدلالَ به على فرض صحته من جهة أن "فيه أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به أنكروه أهلُ الغرّة بالله، فهذا يدلّ على أن من الناس من يعلم هذا العلم ليس مما استأثر الله به، ولكنّ بعضَ الناس ينكره"

الدليل السابع: ما يروى عن الحسن عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال - "سألتُ النبيّ عليه الصلّاة والسّلام عن علم الباطن ما هو؟ فقال: سألتُ جبريلَ عنه فقال عن الله: هو سرُّ بيني وبين أحبّائي وأوليائي وأصفيائي، أودعهُ في قلوبهم، لا يطلع عليه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ"<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث قال عنه الحافظُ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - "هو موضوع، والحسن ما لقي حذيفة"<sup>(٢)</sup>.

الدليل الثامن: ما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال - "علمُ الباطن سرٌّ من سرِّ الله عزّ وجلّ وحكمٌ من أحكام الله تعالى، يقذفه الله عزّ وجلّ في قلوب من يشاء من أوليائه"<sup>(٣)</sup>. وقد نقل ابن الجوزي احتجاج الصوفيّة بهذا الحديث، ثمّ عقب على ذلك بقوله - "هذا حديثٌ لا أصل له عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي إسناده مجاهيلٌ لا يُعرفون"<sup>(٤)</sup>.

(١) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٢٤٧).

(٢) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٢٤٨).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤٢/٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٣/١) وتلبيس إبليس (٣٩١).

(٤) تلبيس إبليس (٣٩٠).

## المبحث الثاني:

علاقة هذه النظرية بظاهرة الكتمان والغموض لديهم، وسبب ذلك.

### المطلب الأول: ظاهرة الكتمان.

يقوم الصوفيّة برحلة طويلة وشاقّة بحثًا عن الأسرار الإلهية المستورة بحجاب الحسّ أو المخبوءة في أعماق النّصّ، التي يزعمون أنه لا يمكن الاهتداء إليها إلّا عند عروج الرّوح في ملكوت النّور، وتجاوزِ طور العقل على أقدام المجاهدة، وهذا هو منتهى آمال السّالكين!<sup>(١)</sup>

وفي أثناء تلك الرّحلة المضنية كانت يلوح لهم من المعاني والمعارف ما لا نهاية له<sup>(٢)</sup>، وكان فرحهم بها وتعظيمهم لها يفوق الوصف - كما أشرت إليه سابقًا - باعتبارها العلم الصّحيح<sup>(٣)</sup> وجوهر المعرفة الذي لا شيء وراءه! ولكنهم حين وجدوها تتصادم مع ما جاء به النّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصادمة تامّة وسَمُوا ذلك الظّاهر بـ(الشريعة) وجعلوه دينَ العامّة، وנטوا ما نالوه في خلوّاتهم بـ(الحقيقة) وجعلوه دينَ الخاصّة.

ولأجل تلك المصادمة الصّريحة بين الشريعة والحقيقة لم يكن بمقدور القوم الإفصاح عن عقائدهم كما هي؛ إذ السّواد الأعظم من العلماء والعامّة على اعتماد الظّاهر والعمل بمقتضياته، ومن ثمّ فقد وجدوا أنفسهم بحاجة ماسّة إلى اتّخاذ تدابير إضافية تحميهم من غضب العلماء وتقيهم من استيحاء العامّة وأذاهم، وقد بنوها على ركيزتين أساسيتين:

(١) انظر: إحياء علوم الدّين (١/٢٨٤).

(٢) انظر: اللّمع لأبي نصر السّراج (٣٧).

(٣) انظر: الفتوحات المكيّة (١/٢١٩).

الرّكنة الأولى: إخفاء آرائهم الحقيقيّة باعتبارها "الحكمة المسكوت عنها"<sup>(١)</sup>، وعدمُ البوح بها إلّا لمن علّم من حاله الإذعان التامّ لهم والتسليم المطلق لمعارفهم.

الرّكنة الثّانية: قصد تعمية المعنى عند الحاجة إلى الكلام، وسيأتي الكلام على ذلك في المطلب الثّاني بإذن الله.

والحقيقة أنّ هذه الآليّة نتاجٌ طبيعيٌّ للخطأ الأوّل الذي وقعوا فيه، فطالما تولّد عن الباطل باطل، واستلزم الفاسدُ فاسدًا.

إذن بما أنّ القوم يرون أنّ تلك الواردات هباتٌ ربّانيّةٌ وصلّتهم على جهة الاختصاص وأنّ الله تعالى لم يُطلع عليها ملكًا مقرّبًا ولا بشرًا مرسلًا<sup>(٢)</sup>؛ فقد اصطَلحوا على تسميتها بـ(الأسرار)، ولا يخفى ما في هذا الاصطلاح من الدلالة على أنّ الأصل فيها الكتمان<sup>(٣)</sup>، ومن العبارات السيّارة على ألسنتهم "صدورُ الأحرار قبورُ الأسرار"<sup>(٤)</sup>.

ومن أجل تكريس هذا المبدأ زعموا أنّ "أجر الأسرار دوامُ المشاهدة لله"<sup>(٥)</sup>، وأنّ "إظهار السرِّ كإظهار العورة"<sup>(٦)</sup>، فمن أفشاه دون أن يؤدّن له

(١) التّوقيف على مهمّات التعاريف (٢٩٢).

(٢) انظر: إحياء علوم الدّين (٢٤/٣).

(٣) انظر: الفتوحات المكيّة (٣٤٨/٢).

(٤) آداب الصّحبة لأبي عبد الرّحمن السّلمي (٧٠)، حلية الأولياء (٣٧٧/٩). إحياء

علوم الدّين (١٧٩/٢)، مرقاة المفاتيح (٤٧٩/١).

(٥) تفسير القشيري (٣٢١/٣).

(٦) فيض القدير (١٤٩/٦).

فعقوبته الإبعاد والحرمان - وربما أشدّ -<sup>(١)</sup> ، وفي هذا يقول بعضهم :  
مَنْ أطلعوه على سرِّ فباح به      لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا  
وأبعدوه فلم يظفرُ بقريهم      وأبدلوه مكانَ الأنس إيحاشاً<sup>(٢)</sup>

فإن كان الواحد منهم مضطراً للَبوح فبالتلّميح والإيماء !  
والعلّة التي يُبرزونها في الغالب لِمَا اختاروه من كتمان مشاهداتهم هي  
دعوى الضنِّ بها عن بثّها فيمن ليس من أهلها خوفاً عليها، أو خشيةً من  
افتتان العوامِّ بما تعجز أذهانهم عن إدراكه<sup>(٣)</sup>.

ومن أغرب ما يصادف القارئ في هذا السياق قولُ أبي حامد الغزالي -  
: "من قال: إنّ الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر  
أقرب منه إلى الإيمان!"<sup>(٤)</sup>؛ ذلك أنه قد قرّر في موضع آخر وقوع الاختلاف —  
وليس إمكانيته فحسب — فقال - : "إذا انكشفت لهم [يعني: العارفين] أسرارُ  
الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السّمع والألفاظ الواردة فما وافق ما  
شاهدوه بنور اليقين قرّروه، وما خالف أوّلوه"<sup>(٥)</sup>!

(١) انظر: تفسير القشيري (١/١٤٨).

(٢) تفسير السُّلَمي (١/٣٦٧)، صفة الصّفة (٤/٣٢٤)، روح المعاني (١٤/١٦١)  
على اختلافٍ يسير في روايته.

(٣) انظر: إحياء علوم الدّين (١/١٠٠)، مشكاة الأنوار (٤٠)، مقدّمة أبو العلا  
عفيفي على فُصوص الحكم (١٥)

(٤) إحياء علوم الدّين (١/١٠٠)، وقد جعل ما يُمتنع عن إفشائه على خمسة أقسام... إلخ.

(٥) إحياء علوم الدّين (١/١٠٤).

ثم إنه لو كان كلامه صحيحاً فلماذا يُصِرُّ الصُّوفِيَّةُ قاطبةً على السِّرِّيَّةِ ويتواصون بالكتِّمان؟! وكيف يصحُّ تقريره وهم يصرِّحون بأنه "كثيراً ما يُهَبُّ على قلوب العارفين نفحاتٌ إلهيَّةٌ لو نطقوا بها جهلَّهم كُملَّ العارفين" (١)، وأنهم "يقولون في كلامهم ومُنَاجاتهم في خَلَوَاتهم أشياء هي كفرٌ عند العامَّة، ... ولو سمعها العمومُ لكفَّروهم" (٢)؟!

وقد ذكر القومُ من الدَّلَّائل على مسلكهم هذا ما هو في حقيقته أو هن من بيت العنكبوت، ومن المعلوم لدى العقلاء أنَّ الشَّان ليس في الاستدلال وإنما في صحَّته؛ إذ بإمكان كلِّ من سلك طريقةً أو اعتنق فكرةً أو آمن برأي الاستدلال عليه.

ومَّا ذكروه حديثُ المعراج حيث جاء فيه: "سألني ربِّي فلم أستطع أن أُجيبه، فوضع يده بين كَتْفَيَّ فوجدتُ بردَهَا فأورثني علمَ الأوَّلِين والآخِرِينَ، وعَلَّمَنِي علوماً شَتَّى، فعِلْمٌ أخذ عليَّ كِتْمَانَهُ إذ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمَلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَعِلْمٌ خَيْرِنِي فِيهِ، وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ فَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُذَكِّرُنِي بِهِ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مِنْ أُمَّتِي" (٣).

غير أنَّ هذا الحديث من الأحاديث التي يرويها المتأخرون دونما سند. وكذلك ما ينسبونه لابن عباس رضي الله عنهما من أنه قال في قوله عزَّ وجلَّ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] - "لو ذكرتُ تفسيرَه لرجمتُموني!".

(١) الطبقات الكبرى للشَّعراني (٢٨/١).

(٢) إحياء علوم الدِّين (٣٤١/٤) بتصرف.

(٣) المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمديَّة (٤٨٣/٢)، السِّيرة الحليَّة (١٣٠/٢)، روح المعاني (٢٢/١٦).

وفي لفظ آخر : "لقلتم: إنه كافر!"<sup>(١)</sup>، وهو أثرٌ لا وجود له إلّا في كتب الصُوفية. نعم رُويَ هذا الأثرُ بألفاظٍ أخرى مثل: "ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر؟!"، وكذلك: "لو حدّثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها"<sup>(٢)</sup>.

وهذان اللَّفظان لا دلالةٌ فيهما على المدّعى، ولهما تخرّيجٌ صحيحٌ تعضده النُّصوص، وهو أنّ التّحديث بما لا تُطبقه بعضُ العقول من الأخبار الثّابتة مدعاةٌ لتكذيبها، ومن المعلوم أنّ تكذيب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كفرٌ بلا خلاف.

وقد كثرت أقاويلُ القوم في التّحذير من إفشاء ما يرد عليهم من الأحوال حتى قال بعضهم -: "إفشاء سِرِّ الرُّبوبيّة كفر!"<sup>(٣)</sup>، وقال الجُنيد -: "نحن حَبَرنا هذا العلم تَجْبِيراً، ثمّ خَبَّأناه في السَّراديب"<sup>(٤)</sup>، وقال القُشيري (٥١٤هـ) -: "الأولياء مأمورون بحفظ ودائع السِّر"<sup>(٥)</sup>، وقال آخر -: "لو اطّلع زرّي على سِرِّي قلعتُه"<sup>(٦)</sup>.

غير أنّ هذا الكِتْمَان ليس على إطلاقه عند عامّتهم، بل يجوز البوح بالأسرار لمن كان على شاكلتهم شريطةً أن يكون ذلك عن طريق المشافهة؛

(١) إحياء علوم الدّين (١/١٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/١٥٣).

(٣) إحياء علوم الدّين (١/١٠٠)، سير أعلام النُّبلاء (١٩/٣٣٣)، الصّوّارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتّحاد (٤٥).

(٤) التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف (١٤٥).

(٥) انظر: تفسير القُشيري (١/١٤٨).

(٦) اللّمع في التّصوّف (٣٠٤).

خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي يَدِ غَيْرِهِمْ فَيُنَالُهُمْ أَذَاهُمْ، وَهَذَا شَائِعٌ لِلْغَايَةِ فِي أَدْبِيَّاتِهِمْ، فَقَدْ رَوَوْا عَنِ الْجُنَيْدِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - : "لَا تُفْشِرْ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ الْمُحْجُوبِينَ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ قِرَاءَةَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ إِلَّا بَيْنَ الْمُصَدِّقِينَ لِأَهْلِ الطَّرِيقِ أَوْ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ"<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ - عَقِبَ كَلَامِ إِشَارِيِّ لَهُ -- : "وَشَرَحَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِإِثْبَاتِهِ فِي الْكُتُبِ مُتَعَدِّدًا"<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - : "وَأَسْرَارُ هَذَا الْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ تُسَطَّرَ فِي كِتَابٍ"<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ - : "وَهَذِهِ الْأَسْرَارُ سَتَرَهَا أَهْلُ طَرِيقَتِنَا، وَنَسْتَرُهَا كَمَا سَتَرُوهَا"<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ أَيْضًا "السُّتْرُ لَا بُدَّ مِنْهُ"<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الدُّسُوقِيُّ (٦٩٦هـ) - : "لَا تُوَدِّعُوا كَلَامَنَا إِلَّا عِنْدَ مَنْ كَانَ مَنَّا"<sup>(٦)</sup>.  
وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ مَآخِلَا الْكَهَارِيِّ (٧٣٥هـ) - : "لَا يَبَاحُ إِظْهَارُ الْأَسْرَارِ عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ إِلَّا بِفَتَاوَى عِلْمَائِهَا"<sup>(٧)</sup>.

وَقَالَ الدَّهَبِيُّ - : "كَانَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ مُنْقَبِضًا عَنِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يَجْتَمِعُ بِهِ أَحَادُ الْإِتِّحَادِيَّةِ، وَلَا يَصْرِّحُ بِأَمْرِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَمْ يَشْتَهَرَ كِتْبُهُ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ"<sup>(٨)</sup>.

---

(١) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِلشَّعْرَانِيِّ (٢٤/١).

(٢) الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ (٥٧٨/٢).

(٣) إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ (٢٤٦/٤).

(٤) مَوَاقِعُ النُّجُومِ (١٤٩).

(٥) الْفَتْوَحَاتُ الْمَكِّيَّةُ (٥٥٣/٢).

(٦) الْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ لِلْمُنَاوِيِّ (١٤/٢).

(٧) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِلشَّعْرَانِيِّ (٣٤٠/١).

(٨) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٢٧٩/٤٧).

وقال عبد الوهّاب الشّعْراني (٩٧٣هـ) - : "ومّا منّ الله تبارك وتعالى به عليّ عدم إفشائي الأسرار المتعلّقة بالتوحيد ودقائق الشريعة الشريفة لأحد من الخلق إلّا بعد طول امتحانه وكثرة التّنكّرات والتّغريات عليه ، وإغضابه المرّة بعد المرّة ، وسبّه بين من يستحي منهم عادة المرّة بعد المرّة!"<sup>(١)</sup>.

وذكر في ترجمة شيخه<sup>(٢)</sup> علي محمد وفا الشاذلي (٨٠٧هـ) أنّ له كلاماً عالياً في الأدب ووصايا نفيسةً أملاها عليه وأنه سيُلخّصها بـ "حذف الأشياء العميقة عن غير أهل الكشف ؛ لأنّ الكتاب يقع في يد أهل وغير أهله"<sup>(٣)</sup>.

على أنّ من الصّوفيّة من أوجب كتم أسرار المشاهدات عن كلّ أحد، فهذا أحد عارفهم حين طلب منه أصحابه أن يُسمعهم شيئاً من علم الحقائق قال لهم - : "كم أصحابي اليوم؟ قالوا: ستّمائة رجل، قال: فاختروا لكم منهم مائة، فاختروا، فقال: اختروا من المائة عشرين، فاختروا، فقال: اختروا من العشرين أربعة، فاختروا أربعة كلّهم أصحاب كشوفاتٍ ومعارف، فقال الشيخ: لو تكلمتُ عليكم في علم الحقائق والأسرار لكان أوّل من يُفتي بكفري هؤلاء الأربعة!"<sup>(٤)</sup>، وقال داود بن ماخلا - : "حقيقة

(١) لطائف المنن والأخلاق (٦٤٤).

(٢) لا أدري كيف يدعى الشّعْراني مُلّاقاته والأخذ عنه إذا كانت وفاته سنة (٨٠٧هـ) — بحسب ابن حجر في إنباء الغمّر (٣٠٨/٢) ، ومولد الشّعْراني سنة (٨٩٨هـ)؟! إلّا إذا كان يقصد مُلّاقاته في المنام أو على هيئة روحانيّة في عالم الأشباح كما يزعمون!

(٣) الطبقات الكبرى (٤٥/٢).

(٤) الطبقات الكبرى للشّعْراني (٢٥/١) ، لطائف المنن والأخلاق (٥٧٦).



السِّرِّ لا تُظْهَرُ لأحدٍ في الدَّارين!"<sup>(١)</sup>، وإلى هذا أشار الشَّعرانيُّ بقوله -: "من الأولياء من سدَّ باب الكلام في دقائق كلام القوم حتى مات"<sup>(٢)</sup>.

وقد حكى ابنُ عربيَّ تجربته في إذاعة السِّرِّ بلا إذن فقال - فيما يزعم -  
: "ولقد منحني الله سِرًّا من أسرارهِ بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمسمائة فأذعته، فإني ما علمتُ أنه من الأسرار التي لا تُداع، فعوتبتُ فيه من المحبوب فلم يكن لي جوابٌ إلَّا السُّكوت، إلَّا أنني قلتُ له: تولَّ أنتَ ذلكَ فيمن أودعته إياه إن كانت لك غيرَةٌ عليه، فإنك تقدر ولا أقدر، - وكنتُ قد أودعته نحوًا من ثمانية عشر رجلًا - فقال لي: أنا أتولَّى ذلك.

ثم أخبرني أنه سلَّه من صدورهم وسلبهم إياه - وأنا بسبِّته -، فقلتُ لصاحبي عبدَ الله الخادم: إنَّ الله أخبرني أنه فعل كذا وكذا، فقم بنا نُسافرُ إلى مدينة فاس حتى نرى ما ذكَّرَ لي في ذلك، فسافرتُ، فلما جاءني تلك الجماعةُ وجدتُ الله قد سلَّبهم ذلك وانتزعهُ من صدورهم، فسألوني عنه فسكتُ عنهم، وهذا من أعجب ما جرى لي في هذا الباب!"<sup>(٣)</sup>.

وأشدَّ منه ما حكاه عبدُ الغفَّار القوصي عن الشَّريف الكليبي أنه أخبره "أنه كان ذاهبًا في طريق العمرة ومعه فقيرٌ أعجميٌّ، فتكلَّم بشيءٍ من الأسرار ففُجِّعَت رأسُهُ من بين كتفيه!"<sup>(٤)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى للشَّعراني (١/٣٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/٢٥).

(٣) الفتوحات المكيَّة (٢/٣٤٨).

(٤) لطائف المنن والأخلاق (٥٧٥)، والفقير في عُرف الصُّوفيَّة: هو السَّالك إلى الله.

انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة (١١/٧٠).

وقد سيطرت على القوم فكرة السرّ واستولت على اهتماماتهم بصورة لافتة حتى انعكس ذلك في عنوانات تصانيفهم، ومنها على سبيل المثال: كتاب "الفتوحات المكيّة في معرفة الأسرار المالكيّة والملكيّة"، و"الدّر المنظوم في السرّ المكتوم"<sup>(١)</sup>، و"السرّ المضمون، والجوهر المكنون"<sup>(٢)</sup>، و"الأنوار فيما يُفتح على صاحب الخلوة من الأسرار"<sup>(٣)</sup>، و"بهجة الأسرار ومعدن الأنوار"<sup>(٤)</sup>، و"الجوهر المصون والسرّ المرقوم، فيما تُنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم"<sup>(٥)</sup> و"درة الأسرار، في مناقب الصوّفيّة الأبرار"<sup>(٦)</sup>، و"سيرّ الأسرار، وتشكيل الأنوار"<sup>(٧)</sup>، و"شفاء الأسرار"<sup>(٨)</sup>، وكتاب "الأسرار"<sup>(٩)</sup>، و"مواقع النُّجوم، ومطالع أهلة الأسرار والعلوم"<sup>(١٠)</sup>، و"مشاهد الأسرار القدسيّة، ومطالع الأنوار الإلهيّة"<sup>(١١)</sup>، و"السرّ الجليل في خواصّ حسبنا الله ونعم الوكيل"<sup>(١٢)</sup>.

- 
- (١) انظر: كشف الظنون (١/٧٣٥)  
(٢) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٩).  
(٣) انظر: المصدر السّابق (١/١٩٦)  
(٤) انظر: المصدر السّابق (١/٢٥٦).  
(٥) انظر: المصدر السّابق (١/٦١٩).  
(٦) انظر: المصدر السّابق (١/٧٣٧).  
(٧) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٥).  
(٨) انظر: المصدر السّابق (٢/١٠٤٩).  
(٩) انظر: المصدر السّابق (٢/١٣٩٠).  
(١٠) انظر: المصدر السّابق (٢/١٨٩٠).  
(١١) انظر: المصدر السّابق (٢/١٦٩١).  
(١٢) انظر: الأعلام للزركلي (٤/٣٠٥).

وما ذكرناه هنا ليس إلّا قطرةً من مطرة، وغيضاً من فيض!  
 إنّ ركوب متن هذا المسلك العجيب لا يمكن أن يكون إلّا في شأنٍ مريب  
 يعجز صاحبه عن إظهاره والإفصاح عنه كم قال عمر بن عبد العزيز  
 (١٠١هـ) - : "إذا رأيتَ قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم  
 على تأسيس ضلالة"<sup>(١)</sup>، وهذه السمة الكتمانية لا نجد لها إلّا لدى من استقرّ  
 في نفوسهم أنهم مخالفون لأهل الإسلام ومصادمون لأصوله، كالرافضة  
 الذين بنوا دينهم على التقيّة ورووا عن أبي جعفر (١١٤هـ) أنه قال - : "لا  
 تبثوا سرّنا، ولا تضيعوا أمرنا"<sup>(٢)</sup>، وقال - : "والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ ...  
 أكتّمهم لحديثنا"<sup>(٣)</sup>، وعن جعفر الصادق (١٤٨هـ) أنه قال - : "إنكم على دين  
 من كتّمه أعزّه الله، ومن أذاعه أذله الله"<sup>(٤)</sup>، وقال - : "حدّثوهم بما يعرفون،  
 واستروا عنهم ما يُنكرون"<sup>(٥)</sup>، وقال موسى الكاظم (١٨٣هـ) للأحول - : "من  
 أنست منه رشداً فألقِ إليه وخذ عليه الكتمان"<sup>(٦)</sup>، وهكذا عامة الفرق الباطنية.  
 وقل مثل ذلك في السحرة الذي يكثر تردّد مصطلح (السّرّ) و(الأسرار)  
 على ألسنتهم وفي عنوانات كتبهم، فمن ذلك: كتاب "أسرار النجوم"<sup>(٧)</sup>،

(١) اعتقاد أهل السنة (١/١٣٥)، حلية الأولياء (٥/٣٣٨).

(٢) الكافي للكليني (٢/٢٢٢).

(٣) السرائر لابن إدريس الحلبي (٣/٥٩١)، الكافي للكليني (٢/٢٢٣).

(٤) الكافي للكليني (٢/٢٢٢).

(٥) الكافي للكليني (٢/٢٢٣).

(٦) الكافي للكليني (١/٣٥٢)، كشف الغمّة لأبي الفتح الإربلي (٣/١٤).

(٧) انظر: كشف الظنون (١/٨٤).

و"إظهار الأسرار، وإبداء الأنوار"<sup>(١)</sup>، و"سير الأسرار، وبصائر الأبصار"<sup>(٢)</sup>، و"السّر الربّاني في العالم الجسماني"<sup>(٣)</sup>، و"السّر المكتوم، والعقد المنظوم"<sup>(٤)</sup>، و"السّر المكتوم، في مخاطبة الشّمس والقمر والنّجوم"<sup>(٥)</sup>... إلخ.

### المطلب الثّاني: ظاهرة الغموض.

علم مما سبق أنّ الأصل لدى الصّوفيّة في معارفهم التي تصادم دلالات التّصوّص هو إبقاؤها في طيّ الكتمان والتّواصي بحجبها عن الجمهور، لكنهم لمّا كانوا محتاجين للكلام أحياناً عن عقائدهم أمام من ليس على مشربهم فقد حرصوا على استعمال نوع من التّقية، و"التّقية حرم المؤمن، كما أنّ الكعبة حرم مكة"<sup>(٦)</sup> على حدّ تعبير بعضهم.

وهذا النوع من التّقية يقوم على تعقيد المعنى وتعمية المقصود وإبهام المراد، وذلك باستعمال لغة إشاريّة يغلب عليها طابع الرّمزيّة والاختزال، وتكتفّ فيها صور الاستعارات والكنائيات، ليُصبح المشهد في النّهاية رماديّاً غير محدّد المعالم، وليكون الكلام مفتوحاً على كافّة الاحتمالات!

وفي هذا يقول بعضهم:

إذا أهلّ العبارة ساءلونا أجبناهم بإعلام الإشاره

(١) انظر: المصدر السّابق (١/١١٧).

(٢) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٥).

(٣) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٧).

(٤) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٩).

(٥) انظر: المصدر السّابق (٢/٩٨٩).

(٦) اللّمع في التّصوّف (٣٠٣).

نُشير بها فنجعلها غموضاً      تقصّر عنه ترجمة العبارة<sup>(١)</sup>

ولإطباقهم على استعمال هذه اللغة الإشارية الخفية التي يعبرون بها عن مشاهداتهم ومكاشفاتهم جعلها ابن عربي الأندلسي مذهب الصوفية (أي: طريقتهم)<sup>(٢)</sup>، كما أطلقوا على علمهم (علم الإشارة)<sup>(٣)</sup>، ولقبوا أنفسهم بـ(أهل الإشارة)، وهذا أيضاً هو ما دفع القشيري إلى تسمية تفسيره الذي ألفه على نهجهم بـ(لطائف الإشارات).

ولا ريب أنّ المستهدف بهذا اللغة مخالفة الفهوم الذين هم الجهال من عموم الناس<sup>(٤)</sup> أصحاب "العقول الضعيفة المتعصبة"<sup>(٥)</sup>، فهؤلاء لا يفهمون منها — إن فهموا — إلا ظاهر العبارة.

أما هم فقد أبان القوم عن كونهم "لا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم في نفوسهم"<sup>(٦)</sup>، كما يستعملونها أيضاً "في تأليفهم ومصنّفاتهم"<sup>(٧)</sup>، و"من دون المعارف والأسرار لم يدونها للجمهور"<sup>(٨)</sup>.

(١) التّعريف لمذهب أهل التصوّف (٨٩).

(٢) انظر: الفتوحات المكيّة (٢٨٠/١) و(٣٣٧/٤).

(٣) التّعريف لمذهب أهل التصوّف (٨٧).

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكيم (١٩٩).

(٥) الفتوحات المكيّة (٣٣/١).

(٦) المصدر السابق (٢٨١/١).

(٧) الفتوحات المكيّة (٢٨١/١).

(٨) اليواقيت والجواهر (٤٠/١).

قال أبو بكر الكلّاباذي (٣٨٠هـ) - "اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظٍ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها، فأدرّكه صاحبُه وخفيَ على السّامع" (١).

وقال القشيري - "هذه الطائفة مستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشفَ عن معانيهم لأنفسهم، والإجمالَ والسّترَ على من بينهم في طريقتهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمّةً على الأجنبي" (٢).

وقال ابنُ عربيّ - "اصطلح أهلُ الله على ألفاظٍ لا يعرفها سواهم إلّا منهم، وسلّكوا طريقةً فيها لا يعرفها غيرُهم، كما سلّكت العربُ في كلامها من التّشبيّهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض، فإذا خلّوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنّصّ الصّريح، وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها، فلا يعرف الجليسُ الأجنبيُّ ما هم فيه ولا ما يقولون" (٣).

وقال الحلّاج (٣٠٩هـ) - "من لم يقف على إشارتنا لم تُرشده عبارتنا" (٤).  
وأشار ابنُ عجيبة الفاسي (١٢٢٤هـ) إلى أنّ دقائق التّوحيد وغوامضه رموزٌ وإشاراتٌ لا يفهمها إلّا أهلها، ولا تُفشى إلّا لهم" (٥).

إذن فالغرض من هذا التّمويه المتعمّد هو أن يتمكّنوا من حكاية ما يُريدون الكشفَ عنه من عقائدهم وآرائهم بطريقةٍ آمنة لا تستوجب القيام عليهم ولا

(١) التّعريف لمذهب أهل التّصوّف (٨٨).

(٢) الرّسالة القشيرية (١٥٠/١).

(٣) الفتوحات المكيّة (٢٨١/١).

(٤) أخبار الحلّاج (٨٤).

(٥) إيقاظ الهمم شرح متن الحُكم (٧٢).

الاستيحاشَ منها، بحيث يتمكنون من فهم المعاني المبطنّة داخل تلك الإشارات والإيماءات دون غيرهم، مع إبقاء الباب مفتوحاً أمامهم للتخلّص من محاققة خصومهم وإلزاماتهم، وفي هذا يقول بعضهم:

أَلَا إِنَّ الرُّمُوزَ دَلِيلٌ صَدَقَ عَلَى الْمَعْنَى الْمَغِيبِ فِي الْفُؤَادِ  
وَإِنَّ الْعَارِفِينَ لَهُمْ رَمُوزٌ وَأَلْغَاؤُ تَدِيقٍ عَلَى الْعِبَادِ  
وَلَوْلَا اللَّغْزُ كَانَ الْقَوْلُ كَفْرًا وَأَدَّى الْعَالَمِينَ إِلَى الْفَسَادِ<sup>(١)</sup>  
وقد أشار ابنُ عربي إلى أنّ ما يُسمّونه بـ(علم الأسرار) "إذا أخذتُه العبارةُ  
سَمَّجَ واعتاص على الأفهامِ دَرْكُهُ وَخَشُنَ"<sup>(٢)</sup> وأنك إذا "بسّطتَ القولَ فيه  
أفسدته!"<sup>(٣)</sup>، ومن أجل هذا فإنّ "صاحبَ العلم كثيراً ما يوصله إلى الأفهام  
بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعريّة"<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً - : "كلُّ آيةٍ منزلةٌ لها وجهان: وجهٌ يرونه في نفوسهم، ووجهٌ  
آخر يرونه فيما خرج عنهم، فيسمّون ما يرونه في نفوسهم إشارةً ليأنس الفقيه  
صاحبُ الرُّسُومِ إلى ذلك"<sup>(٥)</sup>.

ورجّح د.أبو العلا عفيفي (١٣٨٦هـ) أنّ ابن عربيّ — الذي هو الإمام  
الأكبر عند القوم — كان "يعتمد تعقيدَ البسيط وإخفاءَ الظاهر لأغراض في  
نفسه، فعباراته تحتمل في أغلب الأحيان معنيين على الأقلّ، أحدهما: ظاهر

(١) الفتوحات المكيّة (١/١٨٩).

(٢) المصدر السّابق (١/٣٣).

(٣) المصدر السّابق (٢/٤٨٢).

(٤) المصدر السّابق (١/٣٣).

(٥) الفتوحات المكيّة (١/٢٧٩)، اليواقيت والجواهر (١/٤٢).

ما يُشير به إلى ظاهر الشّرع، والثّاني: باطن، وهو ما يُشير به إلى مذهبه"، ثمّ يبيّن أنّ هذا الأخير هو "الهدف الذي يرمي إليه"<sup>(١)</sup>.

وبسبب هذا التّلوّن المقصود والإزدواجيّة المتعمّدة لم يكن غريباً أن يصفه ابنُ مَسْدِي الأندلسيُّ (٦٦٣هـ) بكونه -: "ظاهريّ المذهب في العبادات، باطنيّ النّظر في الاعتقادات"<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرّغم مما سبق بيّأه فإنّ كثيراً من الصّوفيّة يعلنون بأنّ سبب تركهم للإفصاح هو عجز اللّغة عن استيعاب تجاربهم الرّوحيّة، وخلوّها من المفردات التي يمكنها أن تصف طبيعة مشاهداتهم كما هي، مثلها في ذلك — بحسب كلامهم — مثلُ حلاوة السُّكّر ومرارة الملح، يعرف طعمهما جيّداً من ذاقهما، لكن لو قيل له: بيّن لنا ماهيّة تلك الحلاوة أو هاتيك المرارة لتملّكته الحيرة وأقرّ بالعجز!

قال أبو بكر الكلّاباذي -: "مشاهداتُ القلوب ومكاشفاتُ الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التّحقيق، بل تُعلم بالمُنَازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلّا مَنْ نازَلَ تلك الأحوال وحلَّ تلك المقامات"<sup>(٣)</sup>.

وهذا — في تقديري — قد يكون صحيحاً في جزء منه، غير أنه ليس السّبب الحقيقيّ الكامل؛ لأنّه لو كان كذلك ل جاءت عباراتهم ناقصةً أو مشوّبةً بشيء من الغموض، لكن على العكس من ذلك نجد أنّ كلّ من أفصح منهم

(١) مقدّمة فُصُوص الحكم (١٧).

(٢) العقد الثّمين (١٨٥/٢).

(٣) التّعريف لمذهب أهل التّصوّف (٨٧). وانظر: (١٣٣)، المنقذ من الضّلال (١٧٨).



بمعارفه وكشف عن اعتقاداته فإنه يأتي بالكفر البواح الذي لا مثنوية فيه كقول  
الخلّاج:

كفرتُ بدين الله، والكفرُ واجبٌ عليّ، وعند المسلمين قبيحٌ<sup>(١)</sup>  
وقوله - : "الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، وأمّا من حيث الحقيقة  
فلا فرقَ بينهما"<sup>(٢)</sup>.

وكقول أبي يزيد البسطاميّ (٢٦١هـ) أو غيره - : "ما في الجبّة إلّا الله"،  
و"سبحاني سبحاني، ما أعظم شاني!"<sup>(٣)</sup> إلى نصوصٍ أخرى معروفة لا تقبل  
العدر ولا تحتمل التأويل، وقد اكتفى الغزاليّ في التعليق عليها بقوله - : "كلام  
العشّاق في حال السكر يطوى ولا يُحكى!"<sup>(٤)</sup>.

وتأمّل قولَ الشّبليّ - : "كنتُ أنا والحسينُ بن منصور شيئاً واحداً إلّا أنه  
أظهر وكتمتُ"<sup>(٥)</sup> ومن المعلوم أنّ الخلّاج قُتل على الزندقة.

ثمّ إنهم يصرّحون بتحريم النّظر في كتبهم وأنّ ذلك يورث الكفر — على  
ما سيأتي بيّانه بإذن الله —؛ مما يدلّ على أنّ المسألة ليست مسألة عجزٍ عن

---

(١) شرح ديوان الخلّاج (٢٢٥).

(٢) أخبار الخلّاج (٧٨).

(٣) فضائح الباطنية (١٠٩)، وفيات الأعيان (١٤٠/٢)، منهاج السنة النبوية  
(٣٥٧/٥)، كشف الأسرار للعلاء البخاريّ (١١٤/٣)، تاريخ الإسلام (١١٢/٢٠)،  
مدارج السالكين (١٥٥/١).

(٤) مشكاة الأنوار (٥٧).

(٥) تاريخ بغداد (١٢١/٨)، سير أعلام النبلاء (٣٣١/١٤)، البداية والنهاية  
(١٣٢/١١).

التعبير وإنما ستر ما استقرّ من الكفر في الضمير. وعلل آخرون بأنه "كلّما ترقّى العبد في باب الأدب مع الله تعالى دقّ كلامه على الأفهام"<sup>(١)</sup>، وهذا تعليل عليل! إذ يلزم منه أن يكون النبي الخاتم الذي أثنى عليه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ليس في أعلى درجات الأدب مع ربه سبحانه؛ لأنّ كلامه الشريف كان في غاية الوضوح وذروة البيان.

وعلى كلّ فقد نصّ جماعات على تفشّي هذه الظاهرة بينهم، وأنّ كلام بعضهم "كلامٌ لا يقتدر أهل النّظر إلى تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم (٧٥١هـ) — عقب إirاده كلاماً لأبي إسماعيل الهرويّ

—: "هذا كلام فيه قلقٌ وتعقيد، وهو باللّغز أشبه منه بالبيان!"<sup>(٣)</sup>.

وأشار شيخ الإسلام ابن تيميّة إلى أنّ أكثر النّاس لا يفهمون كلام ابن

عربي"<sup>(٤)</sup>، وأنّ باطن كلامه في الفصوص أقبح من ظاهره"<sup>(٥)</sup>.

وينقل د. أبو العلا عفيفي في مقدّمة تحقيقه لكتاب فُصوص الحِكم عن

المستشرق الإنجليزي رينولد ألين نيكولسون (١٣٦٤هـ) قوله -: "نظريّاته في

(١) روح المعاني (٣/١٢٥)

(٢) مقدّمة ابن خلدون (٤٧١).

(٣) مدارج السّالّكين (٣/٤١٧).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢٠٤).

(٥) انظر: المصدر السّابق (٢/٣٦٤).

هذا الكتاب صعبةُ الفهم، وأصعب من ذلك شرحُها وتفسيرها؛ لأنَّ لغته اصطلاحية خاصة، مجازية معقدة في معظم الأحيان<sup>(١)</sup>.

ثمَّ يحكي أبو العلا تجربته الخاصة فيقول - : "أقبلتُ على قراءة كتب ابن عربيّ مبتدئاً بالفُصُوص، فقرأته مع شرح القاشاني عليه عدّة مرّات، ولكن الله لم يفتح عليّ بشيء، فالكتاب عربيّ مبين، وكلُّ لفظ فيه إذا أخذته بمفرده مفهومٌ المعنى، ولكن المعنى الإجماليّ لكلّ جملة أو لكثير من الجُمَل الغارِزُ وأحاج لا تزداد مع الشرح إلّا تعقيداً وإمعاناً في العُمُوض!"<sup>(٢)</sup>.

وحين ساق الشّعرايّ كلاماً لابن عربيّ الحاتميّ يتضمّن عجزَ العلماء عن فهم عبارات العارفين عقبَ على ذلك بقوله - : "من شكَّ في هذا القول فلينظر في كتاب المشاهد للشّيخ محيي الدّين، أو كتاب الشّعائر لسيدي محمد، أو في كتاب خلع النّعلين لابن قسيّ، أو كتاب عنقاء مُغرب لابن العربيّ؛ فإنّ أكبر العلماء لا يكاد يفهم منه معنى مقصوداً لقائله"<sup>(٣)</sup>.

وقال في ترجمته لمحمد وفا الشاذلي الإسكندري (٧٦٥هـ) - : "وله رموزٌ في منظوماته و منشوراته مطلّسةٌ إلى وقتنا هذا، لم يُفكَّ أحد - فيما نعلم - معناها"<sup>(٤)</sup>.

(١) (١٢).

(٢) مقدّمته على كتاب فُصُوص الحكيم (٢١).

(٣) الطّبقات الكبرى (١/٢٨).

(٤) الطّبقات الكبرى (٢/٤٢).

ولعلّ من المناسب أن نختم هذا المطلب بالإشارة إلى أنّ بعض المتصوّفة ربّما استدلّوا على مسلكهم هذا بما يُروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال - "كان التّبيُّ صلى الله عليه وسلم يتكلّم مع أبي بكر وكنتُ بينهما كالزّنجي!"<sup>(١)</sup>، غير أنّ هذا الحديث لا يثبت أصلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - تعليقياً على هذا الحديث - -: "هذا كذبٌ ظاهر، لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث، ولا يرويه إلّا جاهل أو ملحد"<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: سبب لجوئهم إلى الكتمان والغموض.

بعيداً عما يُبديه بعض الصّوفيّة في تبرير هذا المسلك - وسبقت الإشارة إليه - فالمتيقّن أنّ الدّافع الأول والسبب الرّئيس كان خوفهم من انكشاف حقيقة اعتقادهم بين النّاس مما يوجب القيام عليهم بسيف الشّرع، وذلك لما يلي:

١ - تصرّيح جماعات منهم بذلك، فقد روى القوم عن الجُنيد أنه كان "لا يتكلّم قطّ في علم التّوحيد إلّا في قعر بيته بعد أن يُغلق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها تحت وركبه ويقول: أتُحبّون أن يُكذّب النّاسُ أولياءَ الله تعالى وخاصّته ويرمونهم بالزّنْدقة والكفر؟"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢١٧).

(٢) أحاديث القُصاص (٧٨). وانظر للاستزادة: انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٧/٥)، منهاج السّنة التّبويّة (٨/٤٢)، بُغية المرئاد (٣٢٢)، المنار المُنيف (١١٥)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٤٧٦).

(٣) الطبقات الكبرى للشّعرازي (١/٢٥). و (يرمونهم) هكذا في الأصل!

وقال ابن عربيّ - : "أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرّون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام ... وإنما منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر؛ لِمَا يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام في جنب الله ... وأكثرُ العامّة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار تقليداً لهم، لا بل — بحمد الله — أقلُّ العامّة.

وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق لشغلهم بما دُفِعوا إليه، فساعدوا علماء الرُسوم فيما ذهبوا إليه إلّا القليل منهم"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً - : "لَمَّا رَأَى أَهْلُ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الدَّوْلَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِأَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ عِلْمَاءِ الرُّسُومِ، وَأَعْطَاهُم التَّحَكُّمَ فِي الْخَلْقِ بِمَا يُفْتُونَ بِهِ وَالْحَقْمَ بِالَّذِينَ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الرُّوم: ٧]، وَهُمْ فِي إِنكَارِهِمْ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] سَلَّمَ أَهْلُ اللَّهِ لَهُمْ أَحْوَالَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا مِنْ أَيْنَ تَكَلَّمُوا، وَصَانُوا عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمُ الْحَقَائِقَ إِشَارَاتٍ"<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً - : "كُلُّ آيَةٍ مَنْزِلَةٌ لَهَا وَجْهَانِ: وَجْهٌ يَرُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ، وَوَجْهٌ آخَرُ يَرُونَهُ فِي مَا خَرَجَ عَنْهُمْ، فَيُسَمُّونَ مَا يَرُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ إِشَارَةً لِأَنَّ النَّاسَ الْفَقِيهَ

(١) الفتوحات المكيّة (٢٧٢/١) بحذف.

(٢) المصدر السابق (٢٨٠/١).

صاحبُ الرُّسُومِ إلى ذلك، ولا يقولون في ذلك: إنه تفسير؛ وقايةً لشُرِّهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً -: "ما خَلَقَ اللهُ أشَقَّ ولا أشَدَّ من علماء الرُّسُومِ على أهلِ اللهِ المختصِّينَ بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهيِّ، الذين منحهم أسرارَه في خلقه، وفهَّمهم معاني كتابه وإشاراتِ خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرُّسُلِ عليهم السَّلام.

ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلمُ القديم - كما ذكرناه - عدل أصحابنا إلى الإشارات"<sup>(٢)</sup>.

وأشار د. أبو العلا عفيفي إلى أنّ "ما يذكره [يعني: ابن عربي] مما له صلةٌ بظاهر الشَّرع فإنما يقدِّمه إرضاءً لأهل الظَّاهر من الفقهاء الذين يخشى أن يتهموه بالخروج والمروق"<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو مدين التلمسانيّ (٥٠٩هـ):

وفي السِّرِّ أسرارٌ دِقاقٌ لطيفةٌ تُراق دِماناً جهرَةً لو بها بُحنا<sup>(٤)</sup>

وقال إبراهيم الدُّسوقي -: "لولا خوف الإنكار لنطقوا بما يُبهر العقول!"<sup>(٥)</sup>.

وقال ابنُ عجيبة الفاسي -: "مما جرت به سُنَّةُ اللهِ تعالى في خلقه أنّ أهل

---

(١) الفتوحات المكيّة (٢٧٩/١).

(٢) المصدر السَّابق (٢٧٩/١).

(٣) مقدِّمة تحقيقه لكتاب فُصُوص الحِكم (١٧).

(٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (٢٨).

(٥) الطبقات الكبرى (٢٩٩/١).

الحقيقة منكورون عند أهل الشريعة، أو تقول: علماء الباطن منكورون عند علماء الظاهر، يقابلونهم بالإذابة والإنكار"<sup>(١)</sup>.

وكان فخر الدين المارديني (٥٩٤هـ) يُثني على شهاب الدين السهروردي ويقول:- "أخشى عليه من شدة جدته وقلّة تحفظه"، وقد وقع ما كان يخشاه عليه حيث قُتل سنة ٥٦٣هـ على الزندقة"<sup>(٢)</sup>.

٢ - اعترافهم بخطورة الاطلاع على كتبهم؛ لعلمهم بأن ما تحتوي عليه من الكفر والزندقة سوف يتثير غضب عامة أهل الإسلام ويحرك حميتهم، كما قال بعضهم - : "من طالع كُتبتنا وليس منا تزندق"<sup>(٣)</sup>.

وقال آخر - : "نحن قومٌ يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا"<sup>(٤)</sup>.

وأشار الآلوسي الكبير إلى أنه قد "ضلّ بها الكثير، حتى تركوا الصلاة وتابَعوا الشهوات، وعطلوا الشرائع، واستحلّوا المحرّمات"<sup>(٥)</sup>.

٣ — تصرّحهم بأنّ من باح بالسرّ استحقّ القتل، وقد نقل الشّعراي عن الصّوفيّة أنّهم "قالوا: من باح بالسرّ استحقّ القتل"<sup>(٦)</sup>.

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/١٧٩).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/١٨)، درء تعارض العقل والنقل

(٣/١٨١) و(٥/٢٢)، شذرات الذهب (٤/٢٩٠).

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٩٣).

(٤) اليواقيت والجواهر (١/٤٠).

(٥) روح المعاني (٧/٧).

(٦) اليواقيت والجواهر (١/٤٠).

وقال ابنُ عجيبة الفاسي - : "من أفضى شيئاً من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه، وتعرض لقتل نفسه"<sup>(١)</sup>.

وأشَدُّ الشَّهابِ السَّهْرَوْرَدِي (٦٣٢هـ) :

بالسَّرِّ إنَّ باحوا تُباح دماؤهم      وكذا دمَاء البائِحين تُباح<sup>(٢)</sup>

وأشَدُّ آخِر :

من باح بالسَّرِّ كان القتلُ شيمته      من الرِّجالِ ، ولم يُؤخذ له ثار<sup>(٣)</sup>

ولمَّا أورد أبو حامد الغزالي قولَ بعضهم :

يارُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به      لقليل لي : أنتَ ممن يعُبد الوَكْنا

ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي      يرون أقبحَ ما يأتونه حَسَنا

عَقَّب على ذلك بقوله - : "المراد بهذا العلم الذي يستحلُّون به دمه هو

العلم اللدُّني الذي هو علم الأسرار"<sup>(٤)</sup>.

وقد ظلت القِتلة الشَّيعة التي أنهت حياة الحسين بن منصور الحلاج سنة

٣٠٩هـ<sup>(٥)</sup> ماثلةً في أذهان الصَّوفيَّة، ومثالاً حيًّا لِمَا كانوا يخشون وقوعه

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكيم (٧٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٧/٨)، معجم الأدباء (٦١٤/٥)،  
وفيات الأعيان (٢٧١/٦)، عيون الأنباء (٦٤٤/١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٧/٨)، الجواب الصحيح (٤٩٧/٤).

(٤) اليواقيت والجواهر (٤٦/١).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام (٤٣/٢٣).



ويحذرون منه باستمرار، حيث أجمعوا على أنه باح بالسّر فاستوجبَ القتل؛ لأنّ "من صرّح بالتوحيد وأفشى الوجدانيّة فقتله أفضلُ من إحياء غيره!"<sup>(١)</sup>. وهذا يقودنا بالضرورة إلى التساؤل عن ماهيّة هذا السّر الذي كان دم الرّجل ثمناً لإظهاره على الملأ؟

الذي حقّقه شيخ الإسلام ابن تيميّة وقامت عليه شواهدُ كثيرة أنه القول بوحدة الوجود وما يتولّد عنه من أباطيل كفريّة.

قال شيخ الإسلام - : "لَمَّا كَانَ ظَهْرُ قَوْلِ النَّصَارِيِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَظْهَرُ أَنَّهُ بَاطِلٌ لَمْ يُمْكِنَ أَصْحَابَ هَذَا الْإِتِّحَادِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ كَمَا تَكَلَّمَتْ بِهِ النَّصَارِيُّ، بَلْ صَارَ عِنْدَهُمْ مِمَّا يُشْهَدُ وَلَا يُنْطَقُ بِهِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يُبَاحُ بِهَا، وَمَنْ بَاحَ بِالسَّرِّ قُتِلَ"<sup>(٢)</sup>.

ولمّا نقل ابنُ عجيبة الفاسي عن الحلّاج قوله :

أنا أنت بلا شكٍّ  
فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانِي  
وتوحيّدك توحيدي  
وعصيانك عصياني  
وقوله :

سبحان من أظهر ناسوته  
ثمّ بدا في خلقه ظاهراً  
سِرّ سنا لاهوته الثّاقب  
في صورة الأكل والشّارب  
كلحظة الحاجب بالحاجب  
حتى لقد عاينته خلقه

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/١٤٧).

(٢) منهاج السنّة النبويّة (٥/٣٧٣).

عقب على ذلك بقوله - : "وإظهار هذا وأمثاله قتل رضي الله عنه"<sup>(١)</sup>.  
فإن قيل : قد يكون القول بوحدة الوجود شيئاً انفرد به الحلاج ، ومن ثم لا يصح تعميمه على غيره.

فالجواب عن هذا أن يقال بأنّ هذا الاحتمال غير صحيح ؛ لأنّ إنكار القوم عليه كان متوجّهاً إلى إفشائه القول لا إلى ذات القول كما قال ابن الفارض المصري (٦٣٢هـ) - : "إنما قتل الحلاج لأنه باح بسرّه ، إذ شرط هذا التوحيد الكتم"<sup>(٢)</sup>.

كما أنهم كانوا يثنون عليه اعتقاده كما قال إبراهيم بن محمد النصاريازي (٣٦٧هـ) - : "إن كان بعد النبيين والصدّيقين موحد فهو الحلاج"<sup>(٣)</sup> ، وقال الشبلي - : "كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت"<sup>(٤)</sup>.

وفي وصيّة توجّه بها ابن عربيّ إلى كلّ سالك يأمره فيها بكتمان مشاهداته وعدم البوح بأسراره خوفاً عليه من أن يلقي مصير الحلاج فيقول :

وغصّ في بحر ذات الذات تُبصرُ  
عجائب ما تبدّت للعيان  
وأسراراً تراءت مُبهماتٍ  
مسترةً بأرواح المعاني

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكيم (٢٦١).

(٢) مصرع التصوّف (١٦٩).

(٣) تاريخ بغداد (١٢١/٨) ، تاريخ الإسلام (٣٦٩/٢٦) ، البداية والنهاية (١٣٢/١١).

(٤) انظر : تاريخ بغداد (١٢١/٨) ، سير أعلام النبلاء (٣٣١/١٤) ، البداية والنهاية (١٣٢/١١).

فَمَنْ فَهَمَ الْإِشَارَةَ فَلْيُصْنُهَا وَإِلَّا سَوْفَ يُقْتَلُ بِالسِّنَانِ

كحَلَّاجِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِالتَّدَانِي (١)

وهذه النصوص وأمثالها تدلّ دلالةً قاطعةً على أنّ الاختلاف بينهم إنما كان في أسلوب التعاطي لا في أساس الفكرة، وأنّ كثيراً منهم يعتقدون ما يعتقدُه الحلاج حذو القُدة بالقُدة إلّا أنه أظهر ما تمكّنوا من إبقائه سجيناً بين ضلوعهم.

\* \* \*

---

(١) الإسرا إلى المقام الأسرى (٥٩).

### المبحث الثالث:

بطلان هذه النظرية والآثار المترتبة عليها.

المطلب الأول: بطلان هذه النظرية.

لا شك أنّ هذه النظرية تتناقض مع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم جملةً وتفصيلاً، ذلك أنّ الله تعالى أنزل كتابه الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] "ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعدر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة"<sup>(١)</sup> كما قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وبعث نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو أفصح الخلق هادياً من الضلالة العمياء، وسراجاً منيراً في الليالي الظلماء، فبلغ الرسالة على الوجه الأتم، وأدى الأمانة كما حملها، وبين للناس ما نزل إليهم من ربهم بلا زيادة ولا نقصان، ويكفيه في ذلك شهادة ربه له حيث قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن شدة نصحها لأمتها وحرصه على هدايتهم أنه "كان يتكلم بكلام بين فصلٍ يحفظه من جلس إليه"<sup>(٢)</sup>، و"إذا تكلم تكلم ثلاثاً لكي يفهم عنه"<sup>(٣)</sup>،

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٨٣٩)، والترمذي في سننه برقم (٣٦٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها — واللفظ له —، والحديث حسنه الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/٦٣٧)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية (١١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٦٤٠) من حديث أنس رضي الله عنها، والحاكم في مستدركه برقم (٧٧١٦)، والطبراني في معجمه الكبير برقم (٨٠٩٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه — واللفظ له —.

وهو بهذا الصنيع يمثل أمر ربه في البلاغ في مثل قوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] وقوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٨٢].

ولم يفارق هذه الدار إلا بعدما علم الناس كل ما يحتاجون إليه في دينهم حتى الخِزَاءة وأحكامها وآدابها<sup>(١)</sup>، وأبان لهم عن الطريق الموصلة إلى ربهم، فكان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم - : "وايم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الأمر على ما يدعيه القوم من أن ثمة معاني أخرى لا يدل عليها ظاهر اللفظ من قريب ولا بعيد؛ فأبي فائدة من جعل القرآن عربياً مبيناً؟! وما جدوى التعليل بـ ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ إذا كان العلم الصحيح مستوراً خلف ظواهر التُّصُوص الجامدة؟! وكيف يكون الدين كاملاً وحقائقه محجوبة لا يصل إليها إلا خلص الخواص بعد مجاهدات ومصابرات؟! وما وجه الامتنان بذلك؟! وكيف تكون المحجة التي تركنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم بيضاء ليلها ونهارها سواء إذا كان للدين باطن يخالف الظاهر؟!

---

والحديث حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩/١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٨/٧).

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٢٣/١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٥) — واللفظ له —، والإمام أحمد في مسنده برقم (١٧١٨٢)، والحاكم في مستدركه برقم (٣٣١)، والطبراني في معجمه الكبير برقم (٦١٩) من حديث العروباض بن سارية رضي الله عنه.

والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٢/٢)، وصححه بطرقه وشواهد شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد.

ثم إنَّ الأصل المتَّفَق عليه في الشَّرِيعَة هو الأخذُ بالظَّاهر والتَّعويلُ عليه كما قال صلى الله عليه وسلم - : "يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ" (١) إلى غير ذلك ، فالادِّعاء بأنَّ وراء ظواهر التَّصوص أسراراً مطوَّبة لا يتَّفَق مع هذا الأصل القطعيّ.

ثمَّ إنَّ ما أشكل من آيات القرآن أو أُجمل ونحو ذلك فالمرجع في فهمه إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] ؛ لأنه لا أحد أعلمَ بمرادات الله من نبيِّه ، والمنقولُ عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من التَّفسير لا يشمل القرآن كلَّه ولا حتى أكثره ، مما يدلُّ على أنَّ الأصل لدى الصَّحابة هو فهمه على ظاهره بمقتضى اللِّسان العربيّ ، فأين هذا من دعوى الصُّوفيَّة أنَّ لكلِّ آيةٍ منه ظهراً وبطناً (٢)؟! ثمَّ إنَّ الله تعالى قد أوضح الحكمة من إنزال القرآن بقوله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] ، فكيف يكون تبيّناً وكلُّ آيةٍ منه بحاجةٍ في كشف معناها الحقيقيّ إلى بيان؟!

ثمَّ كيف يكون القرآن نوراً هادياً كما في قوله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] ومقاصده ومراداته الحقيقيَّة محجوبةٌ عن غير العارفين؟!

ثمَّ إنَّ من المعلوم بالضرّورة من سيرة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وهديِّه أنه لم يكن يُخفي شيئاً من أمور الدِّين أو يُعلن خلافَ ما يُضمر ، وهذا بلا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: قوت القلوب (١/١٠٥) ، إحياء علوم الدِّين (١/٢٨٩).

شكّ ما تقتضيه طبيعة الرّسالة؛ إذ يجب أن يتطابق ظاهرها وباطنُها، حتى إنه لما كان يومُ فتح مكة آمنَ النَّاسَ إلّا أربعةَ نفرٍ وامرأتين — منهم عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح — وكان عبدُ الله قد اختبأ عند عثمان بن عفّان، فجاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبيَّ الله: بايعَ عبدُ الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يأبى عليه، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حيث رأيته كفتُ يدي عن بيعته فيقتله؟" فقالوا: ما ندري يا رسولَ الله ما في نفسك، أَلَا أوَمأتَ إلينا بعينك! قال: إنه لا ينبغي لنبِيٍّ أن تكون له خائنة الأعين"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم امتنع عن الإشارة بالعين لئلا يكون له باطن يُخالف الظاهر فكيف يصحّ الادّعاء بأنّ وراء ظاهر الشريعة باطناً أسرّ به إلى بعض أصحابه؟!

وما ذكرناه هنا لا يعدو أن يكون إشاراتٍ عجلَى في بيان بطلان هذه النظريّة المشؤومة؛ ذلك أنّ مجرد تصوّرها على الحقيقة ومعرفة ما يترتب عليها من آثار كافٍ في نسفها.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٦٨٣)، والنسائي في سننه الصغرى برقم (٤٠٦٧)، والحاكم في مستدرکه برقم (٤٣٦٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

## المطلب الثاني : الآثار المترتبة عليها.

من أهمّ المعايير في تقييم نظريّات الفرق ومقالاتها هو الوقوف على مدى بعدها عن النّصوص واستشفاف مآلاتها، ونحن حين نحتكم إلى هذا المعيار المعرفيّ نجد أنّ آثار هذه النّظريّة المشؤومة في غاية الخطورة، ومنها ما يلي :

**أولاً:** إلغاء الفائدة من بعثة النّبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وذلك من

وجهين :

١- أنه إذا كان ظاهر الوحي المنزّل لا يطابق واقع الأمر ولا يُعبّر عن الحقيقة كما هي فما الفائدة من البعثة النّبويّة؟! ولماذا كان النّبيّ صلوات الله وسلامه عليه يُقاتل النّاس ويُفاصلهم بموجب ظواهر لا حقيقة لها؟!

٢ - أنه إذا كان بإمكان أيّ أحد الوصول إلى الحقيقة المطلقة وتلقّي الأنوار عن الله تعالى مباشرةً عبر بوابة المجاهدات؛ فهذا يعني بالضرورة إمكانيّة الاستغناء عن الرّسول صلى الله عليه وسلم، وهو من الكفر الذي لا يختلف فيه اثنان<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** عدم الوثوق بالشريعة وهداياتها، وهذا الشكّ نتيجة حتمية لكلّ من قال بهذه النّظريّة، فمن سيعمل بظواهر النّصوص إذا تشرب قلبه اعتقاد كونها غير مرادة لله ولا هادية إلى طريقه؟! ولهذا لم يكن من المستغرب أن تنتشر بين الصّوفيّة ظاهرة الانحلال من ربة الأحكام، والتّهاون في ارتكاب الموبقات.

**ثالثاً:** فتح باب الافتراء على الله ورسوله والإلحاد في دينه، وذلك لأنه إذا كانت ظواهر النّصوص غير موافقة لحقيقة الأمر، وكانت المرادات الحقيقيّة

(١) انظر: مدارج السّالكين (٢/٤٧٦).



غير مُدرّكةٍ إلّا لخواصّ المقرّبين منهم وعن طريق الكشف فقط، فمن الممكن لكلّ أحد أن يدّعي أنّ هذا المعنى أو ذلك هو المعنى الباطن، لا سيّما أنهم لا يشترطون أن يكون ما يراه الواحدٌ منهم من الكشوفات عينَ ما يراه الآخر؛ إذ التّصُّ يستوعب هذه المعاني كلّها ولو كانت متناقضة في ذاتها، و"ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار"<sup>(١)</sup>، ومن ثمّ يبقى الفضاء رحباً للتّلاعب بمعاني التّصوص والعبث بأحكام الشريعة.

وهذا بعينه هو ما يُسمّيه الحدّاثيون بالمستويات المتعدّدة لقراءة التّصُّ أو القراءات اللّامتناهية له.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - : "من فسّر القرآن أو الحديث وتأوّل على غير التفسير المعروف عن الصّحابة والتّابعين فهو مُفترٍ على الله، مُلحدٌ في آيات الله، مُحرّفٌ للكلم عن مواضعه، وهذا فتحٌ لباب الزّندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

**رابعاً:** فتح باب مخالفة الشّرع والتّشريع بلا دليل، وذلك لتقديمهم مقتضيات الكشف والدّوق على ظواهر الشّرع.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيميّة إلى هذا الأمر بقوله - : "وكثيرٌ من أهل الكشف يُلقى في قلبه أنّ هذا الطّعام حرام، أو أنّ هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر، وبالعكس قد يُلقى في قلبه محبةٌ شخص وأنه وليُّ الله أو أنّ هذا المال حلال"<sup>(٣)</sup>.

(١) الحِكْم العطاويّة بشرح ابن عبّاد النّفري الرّندي (٦٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢٤٣/١٣).

(٣) المصدر السّابق (٤٧٧/١٠).

وفيه أيضاً يقول بعضهم :

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمري والوجدُ أصدقُ نهَاءٍ وأمَارِ  
فإن أطعكَ وأعصِ الوجدَ عدتُ عمٍ عن العيانِ إلى أوهامِ أخبارِ<sup>(١)</sup>

وقال الألويسي الكبير - تعليقا على بعض كلام الغزالي - ما نصه - : "ما ينكشف لعلماء الباطن من حلِّ بعض الأشياء لهم - مع أنّ الشارع حرّمه على عباده مطلقاً - فيجب أن يقال : إنما انكشف حلّه لهم لما انكشف لهم من سببٍ خفيٍ يحلُّه لهم ، وتحريم الشارع تعالى ذلك على عباده مقيدٌ بانتفاء انكشاف السبب المحلِّ لهم ، فمن انكشف له ذلك السببُ حلٌّ له ومن لا فلا ، لكن الشارع سبحانه حرّمه على عباده على الإطلاق وترك ذلك القيد لندرة وقوعه إذ من ينكشف له قليلٌ جداً"<sup>(٢)</sup>.

ولمّا أنكر على أحد كبار الصوفيّة في أنه تزوّج عشر نساء وجمع في النكاح بين الأختين أجاز بقوله - : "الرّسول صلى الله عليه وسلم أذن لي بذلك"<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يتلاعب الشيطان بالقوم إلى ما لا نهاية باسم الكشف مع أنه لا عصمة إلا للنبي ، وما أعظم فقه ابن عباس رضي الله عنه حين كتب إليه نجدة الحروري يسأله عن قتل الصبيان؟ فكتب إليه : "إنّ رسول الله صلى الله عليه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٤٧٣) ، بيان تلبيس الجهميّة (٢/٥٣٩) ، الجواب الصّحيح (٤/٣٩٨) ، مدارج السالكين (٣/٤٤٢).

(٢) روح المعاني (١٦/١٩).

(٣) كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان (١٥٠).

وسلم لم يكن يقتل الصبيّان ، فلا تقتل الصبيّان إلّا أن تكون تعلم ما علّم  
الخضر من الصبيّ الذي قتل" (١) .  
ولا ريب بأنّ مقصوده رضي الله عنه هو "المحاجة والإحالة على ما لم  
يكن" (٢) .

\* \* \*

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨١٢) .  
(٢) روح المعاني (١٦/١٧) .

## الخلاصة

### وتتضمن أهم النتائج

١. وبعد أن منّ الله تعالى بالانتهاء من هذا البحث فهذا عرض لأبرز النتائج :
٢. أن بدايات التصوّف كانت في منتصف القرن الثاني الهجريّ تقريباً، وأمّا تحديد وقت معيّن بدقّة لها فأمر غير ممكن.
٣. أنّ النّواة الأولى للأفكار الصّوفيّة جاءت من الخلوات الطّويلة وما يصاحبها عادةً من طقوس وممارسات يقوم بها السّالك.
٤. أنّ متقدّمي الصّوفيّة متّفقون على الاحتفاء بتلك الخواطر من جهة المبدأ ومن حيث الجملة إلّا أنّ مشايخ الاستقامة منهم لم يكونوا يستعجلون في قبولها.
٥. أنّ القوم أتوا في الأصل من قلة العلم الشرعي ومن الزّهد فيه.
٦. أنّ قول الصّوفيّة بـ(الظاهر والباطن) وتزهيدهم في طلب العلم الشرعيّ ناشئ عن شدّة تعظيمهم للواردات القلبية واعتقادهم بأنه فيؤوض ربّانيّة وعطايا رحمنيّة.
٧. في مرحلة لاحقة أصبح الهمّ الأكبر للصّوفيّ ومنذ اللحظات الأولى لسلكه الطّريق هو الوصول إلى الكشف.
٨. ذهب بعضُ الباحثين إلى أنّ نظريّة (الظاهر والباطن) مما تلقّفه الصّوفيّة من الشيعة.
٩. أنّ أبا نصر السّراج هو أقدم - أو من أقدم - من نصّ على هذه القسمة الثّنائيّة.
١٠. ينظر الصّوفيّة إلى علوم الشّريعة (أي: علم الظّاهر) نظرةً دُنيّة، ويخصّون بها فقهاء الرّسوم.

نظريّة (الظاهر والباطن) عند الصّوفيّة وعلاقتها بظاهرة الغموض والكتمان لديهم  
دراسة في النّشأة والمفاهيم والأسباب والنتائج

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

١٠. أنّ العلم الباطن عند الصُوفية هو منتهى آمال السّالّكين، وهو العلم الصّحيح الذي يجب العملُ بموجبه والتّعويل على كشفه.
١١. يرى الصُوفية أنّ العلم الباطن لا يتحصّل بواسطة إجمالة النّظر وإعمال الفكر في ظواهر النّصوص — كما هو الشّأن في بقية العلوم — وإنما عن طريق الفيض الإلهيّ فقط.
١٢. يرى الصُوفية أنّ الفيض الإلهيّ العرفانيّ لا يتأتّى للسّالك إلّا بتعذيب النّفس وحرمان الجسد من اللذائذ.
١٣. يقدّم الصُوفية موجبات الواردات القلبية على مقتضيات الأدلّة السّمعية عند التّعارض.
١٤. أنه ليس للصُوفية مستمسك حقيقيّ في القول بـ(الظاهر والباطن)، بل جميع ما يستدلّون به في غاية الضّعف والتّهافت.
١٥. تقسيم الدّين إلى شريعة وحقيقة مما لا أصل له، وتبني الصُوفية له ناشيء من عجزهم عن الإفصاح عن عقائدهم كما هي؛ تمويهاً على العوامّ وغيرهم.
١٦. تولّدت ظاهرة السّريّة والغموض لدى الصُوفية من علمهم بمصادمة عقائدهم لما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم، وخوفهم من استحلال دمائهم بسبب ذلك.
١٧. أنّ من منهج الصُوفية كونهم لا يُفصحون عن عقائدهم إلّا لمن كان من أهل طريقتهم.
١٨. أنّ ظاهرة السّريّة مما يشترك فيه الصُوفية وسائر الفرق الباطنية والسّحرة كذلك.

١٩. أنّ عامّة ما يُبدیه الصّوفيّة من أسباب لما ينتهجونه من كتمان وغموض مما لا یمتّ إلى الحقيقة بصلّة.
٢٠. التّحقیق أنّ السّرّ الذی يتواصون بکتمانہ وعدم إذاعته هو القول بوحدة الوجود وما بنی علیہ من الفروع.
٢١. أنّ نظریّة (الظاهر والباطن) تتعارض مع أساسیّات بعثة النبیّ صلی الله علیه وسلم.

\* \* \*

## فهرس المصادر والمراجع

١. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدبّاغ، السّجلّماسي، أحمد بن مبارك بن محمد. ط٣، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢. أحاديث القصّاص، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: محمد الصّبّاغ، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣. إحياء علوم الدّين، الغزالي، محمد بن محمد بن محمد. دط، بيروت، دار المعرفة، دت.
٤. أخبار الحلّاج، البغدادي، علي بن أنجب السّاعي. تحقيق: موفق فوزي الجبر، ط٢، دمشق، دار الطليعة، ١٩٩٧م.
٥. الأخلاق المتبويّة المُفاضّة من الحضرة المحمديّة، الشّعراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. تحقيق: د. منيع محمود عبد الحليم، دط، القاهرة، مطبعة حسّان، ١٩٧٥م.
٦. آداب الصّحبة، السّلمي، محمد بن الحسين بن موسى. تحقيق: مجدي فتحي السّيّد، ط١، طنطا، دار الصّحابة للتراث، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٧. الأربعين في التّصوّف، السّلمي، محمد بن الحسين بن موسى. دط، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٨. أساس التّقديس في علم الكلام، الرّازي، محمد بن عمر بن الحسين. ط١، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩. الإسرا إلى المقام الأسرى، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. تحقيق وشرح: د. سعاد الحكيم، دط، بيروت، دندرة، دت.
١٠. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى)، القاري، علي بن سلطان محمد. تحقيق: محمد الصّبّاغ، دط، بيروت، دار الأمانة - مؤسّسة الرّسالة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١١. الإصابة في تمييز الصّحابة، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: علي

- محمد البجاوي، ط ١، بيروت، دار الجليل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٣. الأعلام، تأليف: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. ط ١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
١٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور. تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، د.ط، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٢هـ.
١٥. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٦. إنباء العُمر بأبناء العُمر، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: د.حسن حبشي، د.ط، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
١٧. إيقاظ الهمم في شرح الحكيم، ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، د.ط، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
١٨. البحر الزخار، البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط ١، بيروت - المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن - مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ.
١٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د.ط، القاهرة، الدكتور حسن عباس



زكي، ١٤١٩هـ.

٢٠. البداية والنهاية، القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير. د.ط، بيروت، مكتبة المعارف، د.ت.

٢١. بُغية المُرتاد في الردّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ.

٢٢. بيان تلبس الجهمية في تأسيس يدعهم الكلامية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٢هـ.

٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: مجموعة من المختصين، د.ط، د.م، دار الهداية، د.ت.

٢٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٥. تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروسي، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٥هـ.

٢٦. تاريخ بغداد، البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٢٧. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تحقيق: عمر بن غرامة العمري، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٢٨. التَّبصرة، ابن الجوزي، عبد الرَّحمن بن علي بن محمد. تحقيق: دم.مطفى عبد الواحد، ط١، مصر - لبنان، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللُّبْناني، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢٩. تخرِج الأحاديث السُّلَمِيَّة في التَّصَوُّف، ت السَّخَّاوي، محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد. تحقيق: علي حسن عبد الحميد، ط١، بيروت - عَمَّان، المكتب الإسلامي - دار عَمَّار، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٠. التَّصَوُّف: المنشأ والمصادر، ظهير، إحسان إلهي. ط١، لاهور، إدارة تُرجمان السُّنَّة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣١. التَّعَرُّف لمذهب أهل التَّصَوُّف، الكلَّاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم. د.ط، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٠٠هـ.
٣٢. تفسير البحر المحيط، أبو حيَّان، محمد بن يوسف بن علي. تحقيق: جماعة من المحقِّقين، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣٣. تفسير السُّلَمِي المعروف بـ(حقائق التَّفسير)، السُّلَمِي، محمد بن الحسين بن موسى. تحقيق: سيد عمران، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٤. تفسير القرآن العظيم، الفُرْشِي، إسماعيل بن عمر بن كَثِير. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
٣٥. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التَّفسير الكبير)، الرَّازِي، محمد بن عمر بن الحسن. ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٦. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، عبد الرَّحمن بن علي بن محمد. تحقيق: د. السَّيِّد الجميلي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٧. التَّمهيد لِمَا في الموطَّأ من المعاني والأسانيد، النَّمْرِي، يوسف بن عبد الله بن عبد

- البر. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، د.ط،  
المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.
٣٨. التوقيف على مهمات التعاريف، المنأوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين  
بن علي. تحقيق: د.محمد رضوان الداية، ط١، بيروت - دمشق، دار الفكر  
المعاصر - دار الفكر، ١٤١٠هـ.
٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. د.ط،  
بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
٤٠. الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه  
المعروف بـ(صحيح البخاري)، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم.  
تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، بيروت، دار ابن كثير - اليمامة، ١٤٠٧هـ  
- ١٩٨٧م.
٤١. الجامع الصحيح المعروف بـ(سنن الترمذي)، الترمذي، محمد بن عيسى بن  
سورة. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث  
العربي، د.ت.
٤٢. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب،  
عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم  
باجس، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. د.ط، القاهرة،  
دار الشعب، د.ت.
٤٤. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، الألوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله. تقديم:  
علي السيد صبح المدني، د.ط، مصر، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٥. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. تحقيق: علي سيد صبح المدني، د.ط، مصر، مطبعة المدني، د.ت.
٤٦. **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤٧. **الحكم العطائية لابن عطاء السكندري بشرح ابن عباد النفزي الرندي**، هيكل، محمد عبد المقصود. ط١، القاهرة، مركز الأهرام، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٨. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد. ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
٤٩. **الدّر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.
٥٠. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، دن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٥١. **درة الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص**، الشعّراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د.ط، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت.
٥٢. **ذم الكلام وأهله**، الهرّوي، عبد الله بن محمد بن علي. تحقيق: عبد الرحمن بن عبدالعزيز الشبل، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٥٣. **الرّد على القائلين بوحدة الوجود**، القاري، علي بن سلطان محمد. تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط١، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٤. الرَّدُّ عَلَى الْمُنْطَقِيِّينَ، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
٥٥. رُوحِ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي، الآلُوسِي، محمود بن عبد الله بن محمود. د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٥٦. السَّرَائِرُ الْحَاوِي لِتَحْرِيرِ الْفَتَاوِي، ابن إدريس، محمد بن منصور بن أحمد. ط٢، قم، مؤسَّسة النَّشْرِ الْإِسْلَامِي التَّابِعَةُ لِمَجْمَعَةِ الْمُدْرَسِينَ، ١٤١١هـ.
٥٧. سِلْسِلَةُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَشَيْءٌ مِنْ فَهْمِهَا وَفَوَائِدِهَا، الْأَبْنَانِي، محمد بن نوح بن نجاتي. ط١، الرِّيَاضُ، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ، د.ت.
٥٨. سِلْسِلَةُ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ وَأَثَرِهَا السَّيِّئِ فِي الْأُمَّةِ، الْأَبْنَانِي، محمد بن نوح بن نجاتي. ط١، الرِّيَاضُ، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥٩. السُّنَّةُ، الْمَرْوَزِي، محمد بن نصر بن الحجاج. تحقيق: سالم أحمد السلفي، ط١، بيروت، مؤسَّسة الْكُتُبِ الثَّقَافِيَّةِ، ١٤٠٨هـ.
٦٠. سُنَنُ ابْنِ مَاجِهَ، الْقَزْوِينِي، محمد بن يزيد بن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٦١. سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، الذَّهَبِي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: شُعَيْبُ الْأُرْنَؤُوطُ ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، بيروت، مؤسَّسة الرِّسَالَةِ، ١٤١٣هـ.
٦٢. السِّيْرَةُ الْحَلِيبِيَّةُ فِي سِيْرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ، الْحَلِيبِي، علي بن إبراهيم بن أحمد. د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ.
٦٣. شَذْرَاتُ الدَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ، الْحَنْبَلِي، عبد الحي بن أحمد بن محمد. تحقيق: عبدالقادر الأرْنَؤُوطُ ومحمود الأرْنَؤُوطُ، ط١، دمشق، دار بن كثير، ١٤٠٦هـ.

٦٤. شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. تحقيق: عبدالفتاح أبي غُدَّة، ط٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٥. شرح ديوان الحلاج، الشيباني، كامل مصطفى. ط٢، د.م، منشورات الجمل، د.ت.
٦٦. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦٧. شرف أصحاب الحديث، البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، د.ط، أنقرة، دار إحياء السنة النبوية.
٦٨. شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
٦٩. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، محمد بن نوح بن نجاتي. د.ط، بيروت، المكتب الإسلامي، د.ت.
٧٠. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بـ(صحيح مسلم)، القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٧١. صفة الصفة، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. تحقيق: محمود فاخوري ود.محمد رواس قلعه جي، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧٢. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، الشوكاني، محمد بن علي بن

- محمد. تحقيق: محمد صُبحي حسن الحَلّاق، ط ١، صنعاء، دار الهجرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٧٣. طبقات الصُوفية، السُّلَمي، محمد بن الحسين بن محمد. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٧٤. لوائح الأنوار القدسيّة في مناقب العلماء والصُوفية المعروف بـ(الطبقات الكبرى)، الشُّعْراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. تحقيق: أحمد عبد الرّحيم السّايح وتوفيق علي وهبة، ط ١، القاهرة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٥. الطبقات في خُصوص الأُولياء والصّالحين والعلماء والشُّعراء في السُّودان، الفضلي، محمد ضيف الله بن محمد الجعلي. د.ط، بيروت، المكتبة الثّقافيّة.
٧٦. طرح الشُّرب في شرح التّقريب، العراقي، أحمد عبد الرّحيم بن الحسين. تحقيق: عبد القادر محمد علي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٠م.
٧٧. العزلة والانفراد، ابن أبي الدّنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد. تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، ط ١، الرّياض، دار الوطن، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٨. العقّد الثّمين في تاريخ البلد الأمين، الفاسي المكيّ، محمد بن أحمد بن علي. تحقيق: محمد حامد الفقي وفؤاد سيد ومحمود الطّناحي، د.ط، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٩. العُمل المتناهية في الأحاديث الواهية، ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي بن محمد، تحقيق: خليل الميس، ط ١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٣هـ.
٨٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى. د.ط، بيروت، دار إحياء الثّراث العربي، د.ت.
٨١. عُيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، السّعدي، أحمد بن قاسم بن خليفة. تحقيق:

- الدكتور نزار رضا، د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.
٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: محبّ الدين الخطيب، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
٨٣. الفتوحات الإلهية، ابن عَجِيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، د.ط، القاهرة، عالم الفكر، د.ت.
٨٤. الفتوحات المكيّة في معرفه أسرار المالكيّة والملكيّة، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، القاهرة، دار الكتب العربيّة الكبرى، د.ت.
٨٥. الفردوس بمأثور الخطّاب، الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه، تحقيق: السعيد بن بسبوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٨٦. فُصُوص الحُكَم، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. تعليق: أبو العلا عفيفي، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
٨٧. فضائح الباطنية، الغزالي، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: عبد الرحمن بدوي، د.ط، الكويت، مؤسّسة دار الكتب الثّقافيّة، د.ت.
٨٨. فيض القدير شرح الجامع الصّغير، المُنَاوي، عبد الرّؤُوف بن تاج العارفين بن علي. ط١، مصر، المكتبة التّجاريّة الكبرى، ١٣٥٦ هـ.
٨٩. قُوت القُلُوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المُريد إلى مقام التّوحيد، أبو طالب، محمد بن علي بن عطية. تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٩٠. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، تعليق: علي أكبر غفاري، د.ط، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٣ هـ.



٩١. **الصَّفَدِيَّة**، ابن تيميَّة، أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السَّلَام. تحقيق: محمد رشاد سالم، د.ط، الرِّياض، دار الفضيلة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩٢. **الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار**، ابن أبي شَيْبَةَ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرِّياض، مكتبة الرُّشد، ١٤٠٩ هـ.
٩٣. **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البَزْدَوِي**، البُخَارِي، عبد العزيز أحمد بن محمد. تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٩٤. **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتُب والفُنون**، حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القُسطنطيني. د.ط، بيروت، دار الكُتُب العلميَّة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٩٥. **كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة**، الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح. د.ط، بيروت، دار الأضواء، د.ت.
٩٦. **كشف المُشكَل من حديث الصَّحيحين**، ابن الجوزي، عبد الرَّحْمَن بن علي بن محمد، تحقيق: علي حسين البوّاب، ط١، الرِّياض، دار الوطن، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٩٧. **الكواكب الدرِّيَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة المعروف بـ(طبقات المُنَاوي الكبرى)**، المُنَاوي، عبد الرُّؤف بن تاج العارفين بن علي، تحقيق: د.عبد الحميد صالح حمدان، د.ط، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت.
٩٨. **لسان العرب**، ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم بن علي. ط١، بيروت، دار صادر.
٩٩. **لنائف الإشارات المعروف بـ(تفسير القُشَيْرِي)**، القُشَيْرِي، عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك. تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، مصر، الهيئة المصريَّة العامَّة

للكتاب، د.ت.

١٠٠. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، البغدادي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٠١. لطائف المَن والأخلاق في وجوب التَّحَدُّثِ بنعمة الله على الإطلاق المعروف بـ(المَن الكبرى)، الشَّعْرَانِي، عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي، عناية: أحمد عزَّو عناية، ط١، دمشق، دار التَّقْوَى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٠٢. اللُّمَع، السَّرَّاج، عبد الله بن علي بن محمد. تحقيق وتقديم: د.عبد الحليم محمود وطفه عبد الباقي سرور، د.ط، مصر - بغداد، دار الكتب الحديثة - مكتبة المتَّي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
١٠٣. اللُّؤْلُؤُ المَرْصُوعُ فيما لا أَصْلَ له أو بأصله موضوع، الطَّرَابِلْسِي، محمد بن خليل بن إبراهيم. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلاميَّة، ١٤١٥هـ.
١٠٤. المَجَالِسَةُ وجواهر العلم، الدِّينُورِي، أحمد بن مروان بن محمد. ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٠٥. المُجْتَبَى مِنَ السُّنَنِ، النَّسَائِي، أحمد بن شُعَيْب بن علي. تحقيق: عبد الفَتَّاح أَبُو غُدَّة، ط٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٦. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ، الهَيْشَمِي، علي بن أبي بكر بن سليمان. د.ط، القاهرة - بيروت، دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
١٠٧. مَجْمُوعُ فِتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، ابن تَيْمِيَّةَ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلَام. تحقيق: عبد الرَّحْمَنِ بن محمد بن قاسم، ط٢، د.م، مكتبة ابن تَيْمِيَّةَ، د.ت.
١٠٨. مَخْتَصَرُ الشَّمَائِلِ المَحْمُودِيَّةِ، الألباني، محمد بن نوح بن نجاتي، ط٢، عمَّان،

المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

١٠٩. مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، البعلبي، محمد بن علي بن محمد. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، الدمام، دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١١١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بـ(تفسير التسنفي)، التسنفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١١٢. المذاهب الصوفية ومدارسها، قاسم، عبد الحكيم عبد الغني. ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.
١١٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الياضي، عبد الله بن أسعد بن علي. د.ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١٤. مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، علي بن سلطان محمد. تحقيق: جمال عيتاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١٥. المستدرک علی الصحیحین، التيسابوري، محمد بن عبدالله بن محمد. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١١٦. مسند أبي داود الطيالسي، الطيالسي، سليمان بن داود، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
١١٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل. د.ط، مصر، مؤسسة قرطبة، د.ت.

١١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشَّيباني، أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شُعَيْب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ط١، بيروت، مؤسَّسة الرِّسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١١٩. مشكاة الأنوار، الغزالي، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق وتقديم: الدكتور أبو العلا عفيفي، د.ط، القاهرة، الدَّار القومِيَّة، د.ت.

١٢٠. مصرع التَّصوُّف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. تحقيق: عبد الرَّحمن الوكيل، د.ط، مكَّة المكرَّمة، عبَّاس أحمد الباز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٢١. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بـ(معجم الأديباء)، الحموي، ياقوت بن عبد الله. ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢٢. المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السَّلَفِي، ط٢، الموصل، مكتبة الزَّهراء، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١٢٣. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخرُّج ما في الإحياء من الأخبار، العراقي، عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن. تحقيق: أشرف عبد المقصود، ط١، الرِّياض، مكتبة طبريَّة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢٤. المفردات في غريب القرآن، الرَّاغِب، الحسين بن محمد بن المُفضَّل. تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

١٢٥. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السَّخَّاوي، محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد. تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢٦. المُقدِّمة، ابن خَلْدون، عبد الرحمن بن محمد. ط٥، بيروت، دار القلم، ١٩٨٤م.

١٢٧. المنار المُنِيف في الصحيح والضعيف، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: عبد الفتاح أبو غُدّة، ط٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٣ هـ.
١٢٨. المُتَقَدِّم من الضَّلَال، الغزالي، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: الدكتور عبد الحلیم محمود، د.ط، مصر، دار الكتب الحديثة، د.ت.
١٢٩. منهاج السنّة النبویّة في نقض كلام الشیعة القدریّة، ابن تیمیّة، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، دم، مؤسّسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ.
١٣٠. مواقع النُجُوم ومطالع أهلة الأسرار والعُلُوم، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، صيدا - بيروت، المكتبة العصريّة، د.ت.
١٣١. المواهب اللدنیّة بالمَنَح المحمديّة، القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر. د.ط، القاهرة، المكتبة التّوفيقیّة، د.ت.
١٣٢. ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥ م.
١٣٣. نظرية الأخلاق والتّصوّف عند أبي حیان التّوحیدی، إبراهيم، وسيم. ط١، دمشق، دار دمشق، ١٩٩٤ م.
١٣٤. الوشي المَرْقُوم في بيان أحوال العُلُوم المعروف بـ(أبجد العلوم)، القنّوجي، صديق بن حسن بن علي. تحقيق: عبد الجبار زكار، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٧٨ م.
١٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر. تحقيق: إحسان عبّاس، د.ط، لبنان، دار التّحفاة، د.ت.
١٣٦. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الشّعْراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د.ط، بيروت، دار إحياء التّراث العربي - مؤسّسة التّاريخ العربي، د.ت.

\* \* \*

Ibn Al-qayyim, M.A.A. (1403). Al-manār al-munīf fi al-SaHiH wa al-DHa`if. (A, Abu Ghuddah, Ed.). Aleppo: Maktab al-maTbu`āt al-islamiyah.

Al-ghazāli, M.M. (n.d.). Al-munqidh min al-Dhalāl. (A, MaHmūd, Ed.). Egypt: Dār al-kutub al-Hadithah.

Ibn Taymyyah, A.A.A. (1406). Minhāj al-sunnah al-nabawiyah fi naqDH kalām al-shi`ah al-qadariyah. (M, R, Sālim, Ed.). Mu'asasat qurTubah.

Ibn Arabi, M.A.M. (n.d.). Mawāqi` al-nujūm wa maTāli` 'ahilat al-asrār wa al-`ulūm. (n.d.). Beirut: Al-maktabah al-`aSriyah.

Al-qasTalāni, A. M. A. (n.d.). Cairo: Al-maktabah al-tawfiqiyah.

Al-dhahabi, m. A. U. (1995.). Mizān al-i`tidal fi naqd al-rijāl. (A, M, Mu`awaDH, & A, Abdulmawjūd, Ed.). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Wasīm, I. (1994.). Nazhariyat al-akhlāq wa al-taSawwuf `ind ibn Hayān al-tawHidi. Damascus: Dār Dimashq.

Al-qinwaji, S.H.A. (1978.). Al-washi al-marqūm fi bayān aHwāl al-`ulūm al-ma`rūf bi (abjad al-`ulūm). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Ibn Khalkān, A. M. A. (n.d.). Wafiyāt al-a`yān wa anbā' abnā' al-zamān. (I, Abbās, Ed.). Lebanon: Dār al-thaqāfah.

Al-sha`rāni, A. A. A. (n.d.). Al-yawāqīt al-jawāhir fi bay ān `aqā'id al-akābir. Beirut: Dār iHiyā' al-turāth al-`arabi, mu'asasat al-tārīkh al-`arabi.

\* \* \*

Al-Nishapuri, M. A.( 1990) .Al-Mustadrak `ala al-SaHiHain. Ed. Mustafa Abdulqader Atta. 1st Edition. Beirut: Dar alktub Al`ilmiyah. .

Al-Tayalissi, S.D.(n.d.) Musnad Abi Dawud at-Tayalissi. . Beirut: Dar Alma`rifah.

Al-Shaybani,A.M (n.d.) Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal... Egypt: Mu'assasat Qurtuba.

Al-Shaybani, A.M (2001 ) Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal. Ed. Shu`aib Alarna'ut wa Adel Murishid et al.1st Edition. Beirut: Mu'asasat Alrisalah. 1421 AH-AD.

Alghazali, M.M.(n.d.) Mishkāt al-Anwār .. Ed.. Dr Abu al-`ala `Affi. Cairo: Aldar Alqawmiyah.

AlBiqā`i,I.O.(1980). MaSra` altaSawwuf (tanbīh alghabi ila takfir ibn `arabi) ed `abd `araHman alwakīl.publishing house, makkah almukarrama, `abbas ahmed al Baaz.

AlHamwi,Y.A (1991)Irshād al'arīb ila ma`rifat al'adīb alma`ruf bi(mu`jam al'udabā)1st ed, dār alktub al`ilmiyah

AlTabari,S.A (1983) Almu`jam alkabīr, ed.Alsalafi,H.A. 2nd ed almoSil. Maktabat alzahra'.

Al`iraqi,A.H (1995. Almughni `an Haml al'asfār fi al'asfār fi takhrij mā fi al'iHya'min al'akhbār ). Ed.ashraf `abdelmaqSud. 1st ed. alRiyadh maktabat Tabaraiyah.

Al-rāghib, A.M.A. (n.d.). Al-mufradāt fi gharīb al-qurān. (M, S, Kilāni, Ed.). Beirut: Dār al-ma`rifah.

Al-sakhāwi, M.A.M. (1985). Al-maqāSid al-Hasanah fi bayān kathīr min al-aHādīth al-mushtahirah `ala al-alsinah. Beirut: Dār al-kitāb al-`arabi.

Ibn Khaldūn, A.M.(1984). Al-muqadimah. Beirut: Dār al-qalam.

Al-Daynūri, A. M. M. (2002). Al-mujālasah wa Jawāher Al-`ilm (1st ed.). Beirut: Dār 'ibn Hazm.

Al-Nasā'ī, A. S. A. (1986). Al-Mujtabā min Al-Sunan (2nd ed.) (A. Abu Ghuddah, Ed.). Halab: Maktab Al-Matbū`āt Al-Islāmyyah.

Al-Haythami, A. A. S. (1407 AH). Majma` Al-Zawa'id wa manba` al-fawā'id (n. ed.). Cairo\ Beirut: Dār Al-Rayyan Litrāth.

Ibn Taymiyyah, A. A (n.d.) Majmu` Fatawa Shaykh al-Islam ibn Taymiyyah.. Ed. Abdulrahman b. Muhammad b. Qassem. 2nd Edition. Maktabat ibn Taymiyyah.

Alalbani, M.N(1406 AH) Mukhtasar Shama-il al-Muhammadiyah.. 2nd Edition. Amman: Almaktabah Al'islamiyah..

Al Ba`li, M. A(1986) .Mukhtasar al Fatawa al Misriyya al Ibn Taymiyya. Ed. Muhammad Hamid Al-Fiqi. 2nd Edition. Damman: Dar Ibn Alqayem..

Ibn Al-Qayyim, M.A (1973 ) Madarij al-Salikeen bayna manāzil iyyāka naabudu wa iyyāka nasta`in.. Ed. Muhammad Hamid Alfaqqi. 2nd Edition. Beirut: Dar Alkitab Alarabi. 1393 AH-AD.

Al Nasafi, A A.( 1998). Madarik Al Tanz ī l Wa Haqaa'iq Al Ta'w ī l al ma`ruf bi Tafssir an Nasafi). Ed. Yusuf Ali Badawi. 1st Edition. Beirut: Dar al-Kalam at-Tayyib. 1419 AH- AD.

Qassim. A.A (1999) Madhāhib al-Sufiyah wa-madārisuha.. 2nd edition. Cairo: Maktabat Madbouli. .

Al-Yafi`I, A. A(1993) Mir'āt al-janan wa 'Ibrat al-yaqazhan.. Cairo: Dar Alkitab Al'islami.–AD.

Al-Qari, A.S. (2001) Miraqat Al Mafatih Sharh Mishkat Al Masabih. Ed. Jamal Aitani. 1st Edition. Beirut: Dar Alkutub Al`ilmiyah. .



Ibn Abi Shayba, A.M (1409 AH).Al-Kitāb al-MuSannaf fī al-aḥādīth wa-al-āthār. (K.Y. Al-Hūt. (1st ed). Riyadh: Maktabat al-rushd.

Albukhari, A.A. Kashf Al-'asrār `an Usūl Fakhr al-Islām Al-bazdawi. (1997).(A.M. Omar). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Hāji Khalifah, M.A. (1992). Kashf al-ḡhunūn `an 'asāmi al-kutub wa al-funūn. Beirut: Dār Alkutub al-`ilmiyah.

Al-Irbili, A.I.(n.d.) Kashf al-ghomma fī ma'rifat al-'a'immah. Beirut: Dār al-aDHwā'.

Ibn Aljawzi, A.A.(1997). Kashf al-mushkil min Hadīth al-SaHiHayn. (A.H. Al-bawwab. (1st ed). Riyadh: Dār al-waTan.

Al-Munāwi, A.T.(n.d.). Al-kawākib al-durriyah fī Tarājim al-sadah al-Sufiyah al-ma`rūf bi( Tabaqāt al-munāwi al-kubra).(A.S. Hamdān Ed.) Cairo: A-Imaktabah al-azhariyah lilturāth.

Ibn Manzhūr Alafriqi, M.M(n.d.). Lisān al-Arab. Beirut: Dār Sāder.

Al-Qushayrī, A.H.(n.d.) Latā'if al-Ishārāt (Tafsīr al-qushayri). ( 3rd ed). (I. Al-Basyūni, Ed.). Egypt: Al-hay'ah al-maSriyah al-`āmah lil kitāb.

Al-baghdādī, A.A.(2004). Latā'if al-Ma'ārif fīma li mawāsīm al-`ām min al-wazhā'if.. (1st ed.). Beirut: Dār Ibn Hazm.

Al- Sha`rāni , A.A. (2004). Latā'if al-minan wa al-akhlāq fī wujūb al-taHadduth bi ni`mat Allah `ala al-iTlāq al-ma`rūf bi (al-Mīnan al-Kubra). (1st ed.). (A. Izzo Ed.) Damascus: Dār al-taqwa.

Al-sarrāj, A.A. (1960.). Al-Luma`. (A.M.Taha & A. Surrūr Ed.). Egypt – Baghdad: Dār al-kutub al-Hadithah – Maktabat al-muthanna.

Al-Tarabulsi, M. K. I. (1415 AH). Al-Lu'lu' Al-Marsū` Fīma La `asla Lahu 'aw bi'aslihi mawDHū` (1st ed.) (F. A. Zumurli, Ed.). Beirut: Dār Al-Bashā'ir Al-Islāmyyah.

Alaini, M.A.. (n.d.). Umdatul Qāri fi SharH SaHīH al-bukhāri. Beirut: Dār Ihyā' al-turāth al-arabi.

al-Sadi, A.Q..`uyūn al-anbā fi Tabaqāt al-aTibbā'. (N. Ridha). Beirut: Dār maktabat al-Hayāt.

Al-`asqalāni, A.A. (n.d.).FatH al-Bārī SharH ṢaHīH al-Bukhārī. (M.A. Al-Khatīb). Beirut: Dār al-ma`rifah.

Ibn Ajeebah, A.M.(n.d). Al-Futuhāt al-'ilāhiyah. Ed. Abdulrahman Hasan Mahmoud. Cairo: Alam Alfikr.

Ibn Arabi, M.A. (n.d.).Al futuhāt al-makkiyah fi ma'rifat al-asrār al-mālikiyyah wa almalakiyyah.Cairo: Dār al-kutub al-kubra.

Al-daylami, sh.sh. Al-firdaws bi Ma'thūr Al-khiTāb.(1406 AH).(A.B.Zaghlul). (1st ed.). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Inb Arabi, M.A.(n.d). FoSūs al-Hikam. A.A.Affi,Ed.). Beirut: Dār al-kitāb al-arabi.

Alghazali, M.M.(n.d.). FayDH al -bāTiniyah.( A.Badawi.,Ed.). Kuwait: Mu'asasat Dār al-kutub al-thaqāfiyah.

Al-munawi, A.T.. (1356 AH). FaiDHu a IQādir SharH Al-jami' Al-Saghīr.(1st ed.). Egypt: al-maktabah al-tijariyah Al-kubra.

Abu Talib, M.A. (2005).Qūt al-qulūb fi mu'amalt al-maHbūb wa waSf Tarīq al-murīd ila maqām al-tawHīd. (2nd ed.). (A.I. Al-kayāli, Ed.). Beirut: Dār Al-kutub Al-`ilmiyah.

Al-kulaini. M.Y.(1363 AH). Al-Kāfi. (.A. A.r Ghafāri). Tehran: Dār al-kutub alislāmiyah.

Ibn Taymiyyah, A.A. (2000). Al-Safadiyah. (M.R. Salim.). Riyadh: Dār al-faDHilah.

Al-Bayhaqi, A.A.(1410 AH).(1st ed).(M.A. Zaghlūl). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Al-albani, M.N.(n.d). SaHīh al-Jāmi` al-Saghīr wa Ziadatuhu. Beirut: almaktab al-islāmi.

Al-Qushayri, M. A. (n.d.).Al-Musnad al-SaHīH al-MukhtaSar min al-Sunani bi Naql al `adl `an al- `adl ila Rasūl Allah (PBUH) (SaHīH Muslim (M. F. Abdulbaqi., Ed.). Beirut: Dār IHyā al-Turāth al-arabi.

Ibn Al-jawzi, A. A. (1979). Saffat al-Safwa (2nd ed.) (M. Fakhūri & R. Qal`ah, Eds.). Beirut: Dār al-ma`rifah.

Al-shawkāni, M. A. (1990). Al-Sawārim al-Hidād al-qāTi`ah li`alā`iq `arbāb al-ittiHād (1st ed.) (M. S. Al-Hallāq, Ed.). San`ā: Dār al-hijrah.

Al-Sulami, M. A. (1998). Tabaqāt al-Sufiyya. (1st ed.) (M. A. Atta, Ed.). Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah

Al-Sha`rāni, A. A. (2005). LawāqiH al-anwār al-qudsiyya fī manāqib al-`ulama' wa-l-Sufiyya al-ma`rūf bi al-Tabaqāt al-kubra (A. A. Al-sāyeh & T. A. Wahba, Eds.). Cairo: Maktabat Al-thaqāfah Al-dīniyah.

AlfaDHli, M.D.(n.d) Al-tabaqat fī khusus al-'awliyā' wa-l-SaliHin wa-l-`ulamā' wa-l-shu`arā' fī-l-Sudan. Beirut: Al-maktabah al-Thaqāfiyah.

Al-`irāqi, A.A. (2000). TarH al-Tathrib fī SharH al-Taqrīb. (A.M.Ali Ed.). (1st ed.) Beirut: Dar Alkutub Alilmiah.

Ibn Abi al-Dunya, A.M.(1997). Al-`uzlah wa al-infirād.(1st ed.).(M.H. al-Salman Ed.). Riyadh: Dār al-waTan.

al-Fasi al-Makki, M.A.(1986.)Al-`aqd al-thamīn fī tārīkh al-Balad al-amīn..(M.H Alfiqqi, F. sayed,&M. aTannāHi). Beirut: Mu`assasat al-risālah.

Ibn Aljawzi, A.A.(1403 AH). Al-'Ilal Al-Mutanāhiyah fī al-aHadīth al-wāhiyah.(1st ed.). (Kh. Almayas.).Beirut: Dār al-kutub al-`ilmiyah.

Ibn Idrīs, M. (1411 AH). Al-Sarā'er al-Hāwi Li- TaHrīr al-Fatāwi. (2nd Ed).  
Qum: Mu'asasat al-nashr al-islāmi al-tābi`ah li jamā`at al-mudarsīn.

Al-Albāni M.N.(n.d) Silsilat al-aHadīth al- SaHiHah wa Shai' min Fiqhiha  
wa Fawa'iduha.(1st Ed). Riyadh: Maktabat al-Ma`āref.

Al-albāni, M. N.( 1992). Silsilat al-aHadīth al-DHa`īfah  
wal MawUDHu`ah wa atharuha al-saiy' fil-ummah. Riyadh: Maktabat al-Ma`ārif

Al-marwazi, M.N.A.(1408 AH.) .Al-Sunnah.( 1st Ed.). (S. A. Al-salafi.)  
Beirut: Mu'asasat al-Kutub al-Thaqāfiyah.

Al-Qazwini, M. Y.(n.d) Sunan Ibn Mājah,. (M. F. Abdulbāqi,Ed.).Beirut:  
Dār al-fikr.

Al-dhahabi, M A. (1413 AH). Siyar a`lām al-Nubalā. (9th Ed). ( sh. Al-  
arnāuT & Mal-`irqsūsi). Beirut: Mu'asasat al-Risālah.

Al-Halabi, A.I.(1400 AH) Al-Sirah Al-Halabiya fi Sirati al-'amīn wa al-  
Ma'mūn. Beirut: Dār al- al-Ma`ārif...

Al-Hanbali, A.A. (1406 AH). Shadharāt al-dhahab fi akhbār min dhahab.(1st  
ed.). (A.Al-arna'uT & M. Al-arnauT,Ed.). Damascus: Dār Ibn Kathīr.

Abd al-Raḥmān ibn A.M. (1986).SharH al-suyūTi li-sunan al-nisa'i. al-  
SuyūTi. (2ndt ed.).(A. Abi Ghuddah, Ed.). Aleppo: Maktab al-MaTbu`āt al-  
Islamiyah.

Al-Shabibi, K.M. (n.d.). SharH Diwān al-Hallāj. (2nd ed). Manshurāt-al-  
jamal.

Ibn baTāl, A.A. (2003).SharH SaHīH al-bukhāri . Ed. Yāser bin Ibrahīm.  
(2nd ed). Riyadh: Maktabat al-rushd.

Al-baghdādi, A.A.(e.d.).Sharaf aSHāb al-Hadīh. (M. S.Oghli). Ankara:  
I'Hyā' al-Sunnah al-nabawiyah.

Al-Alusī, N,M,A. Introduction by Al-Madanī, A,S, S. 1401 AH – 1981 AD. 'Jalā' al-Aīnān fī Muhākamat al-Ahmadaīn". Egypt: Matbaat al- Madanī.

Ibn Taīmīyah, A, 'A, 'A. Edited by Al-Madanī, A,S,S. Al Jawāb Al Sahīh Liman Badal Deen Al Masīh. Egypt: Matbaat al- Madanī.

Ibn al-Qayyīm, M,A,A. 1415 AH – 1995 AD. Hāshīyat ibn al-Qayyīm 'ala Sunan Abī Dāwud. (2nd Ed). Beirut, Dār Al Kutub Al Ilmīah.

Haīkal, M, A1408 AH -- 1988 AD.: Al-Hikam Al-'Ataīh Le Ibn `Ata 'Allah al-Iskandarī BesharH Ibn 'Abbad An-nafzi al-Rundī. (1st Ed). Cairo: Markaz Al-Ahrām.

Al-Asbahānī, A, `A,A. 1405 AH. Hīlyat Al-Aulīyā wa Tabaqāt al Asfiyā. (4th Ed). Beirut: Dār al-Kitāb al-Arabī.

Al-Suyūṭī, `A,A,M. (1993) AD .Al-Durr Al-Manthur Fi Al-Tafsīr Bil-Ma'thur. Beirut: Dār Alfikr.

Ibn Taymiyah, A. A. (1997). Dar' ta`ārudh l-`aql wa al-naql (A. Abdulrahmān, Ed.). Beirut: Dār Al Kutub Al-`ilmiyah.

Al-sha`rānī, A.A.(n.d) Durrat al-Ghawās `ala fatawa Sidi Ali. Cairo: al-Maktabah al-Azhariyah lil Turāth.

Alhrawī, A.M. (1998). Dham al-Kalām wa Ahlihi.(1st ed) (A. .A Al-Shibl.,Ed.). Almadinah Almunawarah : Maktaba al-'Ulūm wa al-Hikam.

Al-Qāri, A.M.(1995) Al-radd `ala Al-Qa'īlīn Bi WiHdat al-Wujūūd.(1st Ed.). (A.Ridha,ed.). Damascus: Dār al-Ma'mūn lil-Turāth.

Ibn Taymiyyah, A.A.(n.d). Al-Radd `ala ManTiqiyīn. Beirut: Dār Al Ma`rifa.

Al-al-'aūsi,A.M, (n.d). RūH al-Ma'āni fī Tafsīr-al-Qurān-al-'adhīm wa al-sab` al-mathāni. Dār IHiyā' al-turāth al-arabi.

Al-Sulami, M,H,M. Ed. Imrān,S. 1421 AH – 2001 AD.Tafsīr Al-Sulamī (Haqā'iq Al-Tafsir). 1st Edition. Beirut: Dār Al Kutub Al Ilmiah.

Kathīr,I, 'U,. 1401 AH.Tafsīr Al-Quran Al-Azīm. Beirut: Dar Alfir.

Al-Razī, M,U,H. 1421 AH – 2000 AD.Mafāṭīh Al-Ghaīb(Al-Tafsīr al-Kabīr).. (1st Ed). Beirut: Dār Al Kutub Al Ilmīah.

Ibn Al-Jawzī, A, 'A,M. Edited by Dr Aljamili,S. 1405 AH – 1985 AD.Talbees Iblees., 1st Edition. Beirut: Dār al-Kitāb al-Arabi.

Al-Nammarī, Y, A, A. Edited by Al-Alāwī M,A,and Al-Bakrī ,M,A. 1387 AH.At-Tamhīd Limā Fi Al-Muwatta Min al-Ma'ānī Wal-Asānīd. Morocco: Ministry of Awqāf and Islamic Affairs.

Al-Munāwī, M, A,T,A. Edited by Dr Al-Dāyah, M, R.1410 AH."Tawqīf 'Ala Muḥammāt Al-Ta'ārīf . (1st Ed). Beirut-Damascus: Dār Al Fikr Al Muaser: Dār al-Fikr.

Al-Ṭabarī, M,J,Y.(1405 AH ).Jāmi' al-bayān 'an ta'wīl āy al-Qur'ān. Beirut: Dār al-Kitāb..

Al-Bukhārī, M,I,I, (1987-1407H ).Al-Jāmi' Al-Sahih Al-Musnad al-MukhtaSar min Umur Rasool Allah wa sunanihi wa Ayyamihi (known as Sahih al-Bukhari). Edited by Dr. Al-Bughā, M,D. 3rd Edition. Beirut: Dār Ibn Katheer-al-Yamamāh. .

Al-Tirmidhī, M, 'Ī,S. Edited by Shaker, A,M, and others. Al-Jāmi' al-sahih (Sunan Al-Tirmidhī). Beirut: Dār Ihā' al-Turāth al-Arabī.

Ibn Rajab, 'A,A,'A. Edited by Al-Arnāut,S, and Bājis, I. 1417 AH – 1997 AD.Jāmi' al-'Ulum wa'l Hikam fi Sharh Khamsīn Hadīthan min Jawāmi' al-Kalim. 4th Edition. Beirut: Muassasah Al-Risālah.

Al-Qurtubī,M, A, A (n.d) .Al-Jami' li Ahkām al-Qur'an.Cairo,Dār al-Sh`ab.

Ibn Taymiyyah, A,A,A. Ed. Qassem, M ,A. 1392 AH. Bayān Talbīs al-Jahmiyyah fi T'asīs Bid'hum al Kalamīyah. 1st Ed. Makkah Al-Mukaramah: Matbaat Al-Hukumah,.

Al-Zabīdī,M,M,M.Tāj Al-Aroos Min Jawāher Alqamoos. , . Ed. A team of specialists. Dār al-Hidāyah.

Dhahabi, M, A, U. Ed. Dr Omar AbdulSalam Tadmori. 1407 AH-1987 AD.Tāreekh-Al-Islām wa Wafīāt Al-Mashāheer wal-A'laām. . (1st Ed). Beirut: Dar Alkitab al- Arabī.

Al-Aidarosī, A, S, A,.1405 AH.Tarīkh al Nour al Sāfer fi akhbār al qarn Al-`āAsher (1st Ed). Beirut: Dār Al-Kotob Al-ilmīyah.

Al-Baghdādī, A, 'A,T. Tārīkh Baghdād. Beirut: Dār Al Kutub Al Ilmīah.

Ibn `sāker, A, H, H. Ed. Al-'Amrawī, 'U,G. 1995 AD.Tārīkh madīnat DimashqWa dhikru fadhlihā wa tasmīyat man hallahā min al-amathil.. Beirut: Dār al-Fikrah.

Ibn al-Jawzī, A,A,M. Ed. Abdulwāhed ,M. 1390 AH – 1970 AD.Al-Tabsurah. (1st Ed). Egypt – Lebanon: Dār al-kitāb al-masrī – Dār al-Kitāb al-Lubnānī.

Al-Sakhawī,M, A, M. Ed.Abdulhameed,A.H. 1408 AH – 1988 AD.Takhrīj al-Hādīth Assulamīah fi al-Tasawuf 1st Edition. Beirut –Amman: Almaktab al-Islāmi. Dār Ammār.

Zaheer, I, I.1406 AH – 1986 AD.Al tasawwuf: al-Mansha'wa al-Masāder. (1st Ed). Lahor: Idāra Tarjumān al Sunnah.

Kalabādhi, M, Al.1400 AH.AL-Ta'arruf Li-Mazhab Ahl Al-Tasawwuf.Beirut: Dār Al Kutub Al Ilmīah.

Abuhaian, M, Y,A. Edited by a team of specialists. 1422 AH – 2001 AD.Tafseer al-Bahr al-Muheet.( 1st Ed). Beirut: Dār Al Kutub Al Ilmīah.

نظريّة (الظاهر والباطن) عند الصوفيّة وعلاقتها بظاهرة الغموض والكنمان لديهم  
دراسة في النشأة والمفاهيم والأسباب والنتائج  
د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

Al-Shanqiti, M. A(1995), ADHa' al-Bayan fi IDHaH al-Qur'an bi-al-Qur'an.. Ed. Maktab al-Buhuth al-Islamiyah. Beirut: Dar al-Fikr. .

Al-Zirikli, K.M (2002) Al A`lam.. 15th Edition. Beirut: Dar El `Ilm Lilmalayin. 2002 AD.

Al-Lalika'I ,H,H,M.(1402) Sharh Usool I'tiqaad Ahlu s-sunnah w al Jam ā 'ah min al-Kitāb wa al-Sunnah wa Ejmā` Alsahābah wa Tabi'een..wa man B`dahum. Ed..Dr Hamdan, A, ,S.Riyadh, Dā r Taība.

. Ibn Qayyim, M, A, A1395 AH-1975 AD.. Ighasatul Lahfān min Masayed al Shaytān .Ed.El-Fiqi, M, H. 3rd Edition. Berirut: Dār al-Ma`rifah.

Al-`Asqālānī, A, A,H. Ed. Dr Habshī, H. 1389 AH-1969 AD.Enba`a Al-Ghumr Bi-Abnā`a Al-Umr.. Egypt: Supreme Council for Islamic Affairs and Committee for the Revival of Islamic Heritage.

. Ibn 'Ajiba, A,M M. Rev.Hasabullah M,A. Iqāzh al-Himam fi Sharh al-Hikam. Cairo. Dār al-M`āref.

Al-Bazzar, A, A, A. Ed. Dr. Zain Allah ,M.1409 AH.Al-Bahr al-Zakhar. Beirut– Madīna Munawara(1st ED). Mu'assasat Ulūm al-Quran. Maktaba al-'Uloom wa al-Hikam.

Ibn 'Ajiba, A,M ,M.Ed.Raslān,A, A,Q.1419 AH.Al-Bahr al-madīd fi tafsīr al-Qur an al-majīd. Cairo.

Al-Qurashi,I, 'U, K. Al-bida'iah Wa AL-Niha'iah.Beirut: Maktabat al-Maāref.

Ibn Taymiyyah, A,A,A. Ed.al-Duwaish, S,M..1408 AH.Bughyat Al-Murtād fi Al-Radd 'ala Al-Mutafalsifah wa Al-QaraamiThah wa Al-BāThinīah, Ahl Al-Illhād min Al-Qae'leen bi alhulool wa Al-Itihad.1st Ed. Maktabat Al-'Ulūm wa Al-Hikam.



## List of References:

### Works cited

al-Sijilmasi A M , (2002) Ibriz Min Kalām Sidi Abdul-Aziz al-Dabbagh,. 3rd edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-`Ilmiyah.-.

Ibn Taymiyyah, A. (1972) AHadth al qoSas, ,. Edited: Muhammad Al Sabbagh. 1st Edition. Beirut. Al-Maktab al-Islami. -.

Al-Ghazali, B. M,(n.d) Ihya Ulum Al Din, ,. Beirut. Dar Al Maarifah.

Al-Baghdadi,A.S , (1997) Akhbar Al-Hallaj, ,. Ed. Muwaffaq Fawzi al-Jabr. 2nd Edition. Damascus. Dar AlTalī`a. AD.

Al Sha`rani, A. A,(1975) Al 'akhlaq al Matbuliah almufāDHa mina al Hadhra al Muhammadiyah,. Ed. Dr Muni Mahmoud Abdul Halim. Cairo. Hassan Publishing House. .

Al-sullami,M.H.M(1990), Adāb al SuHba,. Ed. Majdi Fathi Alsayed. 1st Edition. Tanta. Dar al-Sahābah lil-Turāth. -

Al-sullami,M.H.M (1981), al-'Arba`in fi l-taSawwuf,. Haidarabad. Majlis Dā'irat al-Ma`ārif al-Uthmaniyah. -

Alrāzi, M.U.H,( 1995), Asās al-Taqdis fi `Ilm al-Kalām,. 1st Edition. Beirut. Muassasat al-Kutub al-Thaqafiyah. -.

Ibn Arabi, M. A.M, Al-Isrā Ila Al-maqām Al-Asrā,. Ed. Dr Suad al-Hakīm. Beirut. Dandara.

Al-Qāri, A.S.M (1971), Al-Asrār al-Marfū`ah fi al-Akhbār al-MawDHu`ah ( known as al-MawDHu`at al-Kubra).. Ed. Muhammad al-Sabbagh. Beirut. Dar al-Amanah. Muasasat al-Risālah. -

Al-Asqalani, A.H (1992), Al-ISāba fi Tamyiz al-SaHāba,. Ed. Ali Muhammad al-Bajawi. 1st Edition. Beirut. Dar al-Jīl. -.

The Theory of Appearance (dzāhir) and Mystery (bāTin)  
in Sufism and its Relation to the Phenomena of  
Concealment and Ambiguity

Study of Origin, Concepts, Causes and Results

**Dr. Badr bin Nasser M Al-Awad**

Department of Doctrine and Contemporary Sects

Qassim University

**Abstract:**

This study deals with the theory of the “dzāhir” appearance and “bāTin” in Sufism, which is considered one of the most significant and most dangerous theories on which Sufism ontological structure is based. We have found that the path that prepared for the emergence of this theory was the retreats they secluded themselves in, to stay away from the splendor and hustle of life. Later, internal and external factors contributed to the formulation of their ideas as a complete philosophical theory.


Their gratification in the heart precepts and their strong belief in them, made them lead ascetic life and abstain from Shari`a law. Fearing the denial of scholars of their beliefs and the hostility of common people, they resorted to several tactics such as promoting the division of religion to “Shari`a” and “truth”, “dzāhir” and “bāTin”, and claimed that there is no contradiction between them at all, although reality is totally different.

The adoption of this theory led to two strange phenomena, concealment, and ambiguity. The sufis never cease recommending the concealment of their knowledge and revelations from those who do not belong to their group (way). If they need to speak, they stay away from lucidity and soften their words with ambiguities to the extent that coded language has become a feature of their writings. Their language verges on the mysterious to engulf their confessions.

Although they present a range of justifications in explaining these two phenomena, the real reason behind them lies in their awareness of the explicit clash of their beliefs with Islamic law (Shari`a), and their fear that they may face the shari`a strict sword, the same way Al- Hallaj did when he explicitly declared (pantheism).


The researcher suggests that declaring "pantheism" is the greatest secret that sufis insist on not revealing. The paper shows evidence of the invalidity of this ominous theory, and concludes with mentioning the dire implications of adopting it.

Keywords: sufism, pantheism, shari`a law, religious mysticism.



**جماعات التكفير نشأتها وأصولها الفكرية  
دراسة عقديّة نقديّة**

**د . كمال عبد العال تمام عبد العال  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**





## جماعات التكفير نشأتها وأصولها الفكرية

### دراسة عقديّة نقديّة

د. كمال عبد العال تمام عبدالعال

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ قبول البحث: ٢٩/٧/١٤٣٩هـ

تاريخ تقديم البحث: ١٣/٦/١٤٣٩هـ

### ملخص الدراسة :

باتت جماعات التكفير خطراً حقيقاً يهدد مجتمعاتنا؛ إذ إنه يضربها في عصبها وقوتها باستقطابه لشبابها وتضليله، والتغريب به ليسقط في براثن الضلال، ويسلك طريق الهاوية بين التكفير والتفسيق.

كيف نشأت هذه الجماعات؟ وما أهم الجذور التاريخية التي انبثقت منها جماعات التكفير؟ وما أهم أصولها الفكرية؟ وما نوع العلاقة بين خوارج الأمس وخوارج اليوم؟ ويهدف البحث إلى:

- ١- الكشف عن جذور جماعات التكفير، وتطورها، وبيان نشأتها، وانتشارها بين الشباب.
- ٢- الكشف عن المراكز الفكرية التي اعتمدها الجماعات الضالة، وبيان ما اشتملت عليه من مخالفات جسيمة لمنهج السلف.
- ٣- التحذير من خطورة هذه الجماعات، وآثارها السلبية على المجتمع عامة، وعلى الشباب خاصة.

وقد توصل البحث لجملة من النتائج أهمها: خطورة جماعات التكفير، وما تبثه من أفكار ضالة تؤثر على الفرد، والمجتمع، والأمة في وحدتها وأمنها.



## المقدمة:

إن الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَعْفَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١) (١)

من الفتن العظيمة التي عانت منها الأمة الإسلامية على مدار تاريخها فتنة الغلو في التكفير؛ إذ إنجماعات من أبنائها زلت فيها أقدامهم، وضلت فيها أفهامهم فكفروا المسلمين بغير مقتضى شرعي. ومن ثم استباحوا دماءهم واستحلوا أموالهم دون الاستناد إلى دليل من الشرع، أو برهان من السلف. وباتت جماعات التكفير خطراً حقيقياً يهدد مجتمعاتنا؛ إذ إنه يضربها في عصبها وقوتها باستقطابه

لشبابها، وتضليله، والتغريب به ليسقط في برائن الضلال، ويسلك طريق

---

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة أخرجها كل من : مسلم في كتاب الجمعة - باب خطبته في الجمعة عن ابن عباس ( مسلم بشرح النووي ٥٢٠، ٢ ، و أبو داود في سننه في كتاب النكاح - باب في خطبة النكاح عن عبدالله ( سنن أبي داود ٢، ٥٩١ ، والترمذي في سننه في كتاب النكاح - باب في خطبة النكاح عن ابن عباس ( سنن الترمذي ٣، ٤١٣ ) .

الهاوية بين التكفير والتفسيق.

لقد اتسمت جماعات التكفير منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر بالعدوانية على المستوى الفكري فغالت في أفكارها، وفسرت الدين وفق أهوائها بما يخالف نصوص الكتاب، والسنة، وفهم سلف الأمة، وتأولوا المسلمات، والثواب بالهوى، والضلال.

ونتيجة عن هذا أن انتشر الفكر التكفيري بين أوساط الشباب المغرر بهم فصاروا وبالاً على الأمة بأفكارهم الضالة وأفعالهم المخربة.

لقد جاء جماعات التكفير بفكر جديد، فكر التكفير والتبديع، والاغتيالات والقتل، والتفجيرات والدم؛ فأزهقت أرواحاً بريئة، وأتلفت أموالاً معصومة، وانتهكت أعراضاً بغير حق، واختل الأمن في كثير من البلدان والدول.

لقد صار واجباً أن تقوم الجامعات وأصحاب الرأي والفكر بتصحيح الخطأ، وترشيد الشباب، وتحديد المسار، وتحصين النشء من سموم جماعات التكفير القاتلة.

ولما كانت خطورة جماعات التكفير واضحة؛ قصدت دراسة نشأة جماعات التكفير، وأصولها الفكرية التي اعتمدت عليها فجاء موضوع بحثي بعنوان: "جماعات التكفير نشأتها وأصولها الفكرية دراسة عقديّة نقدية"

### أسباب اختيار الموضوع:

إن من أهم ما دفعني للخوض في خضم هذا البحث ما يلي:

١- انتشار جماعات التكفير، وآرائهم الضالة في المجتمعات المسلمة وخاصة بين شريحة الشباب؛ مما أدى إلى الانحراف الفكري، والفهم الخاطئ لمسائل الشرع.

٢- أن ظهور جماعات التكفير، وما ترتب عليها من إصدار أحكام



التكفير على المسلمين، والقيام بتفجيرات تودي بأرواح الأبرياء، والعيث في الأرض فساداً تستدعي التفكير في الكشف عن جذورها في حياة المسلمين المعاصرين، ومعرفة أصولها الضالة لتحسين عقول الناشئة.

٣- تنوع القنوات والوسائل لدى جماعات التكفير التي تمكنها من المجاهرة بأفكارها، والتدليس على الشباب بالشعارات البراقة، والافتراءات الكاذبة.

### مشكلة البحث:

وتكمن مشكلة البحث في مجموعة من الأسئلة أهمها :  
ما أهم الجذور التاريخية التي انبثقت منها جماعات التكفير ؟ وكيف نشأت هذه الجماعات ؟ وما أهم المرتكزات الفكرية لجماعات التكفير ؟ وما نوع العلاقة بين خوارج الأمس وخوارج اليوم ؟

### حدود البحث:

أما عن حدود البحث الموضوعية فتقتصر على تتبع الفكر التكفيري عند الفرق القديمة، ونشأته وأصوله عند الجماعات والتنظيمات المعاصرة.

### أهداف البحث:

وتحدد أهمية البحث في :  
١ يهدف البحث إلى الكشف عن جذور جماعات التكفير، وتطورها، وبيان نشأتها، وانتشارها بين الشباب.  
٢- يهدف البحث إلى الكشف عن المرتكزات الفكرية التي اعتمدها الجماعات الضالة، وبيان ما اشتملت عليه من مخالقات جسيمة لمنهج سلف الأمة.  
٣ - التحذير من خطورة هذه الجماعات، وآثارها السلبية على المجتمع عامة، وعلى الشباب خاصة.

## منهج البحث:

أما عن المنهج فقد يتنوع تبعاً لطبيعة البحث فهناك:  
المنهج الوصفي: الذي أكتفي فيه بالرصد والعرض.  
المنهج التاريخي: الذي يتتبع الفكرة لدى أصحابها.  
المنهج التحليلي المقارن: الذي يقوم على رصد الأدلة في مصادرها وتحليلها ومقارنتها بالأدلة الأخرى ما أمكن.  
المنهج النقدي: الذي لا يتردد في التنبيه على نقاط الضعف والقوة في أية فكرة، والإشارة إلى الخطأ في أي موضع.

## إجراءات البحث:

- جمعت مادة البحث من مصادرها الأصلية، واجتهدت في توثيق نسبة كل قول لقائله.  
- في البداية أذكر الأفكار الضالة التي تبنتها هذه الجماعات عازياً إياها لقائلها إن وجد.  
- ثم أثني بذكر ما احتج به من دلائل وقرائن للانتصار لرأيه وفكرته.  
- كذلك عنيت الدراسة بذكر التعريفات للمصطلحات التي يمكن أن تكون غامضة.  
- عنيت الدراسة بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، وذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكذلك عنيت بتخريج الأحاديث الواردة خلال البحث.

## خطة البحث:

جاء التكوين العلمي للبحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:  
المقدمة: وفيها أسباب اختياري لهذا الموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته.

المبحث الأول: الجذور التاريخية لجماعات التكفير، ويشتمل على ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: التكفير عند الخوارج.

المطلب الثاني: التكفير عند الشيعة.

المطلب الثالث: التكفير عند المعتزلة.

المبحث الثاني: جماعة التكفير والهجرة نشأتها، وأصولها، ويشتمل

على مطلبين:

المطلب الأول: نشأة جماعة " التكفير والهجرة " .

المطلب الثاني: الأصول الفكرية لجماعة " التكفير والهجرة .

المبحث الثالث: تنظيم القاعدة نشأته، وأصوله.

المطلب الأول: نشأة تنظيم القاعدة .

المطلب الثاني: الأصول الفكرية لتنظيم القاعدة .

المبحث الرابع: جماعة تنظيم الدولة نشأتها، وأصولها.

المطلب الأول: نشأة تنظيم الدولة ( داعش ) .

المطلب الثاني: الأصول الفكرية لتنظيم الدولة ( داعش ) .

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: الجذور التاريخية لجماعات التكفير

من المقرر عند سلف الأمة - رضي الله عنهم - أن الحكم بالتكفير والتفسيق ليس

إلينا؛ بل هو إلى الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو من الأحكام

الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة. فيجب الثبوت فيه غاية الثبوت فلا يكفر،

ولا يفسق إلا من دل الكتاب، والسنة على كفره، أو فسقه. <sup>(١)</sup>

(١) ينظر: مجموع الفتاوى /ابن تيمية ج١٢/٤٦٦، وينظر مجموع فتاوى ورسائل الشيخ

محمد بن صالح العثيمين / ج٣/ ٢٤٣

وقد عد علماء السلف - رحمهم الله - التكفير من أشد أنواع البغي، يقول ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ): "فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه بل يخلده في النار."<sup>(١)</sup>

ورغم أن الشارع الحكيم بين في كثير من النصوص أن التكفير ليس حكماً متروكاً للأهواء والشهوات ونحوها، وجعل له ضوابط وقيوداً، كما جعل له موانع وشروطاً؛ إلا أنه قد ظهر في تاريخ المسلمين - قديماً وحديثاً - من أسرف في الحكم على الناس بالكفر، وسارع في إخراجهم من دين الله - تعالى - بهواه وجهله.

فقد ظهرت فرق وجماعات في تاريخ المسلمين القديم خرجت عن المنهج الوسط، ووقعت في برائن التطرف الفكري، وغالت في أحكام الشرع، وكانت نواة لما تعانيه الأمة من أفكار غالية، وآراء متطرفة في عصرها الحديث.

### المطلب الأول: التكفير عند الخوارج:

خرج الخوارج على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -، ورفضوا تحكيم الحكمين وقالوا: " لا حكم إلا لله، ومن حكم غيره فقد كفر"<sup>(٢)</sup>، وتفرقوا فيما بينهم إلى عشرين فرقة.

ويرى الكعبي (ت: ٣١٧هـ) أن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار "علي، و"عثمان" والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، و الإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام

(١) شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز / ٢ / ٤٣٦

(٢) ينظر: الملل والنحل / للشهرستاني / ج ١ / ص ١٠٦

الجائر<sup>(١)</sup> بينما ذهب الأشعري (ت: ٣٣٠هـ) إلى أن الذي يجمعها إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وصبو الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر، ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب<sup>(٢)</sup>

وكان أول من أطلق عنان التكفير من الخوارج " طائفة المحكمة " إذ إن دينهم إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، ومعاوية، وأصحابه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وإكفار كل ذي ذنب ومعصية.<sup>(٣)</sup>

ثم جاء الأزارقة فغالوا في التكفير، واستحدثوا بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان منها: قولهم: بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، ومنها: قولهم: إن القعدة - ممن كان على رأيهم - عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم، ومنها: أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم، وزعموا أن الأطفال مشركون وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار.<sup>(٤)</sup>

يقول الأشعري (ت: ٣٣٠هـ): " والأزارقة تقول: إن كل كبيرة كفر، وإن الدار دار كفر، يعنون دار مخالفيهم، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالداً مخلداً، ويكفرون علياً - رضوان الله عليه - في التحكيم، ويكفرون الحكمين: أبا موسى، وعمرو بن العاص، ويرون قتل الأطفال."<sup>(٥)</sup>

(١) ينظر: الفرق بين الفرق / للبغدادي / ص ٥٥

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين / للأشعري ج ١ / ص ١٦٧

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق / للبغدادي ص ٦١

(٤) ينظر: الملل والنحل / للشهرستاني ج ١ / ص ١١٣

(٥) مقالات الإسلاميين / للأشعري ج ١ / ص ١٧٠

وقد قسم الخوارج الناس إلى قسمين: مؤمن، أو كافر، والمؤمن - عندهم - من فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار. ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك.<sup>(١)</sup>

وألحق الخوارج المسلمين بالكفار في الأحكام، والدار، والمعاملة، والقتال، قال "شيخ الإسلام ابن تيمية" - رحمه الله - (ت: ٧٢٨هـ): "وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك".<sup>(٢)</sup>

وبين شيخ الإسلام - رحمه الله - ما رتبته الخوارج على تكفير المسلمين بالذنوب فقال: "والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين، وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار إيمان."<sup>(٣)</sup>

ومن ثم لم يعد جهادهم ضد الكفار، بل ضد أهل السنة من عامة المسلمين، إذ كانوا يرون هؤلاء كفاراً، بل أشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس. ويحسبون قتال عدوهم هذا أهم الفروض<sup>(٤)</sup>

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (ت: ٧٢٨هـ) "أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم،

(١) ينظر: مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ٧، ص ٤٨٢

(٢) الاستقامة / لابن تيمية ج ١، ٤٣١

(٣) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ١٩، ص ٧٣

(٤) ينظر: الخوارج والمرجئة / محمد إبراهيم الفيومي / ص ٢٠٤

مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم، وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة." (١)

### تعقيب:

ويمكن أن نسجل على غلو الخوارج في مسألة التكفير ما يلي:

**أولاً:** لا يخفى أن ما ذهب إليه الخوارج من آراء غير صحيح؛ بل هي خلاف قواعد الدين الصحيحة، فإن قتل المسلم، أو تكفيره أمر عظيم قد حرمه الإسلام ونهى عنه، وجعل إتيانه من الكبائر، وصيانة حياة المسلم قاعدة بديهية، وأساسية في الإسلام لا تحتاج إلى إيراد الكثير من الأدلة، فهم بذلك قد خالفوا قواعد الدين الصحيحة. (٢)

**ثانياً:** والذي يترأى لي أن سقوط الخوارج في برائن التكفير سببه سوء فهمهم للقرآن الكريم، وعدم جلوسهم للصحابة - رضي الله عنهم - وأخذ العلم منهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله -: "كانت البدع الأولى مثل "بدعة الخوارج" إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي. قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر، وهو مخلد في النار. ثم قالوا: وعثمان، وعلي، ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها مقدمتان. "الواحدة": أن من خالف القرآن بعمل، أو برأى أخطأ فيه فهو كافر. "والثانية": أن عثمان، وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك؛ ولهذا يجب الاحتراز

(١) منهاج السنة النبوية / لابن تيمية / ج ٥ / ٢٤٨

(٢) ينظر: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة / علي عبدالفتاح المغربي ص ١٨١

من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم" (١)

### المطلب الثاني: التكفير عند الشيعة

التكفير عند الشيعة عقيدة راسخة لا يعترها أدنى شك، وأمر ثابت لا يحتاج إلى برهان، وقد اشتملت كتبهم على الكثير من أقول أئمة الشيعة التي تثبت تكفير جميع المسلمين، وتلزم أتباعهم بالاعتقاد بها والعمل بمقتضاها (٢) قال عبدالله شبر (ت: ١٢٤٢ هـ): "وقد دلت أخبار كثيرة على كفر المخالفين يحتاج جمعها إلى كتاب مفرد." (٣) وقال الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ): "وما يمكن أن يستدل به على نجاسة المخالفين وجوه ثلاثة الأول: ما ورد في الروايات الكثيرة البالغة حد الاستفاضة من أن المخالف لهم كافر." (٤) وجاء في "الكافي" قال الصادق (ت: ١٤٨ هـ) قال: "أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله - تعالى - جهرة." (٥)

ولأن الشيعة يعدون الإمامة من أصول الدين، وطوق النجاة والسبب الرئيس في دخول الجنة فقد ذهبوا إلى أن عدم الاعتراف بأئمتهم كفر يستلزم الخلود في النار. قال المفيد (ت: ٤١٣ هـ):

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج١٣ / ص ٣٠-٣١

(٢) ينظر: الفكر التكفيرى عند الشيعة حقيقة أم افتراء / لعبدالمملك الشافعي / ص ٢٥

(٣) الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة / لعبدالله شبر ص ١٥٠

(٤) التنقيح في شرح العروة الوثقى / للخوئي / ج ٣ / ص ٧٧

(٥) أصول الكافي / للكليني / ج ٢ / ص ٤٠٩



واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة ، وجحد ما أوجبه الله - تعالى - من فرض الطاعة فهو كافر، ضال، مستحق للخلود في النار." (١)

ويرى "الموسوي" (ت: ١٣٧٧هـ) أن النجاة يوم القيامة مخصصة بمن يعتقد بالولاية، والإمامة، وما عداهم يخلد في النار فيقول "الموسوي" (ت: ١٣٧٧هـ): "إن عندنا صحاحاً آخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر، فهي السنة التالية للكتاب، وهي الجنة الواقية من العذاب، تعلن بالبشائر لأهل الإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر لكنها تخصص ما سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله، وعترته الطاهرة" (٢)

وقد اشتهر غلاة الشيعة بتكفير الصحابة - رضي الله عنهم، وتفردوا بها عن سائر الفرق، واشتملت مروياتهم على الكفر، واللعن للخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - صراحة، وبأسمائهم. قال المجلسي (ت: ١١١١هـ): "أقول: الأخبار الدالة على كفر أبي بكر، وعمر، وأضرابهما، وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم، أكثر من أن يذكر في هذا المجلد، أو في مجلدات شتى، وفيما أوردناه كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم." (٣)

ونقل المفيد (ت: ٤١٣هـ) اتفاق الإمامية، وكثير من الزيدية على القول بكفر الخلفاء قبل "علي" - رضي الله عنه - وخلودهم في النار، فقال: "واتفقت الإمامية، وكثير من الزيدية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين ضلال فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عن مقام رسول الله -

(١) أوائل المقالات / للمفيد ص ٤٤

(٢) الفصول المهمة / لعبدالحسين شرف الدين الموسوي / ص ٣٢

(٣) بحار الأنوار / للمجلسي / ج ٣٠ / ص ٣٩٩

صلوات الله عليه وآله - عصاة ظالمون، وفي النار بظلمهم مخلدون." (١)

ووصل بهم الأمر أنهم حكموا على الصحابة أجمع بالكفر، ولم يستثنوا منهم إلا ثلاثة فيروي الكشي (ت: ٣٥٠ هـ) عن أبي جعفر أنه قال: " كان الناس على ردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وذلك قول الله عز وجل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤) (٢)

#### ملاحظات:

ويمكن أن نسجل على بدعة التكفير عند الشيعة ما يلي:

**أولاً:** أن الرفضية شاركوا الخوارج في نفس الفكر التكفيري، بيد أن الخوارج صرحوا بفكرهم التكفيري علناً، وقالوا: هذه عقيدتنا التي نؤمن بها، ونتعبد بها. أما الرفضية فلم يملكوا جرأة الإفصاح عن معتقدتهم التكفيرية أمام المسلمين، بل أعلنوا كذباً، وزوراً عدم تبنيهم له، مع أنمرويات أئمتهم، وفتاوي علمائهم تضافرت على إثباته. (٣)

**ثانياً:** يلاحظ أنه إذا كان الخوارج قد كفروا "عثمان" و"علياً" - رضي الله عنهما - فإن الرفضية إن لم يكونوا شراً من الخوارج فليسوا دونهم في الحكم على صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالكفر، قال شيخ الإسلام " ابن

(١) أوائل المقالات / للمفيد ص ٤٤

(٢) رجال الكشي / للكشي / ص ١٢

(٣) ينظر: الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء / لعبدالمالك الشافعي / ص ٩

تيمية " ( ت : ٧٢٨هـ ) : " وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شراً من الخوارج المنصوصين فليسوا دونهم ، فإن أولئك إنما كفروا عثمان ، وعلياً ، وأتباع عثمان ، وعلي فقط ، دون من قعد عن القتال ، أو مات قبل ذلك . والرافضة كفرت " أبا بكر " ، و " عمر " و " عثمان " ، وعامة المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان - رضي الله عنهم ، كفروا جماهير أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من المتقدمين والمتأخرين ، فيكفرون كل من اعتقد في " أبي بكر " ، و " عمر " ، والمهاجرين ، والأنصار العدالة ، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم ، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم " (١)

### المطلب الثالث : التكفير عند المعتزلة

يقرر البغدادي ( ت : ٤٢٩هـ ) وجود التكفير في الفكر المعتزلي ، واعتقاد فرق المعتزلة وطوائفها في هذه البدعة فيقول : " قد ذكرنا قبل هذا أن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرهما . " (٢)

ونقل الشهرستاني ( ت : ٥٤٨ هـ ) عن هشام الفوطي ( ت : ٢٤٦هـ ) تكفيره لمن قال : إن الجنة والنار مخلوقتان الآن لزعمه أنه لا فائدة في وجودهما ، وهما جميعاً خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما . (٣)

ويظهر تأثر المعتزلة بالخوارج في اطلاق حكم الكفر على الدار بمجرد عدم التسليم لآرائهم الضالة من نفي الصفات ، ونفي خلق الله للأفعال ، يقول

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ٢٨ ، ص ٤٧٧ ، وانظر البداية والنهاية / لابن كثير / ج ٩ ، ص ٣٤ .

(٢) ينظر : الفرق بين الفرق / للبغدادي / ص ١٠٤

(٣) ينظر : الملل والنحل / للشهرستاني / ج ١ / ٦٤ ، وانظر : المنية والأمل للقاضي

عبدالجبار ص ١٧٣

القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ) عن محمد بن عمر الصيمري (ت: ٣١١هـ):  
"كان مذهبه في الدار أنه إذا غلب الجبر والتشبيه؛ فهي دار كفر." (١)  
وتظهر نزعة التكفير عند فرقة "المردارية" وزعيمها أبو موسى المردار  
(ت: ٢٢٦هـ) فقد كان يقول:

بتكفير من لباس السلطان، ويزعم أنه لا يرث ولا يورث، وزعم المردار -  
أيضاً - أن من أجاز رؤية الله - تعالى - بالأبصار بلا كيف فهو كافر. (٢)  
وذكر القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ) عن المردار أنه "كفر من قال بقدم  
القرآن؛ لأنه قد أثبت قديمين، وكفر من قال أن أعمال العباد مخلوقة لله -  
تعالى، وغلا في التكفير، حتى قال هم جميعاً كافرون في قولهم لا إله إلا الله.  
وقد سأله إبراهيم السندي مرة عن أهل الأرض جميعاً، فكفرهم، فأقبل  
عليه إبراهيم، وقال: الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا  
أنت، وثلاثة وافقوك؟ فخزي ولم يجد جواباً." (٣)

وبلغت نزعة التكفير ذروتها عند المعتزلة فجعل بعضهم يكفر بعضاً بمجرد  
الاختلاف في أصل من أصول الاعتزال كما حدث مع ضرار بن عمرو  
(ت: ٢٣٠هـ) عندما خالفهم في أصل العدل كفروه وطروده. رغم أنه كان  
مقدماً عندهم، قال الحاكم الجشمي (ت: ٤٩٤هـ): "وجملة القول أن  
المعتزلة هم الغالبون على الكلام العالون على أهله، فالكلام منهم بدأ،

(١) المنية والأمل / للقاضي عبد الجبار / ص ٨٢

(٢) ينظر: المنية والأمل / للقاضي عبد الجبار / ص ١٧٠

(٣) المنية والأمل / للقاضي عبد الجبار / ١٧٠، وانظر: الملل والنحل / للشهرستاني /

وفيهم نشأ، وكل من أخذ من الكلام، أو ما يوجد من الكلام في أيدي الناس فمنهم أخذ، ومن أئمتهم اقتبس حتى من خالفهم أخذ منهم، فتمنى رئاسة لم يدركها فخالفهم فطردتهم المعتزلة، فأصبحوا رؤساء في غيرهم، فأذنب المعتزلة - ومن دونهم - رؤساء سائر الفرق كضرار بن عمرو؛ أخذ عنهم، ثم خالفهم فكفروه وطردوه، ومن عده من المعتزلة فقد أخطأ لأننا تبرأنا منه".<sup>(١)</sup>

وقد صار تكفير المعتزلة بعضها لبعض سمة تميزها، ولكن العجيب في الأمر أن حكم التكفير عند المعتزلة لحق بأبرز علمائهم، ومشاهيرهم لمجرد الاختلاف في الرأي، وهذا إن دل فإنما يدل على غلبة الأهواء عليهم، ومدى حجرهم على العقول، والآراء، وهم الذين ينادون بالتححرر العقلي.

يذكر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) من كفر أبا الهذيل العلاف (ت: ٢٣٥هـ) من المعتزلة فيقول: "فضائحه تترى تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه في الاعتزال، ومن غيرهم، وللمعروف بالمردار من المعتزلة كتاب كبير فيه فضائح أبي الهذيل، وفي تكفيره بما انفرد به من ضلالته، وللجبائي - أيضاً - كتاب في الرد على أبي الهذيل في المخلوق يكفره فيه، ولجعفر بن حرب المشهور في زعماء المعتزلة - أيضاً - كتاب سماه "توييح أبي الهذيل"، وأشار بتكفير أبي الهذيل، وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهرية"<sup>(٢)</sup>.

ويظهر تكفير شيوخ المعتزلة بعضها بعضاً في موقفهم من النظام (ت: ٢٣١هـ) فقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة، منهم أبو الهذيل (ت: ٢٣٥هـ) فإنه قال بتكفيره في كتابه المعروف بـ "الرد على النظام"، ومنهم

(١) ينظر: شرح العيون ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٣٩١

(٢) الفرق بين الفرق / للبغدادي / ص ١١١

"الجبائي" (ت: ٣٠٣هـ)، ومنهم "الإسكافي" (ت: ٢٤٠هـ) له كتاب على النظام كفره فيه في أكثر مذاهبه<sup>(١)</sup>.

وتظهر بدعة التكفير عند المعتزلة في إطلاقهم لهذا الحكم على مخالفينهم من أهل السنة كما فعلوا مع الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) - رضي الله عنه -، يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) "فإنهم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين - أي للمعتصم - هذا كافر، ضال، مضل"<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من خلال الحديث عن التكفير عند المعتزلة أمران:

**الأول:** أن بدعة التكفير عند المعتزلة تبين مدى حجر المعتزلة على العقل، وحرية الإرادة ومخالفتهم لما ينادون به من أفكار، ولما يظهرونه من تقديس العقل.

**الثاني:** أن اهتمام المعتزلة بالمسائل العقلية شغلهم عن الاهتمام بجانب القلب، فغالوا في بدعة التكفير لسوء ورعهم، وقلة مراقبتهم، يقول "أبوحيان التوحيدي" (ت: ٤٠٠هـ): "وأرى المعتزلة في دهرنا يتسارعون إلى التكفير كتسارع الورد إلى المنهل، وما أدري ما يبعثهم على ذلك إلا سوء الرعة، وقلة المراقبة، وأكثرهم قذفاً لخصمه بالتكفير أعلقهم بأسباب الفسق والهتك، والله تعالى لهم، ولكل من سلك سبيلهم"<sup>(٣)</sup>.

### تعقيب:

ومن خلال دراسة الجذور التاريخية لجماعات التكفير يتبين لنا ما يلي:

(١) ينظر: المرجع السابق / ص ١٢٠-١٢١

(٢) البداية والنهاية / لابن كثير / ج ١٠ / ص ٣٣٤

(٣) البصائر والذخائر / لأبي حيان التوحيدي / ج ٤ / ٢١٦

**أولاً:** أن أفكار التكفير ولدت في بطون كتب الخوارج والشيعية والمعتزلة، وقد جاء من ينفض الغبار عنها، ويحاول أن يعيد الحياة إليها من جديد، كجماعة التكفير والهجرة، وتنظيم القاعدة، وداعش وغيرهم ممن أفرط في مسألة التكفير.

**ثانياً:** أن جماعات التكفير قديماً - لاقت لوناً من التوافق في التفكير من بعض الغلاة في العصر الحديث، بل وتأثراً بمعتقداتها، وبما توصلت إليه من أفكار، وما استشهدت به من حجج.<sup>(١)</sup>

**ثالثاً:** أن الفكر الإنساني موصول الحلقات، لا تنفصل حلقة من حلقاته عن الأخرى، والجماعات الإنسانية لا تعيش بأفكار معزولة عما سبقها من الأفكار، وإنما يؤثر السابق في اللاحق، ويتأثر اللاحق بالسابق.<sup>(٢)</sup> فهل تأثرت الجماعات الغالية في آرائها وأصولها بمن سبقها من طوائف، وفرق ظهرت قديماً في المجتمعات المسلمة؟ وهل يمكن القول أن أصول جماعات التكفير المعاصرة مطابقة لأصول الفرق القديمة؟

انقسمت الآراء في الإجابة على هذه الأسئلة إلى رأيين:

**الرأي الأول:** أن الأصول الفكرية لجماعات التكفير المعاصرة كانت عند الخوارج، ومن ثم " نستطيع أن نقرر أن فكر الخوارج كان ولا يزال أحد ينباع التي يستمد منها كثير من آراء هؤلاء المتطرفين الجدد من الشباب."<sup>(٣)</sup> "فقد ظهرت في هذا العصر جماعات تبنت منهج الخوارج وأسلوبهم،

(١) ينظر: التكفير جذوره وأسبابه / لنعمان السامرائي / ص ٨

(٢) ينظر: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر / لعبدالتواب عثمان / ص ٦

(٣) ينظر: حوار لا مواجهة / أحمد كمال أبو المجد / ص ٦٧

واعتنقت كثيراً من أفكارهم ومبادئهم، ومن أشهر هذه الجماعات جماعة المسلمين أو "جماعة التكفير والهجرة" كما أطلقت عليهم أجهزة الإعلام، والتي لاحظ معظم من كتبوا عنها الارتباط الوثيق بين أفرادها وبين الخوارج رغم اختلاف الدوافع والغايات بين الفريقين.<sup>(١)</sup>

**الرأي الثاني:** أن الصلة مقطوعة بين جماعات التكفير حديثاً، وبين الخوارج قديماً، وأن ثمت لوناً غريباً من التوافق في التفكير أدى إلى النتائج عينها.<sup>(٢)</sup>

فنشأة هذه الآراء في العصر الحديث كانت وليد ظرف وحدث مبتوت الصلة بما قبله، حيث إن الظرف الزمني والمكاني الذي نشأت فيه هذه الآراء لم يكن من السهولة فيه الاتصال بالكتب التي تتحدث عن فرق الضلال.<sup>(٣)</sup>

### **المبحث الثاني: جماعة التكفير والهجرة نشأتها وأصولها**

شهد هذا العصر ظهور جماعات اعتنقت أفكاراً ضالة، وتبنت مبادئ غريبة عن المجتمعات المسلمة، وسلكت مسلك الخوارج رغم اختلاف الدوافع والغايات بين الفريقين.

### **المطلب الأول: نشأة جماعة "التكفير والهجرة".**

شهدت أوائل السبعينيات الميلادية منشأ الفكر الضال على يد شكري مصطفى (ت: ١٣٩٨هـ) الذي كون جماعة وأسماها "جماعة المسلمين"، ونحا بها منحى الغلو. إلا أن وسائل الإعلام المصرية أطلقت على جماعة

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين / أحمد محمد جلي / ص ١٠٨

(٢) ينظر التكفير جذوره وأسبابه / لنعمان السامرائي / ص ٨

(٣) ينظر الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين / عبدالرحمن اللويحق / ص ٩٨



شكري مصطفى " جماعة التكفير والهجرة" وغلبت هذه التسمية ما سواها، وصارت علماً عليهم.

وكان هدف الجماعة يكمن في بناء مجتمع مسلم على أسس جديدة تركز على فكرة التكفير والحاكمية، وبوسيلة مغايرة تتمثل في التميز بالإسلام عن المجتمع الكافر.<sup>(١)</sup>

قال " جليز كييل " - صاحب كتاب " النبي وفرعون " - : " وقد تمثلت الجذور الفكرية لشكري مصطفى في التطلع إلى مجتمع مسلم، واعتبار المجتمع المصري مجتمعاً جاهلياً، والاعتقاد بأن هذا المجتمع يجب تدميره، وعلى أنقاضه سيقام المجتمع المسلم."<sup>(٢)</sup>

وكان "شكري أحمد مصطفى" ( ت: ١٣٩٨هـ) من أبرز الذين تزعموا هذا الاتجاه، وكان عمره لا يتجاوز خمسة وعشرين عاماً، وكانت بضاعته من العلم مزجاة، وما كان يعرف مثل هذه الأفكار لولا شيخ سجين تورط في هذه الفتنة، ورفع عقيرته منادياً بتكفير مرتكب الكبيرة.

وأصر "شكري مصطفى" ( ت: ١٣٩٨هـ) على التمسك بهذه الأفكار والتصورات رغم تراجع شيخه عنها، وإعلانه البراءة منها أمام ملأ من الناس. وتبوأ شكري مركز شيخه، وانكب على المراجع والمؤلفات القديمة يستقي منها تصورات الخوارج، ونشأتهم، وأصولهم، وكيف كانوا يحاورون خصومهم من أهل السنة والجماعة، فالتفت حوله عدد من الشباب بعد أن

---

(١) ينظر: جماعة التكفير في مصر الأصول التاريخية والفكرية / لعبدالعظيم رمضان/ص١٠٥ .

(٢) كتاب النبي وفرعون / جليز كييل / ترجمة أحمد خضر / ص ٦١

أعجبوا بأفكاره الجديدة التي تمثل على حد زعمهم الثبات على الحق، والتميز عن الباطل وأهله.<sup>(١)</sup>

تبلورت لدى "شكري مصطفى" (ت: ١٣٩٨هـ) مجموعة من الأفكار كان من أبرزها:

**أولاً:** التصور الإسلامي للجماعة، ويقوم على أن الإسلام قد عاد غريباً، وأن المجتمعات القائمة سوف تنهار، وسيبدأ الإسلام من جديد على يد الصفوة المؤمنة بحد السيف انطلاقاً من جبال اليمن، واستناداً إلى بعض الأحاديث الشريفة، أحاديث آخر الزمان.

**ثانياً:** فكرة الهجرة، وهي نتيجة لضرورة الانفصال عن المجتمع، والانعزال عنه، وبدء التحرك الإيجابي لتحقيق نواة المجتمع الإسلامي المنشود، وذلك باللجوء إلى الجبال والمغارات.

**ثالثاً:** مبدأ التوقف والتبين، الذي يقوم على رفض الاكتفاء بتوافر أركان الإسلام الخمسة ليكون المرء مسلماً، والمطالبة بحتمية تجنب المعاصي وإلا اعتبر الفرد كافراً.

**رابعاً:** عدم الاعتراف بأي مصادر للأحكام الشرعية خلاف الكتاب والسنة.<sup>(٢)</sup>

ويرجع السبب في إطلاق اسم التكفير والهجرة على هذه الجماعة تركيزها على فكرتين محورتين وهما:

**الأولى:** التكفير.

(١) ينظر: جماعة المسلمين / لمحمد سرور / ص ٩ .

(٢) ينظر: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية / حسن صادق / ص ٢٩٥ .

الثانية: الهجرة، يقول "حيدر إبراهيم" عن "شكري مصطفى": "ورکز على فكرة الهجرة كسنة بين الأنبياء، وذلك بقصد الابتعاد عن المجتمع الكافر ثم محاربتة."<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني: الأصول الفكرية لجماعة "التكفير والهجرة".<sup>(٢)</sup>

ومن أهم الأصول الفكرية لدى هذه الجماعة ما يلي:

### الأصل الأول: التكفير

لقد أسرفت جماعة التكفير والهجرة في إطلاق عنان التكفير حتى أخرجوا الناس جميعاً من دائرة الإسلام، ولم يبقوا مسلماً إلا هم. ويتجلى هذا الأصل عند هذه الجماعة في صورتى:

**الصورة الأولى:** تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بخروجه من الملة، وتخليده في النار، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم، فهم يزعمون "أن من فعل معصية مرة واحدة ولم يتب من هذه المرة فهو مصر عليها كافر"<sup>(٣)</sup>

يقول شكري مصطفى في رده على من فرق بين الشرك والمعاصي: "وقد استدلوا خطأ وفهموا خطأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٦٦﴾

(١) التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية / حيدر إبراهيم / ص ٦٤ .

(٢) (٢) ونظراً لأن كتب شكري مصطفى لم تطبع اعتمدت في توثيق كلام جماعة التكفير والهجرة على ما ذكره عنهم محمد سرور في كتابه الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، وكتاب جماعة المسلمين، وما ذكره حسن الهضيبي في كتابه دعاة لا قضاة، وما ذكره عبد الرحمن أبو الخير ذكرياتي مع جماعة المسلمين، لعدم توفر المادة عند غيرهم.

(٣) ينظر: التكفير والهجرة وجهاً لوجه، لرجب مذكور ص ٧٨

( النساء : ٤٨ ) وقالوا: إن الشرك هنا هو السجود للأصنام، وأن ما دون الشرك في نظرهم هو السرقة، والزنا، وشرب الخمر، وسائر الكبائر، وكذبوا حيث لا دليل على ما قالوه عقلي، ولا نص في تفسير الشرك، وما دون الشرك. " وقال: " قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار."<sup>(١)</sup>، بمعنى أن دخول الجنة مرتين بالموت على غير الشرك، وهي الدلالة نفسها على قوله - تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء : ٣١) فاشتطت الآية لدخول الجنة اجتناب الكبائر، واشتطت النبي - صلى الله عليه وسلم - لدخول الجنة اجتناب الشرك، فهما إذن لفظان بمعنى واحد "<sup>(٢)</sup>

وبين " محمد سرور " صاحب كتاب "الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو" فلسفة جماعة التكفير والهجرة في تكفير مرتكبي الكبائر، فيقول: " جاء في رسالتهم (إجمال تأويلاتهم وإجمال الرد عليها ) : " إن لفظة الكفر ما جاءت في الشريعة إلا لتدل على عكس الإيمان وانتفائه، وهي تعبر عن حكم عام يشتمل على عدة أنواع منه، لكل نوع منها اسم علم خاص به كالفسق، والظلم، والحبث.... فحينما يقول الله - تعالى: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ ( الحجرات : ٧ ) فإن جميع الثلاثة كفر من حيث الحكم العام، مختلفون من حيث أسماء الأعلام، ومداخل

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن

مات مشركاً دخل النار رقم ٩٣

(٢) ينظر: التكفير والهجرة وجهاً لوجه، لرجب مذكور ص ١٠٠

الكفر تماماً كما يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ ﴾ (الأحزاب: ٣٥) هي كلها أسماء أعلام مختلفة تدل على حكم واحد، ومعنى واحد، وهم المؤمنون، ولكن اختلف اسم العلم باختلاف مدخل الإيمان والغالب على الإنسان.<sup>(١)</sup>

ويلاحظ على ما ذهبوا إليه من تكفير لمرتكب الكبيرة الملاحظات التالية:

**الملاحظة الأولى:** بطلان ما ذهبوا إليه، فقد ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية من الأدلة ما يكفي لنقض ما ذهبوا إليه، وإثبات أن فعل المعاصي لا يعد كفراً مخرجاً من الملة ما دام صاحبها من أهل القبلة. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْغَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَالَةَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩).

**الملاحظة الثانية:** أن هذا القول مخالف لصريح القرآن والسنة، ولمنهج سلف الأمة - رضي الله عنهم - إذ إنهم لم يخرجوا صاحب المعصية من دائرة الإيمان، ولم يحكموا عليه بالردة عن الدين. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ١٧٨) فلم يخرج القاتل من الدين آمنوا، وجعله أماً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو/ لمحمد سرور / ج١ / ص ١٦١

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية/ لابن أبي العز/ ٢/ ٤٤٢

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢)  
قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا  
تَكَلَّأَ مِنَ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٣٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): "ومذهب هؤلاء باطل  
بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون  
قتله، ولو كان كافراً مرتداً لوجب قتله؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
قال: "من بدل دينه فاقتلوه" <sup>(١)</sup>، وقال: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى  
ثلاث: كفر بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، أو قتل نفس يقتل بها" <sup>(٢)</sup>. وأمر  
سبحانه أن يجلد الزاني والزانية مائة جلدة، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما.  
وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة، ولو كان كافراً لأمر بقتله،  
وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجلد شارب الخمر ولم يقتله" <sup>(٣)</sup>

### الصورة الثانية: تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله

زعمت جماعة التكفير والهجرة أن المحكومين قد كفروا؛ لأنهم رضوا  
بالحكّام ولاة عليهم، ولم يستثنوا من هذا الحكم العلماء؛ لأنهم لم يقوموا

---

(١) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد  
والمرتدة واستتابتهم، رقم ٦٥٢٤.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم (٤٥٠٢)،  
والترمذي في أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لا يحل دم  
امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رقم ٢١٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ٧ ص ٤٨٢

بواجبهم فيكفروا الحُكَّامَ والمحكومين.<sup>(١)</sup>

وقالوا: "إن المسلم يرتد كافراً مشركاً متى أطاع من لم يحكم بما أنزل الله واتبعه، والطاعة والاتباع يكونان - حسبما قالوا - بالعمل دون النظر إلى النية والاعتقاد."<sup>(٢)</sup>

وقالوا: إن الشخص متى عمل عملاً مما دعا إليه الأمر بغير ما أنزل الله؛ فإنه يكون مطيعاً، ومتبعاً له، متخذاً له رباً من دون الله عز وجل.<sup>(٣)</sup>

**الصورة الثالثة:** تكفير من يخرج عن جماعتهم ممن كان منهم، أو من يخالف بعض أصولهم، فهم "يعتقدون أنهم جماعة آخر الزمان المجتابة قدرأً، المعلومة عند الله، والمكتوبة في اللوح المحفوظ"<sup>(٤)</sup>

ويحصرون الحق في جماعتهم فقط، وما خالفها من آراء، وأفكار باطل، والقائل بها ليس بمسلم يقول أحد قادتهم: "نحن جماعة الحق، ومن عدانا فليس بمسلم".<sup>(٥)</sup>

وهذا يظهر مدى ضلال جماعة التكفير والهجرة، وفهمهم السقيم الذي جعلهم ينزلون الأحاديث التي تتحدث عن جماعة المسلمين على جماعتهم الخاصة، وبناء على هذا الفهم الخاطئ حكموا على المسلمين بالكفر. ولم يكتف أنصار هذه الجماعة بذلك بل حكموا بتكفير من لم يهاجر

(١) ينظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين / أحمد محمد جلي / ص ٨١

(٢) ينظر: دعاة لا قضاة / الحسن الهضيبي / ص ٩٧

(٣) ينظر: السابق / الحسن الهضيبي / ص ٩٧

(٤) ينظر: التوسمات / لشكري مصطفى / ص ٣٨

(٥) ينظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين / عبد الرحمن أبو الخير / ص ٧٤

إليهم ، ومن لم يهجر المجتمع ومؤسساته ، وقالوا بتكفير من لم يكفر الكافر عندهم مطلقاً.<sup>(١)</sup>

### تعقيب:

من خلال الحديث عن الأصل الأول من أصول "التكفير والهجرة" نلاحظ ما يلي:

**أولاً:** ما ذهبت إليه "التكفير والهجرة" من تكفير المجتمع ، يدل على قلة بضاعتهم من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ، واضطراب أفهامهم ، وبعدها عن الصواب ، ومدى مخالفتهم لتحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ، فقد فقال - صلى الله عليه وسلم -: "أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه".<sup>(٢)</sup>

**ثانياً:** أن حكمهم على المجتمعات والأفراد والحكّام والرعية بالكفر لم يستند إلى بيّنة ، ولا برهان ، بل غلب عليه التسرع ، وعدم التريث في الأمر ؛ فغالوا في أحكامهم ، وأخرجوا الناس من دين الله - تعالى - قال الإمام الشوكاني: (ت : ١٢٥٠هـ) "واعلم أن الحكم على رجل مسلم بخروجه عن دين الإسلام ، ودخوله في دين الكفر ؛ لا ينبغي لمسلم أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار... ثم أورد عدداً من الأحاديث التي تحذر من تكفير المسلم ، وقال: "ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر ، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير".<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: الخوارج مناهجهم وأصولهم / لناصر العقل / ص ٩٤

(٢) رواه البخاري: كتاب "الإيمان" باب "من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال" رقم ٥٧٥٤.

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / للشوكاني / ٤ / ٥٧٨.



## الأصل الثاني : الهجرة أو مفاصلة المجتمع.

من الأصول الفكرية عند جماعة " التكفير والهجرة " هجرة المجتمع ، وإعلان المفاصلة التامة بينهم وبين المجتمع.<sup>(١)</sup> وسبب هذا أنهم وصفوا المجتمع بالجاهلية ، وحكموا عليه بالكفر ، ورأوا أن تصوراته جاهلية فاسدة ، وعقائده باطلة ، يقول "ماهر بكري" ( ت : ١٣٩٨هـ ) - وهو الرجل الثاني في جماعة التكفير :- " إن جميع المجتمعات التي تزعم الانتساب للإسلام اليوم هي مجتمعات جاهلية لا يستثنى منها واحد. " <sup>(٢)</sup> وبناء على نظرتهم الضالة وتعسفهم الفكري اختاروا العزلة والانفصال عن المجتمع .

وترى جماعة التكفير والهجرة أن الهجرة هي مرحلة انتقالية ، وضرورية للجهاد إذ لا يتم الجهاد حقيقة ، ولا يؤذن به إلا بعد الهجرة ؛ لأن الهجرة في مبدئها تفريق بين أولياء الله ، وبين أعدائه.<sup>(٣)</sup>

وقد أخذت الهجرة أو مفاصلة المجتمع عندهم صوراً منها :

**الصورة الأولى :** هجر مساجد المسلمين وترك الصلاة فيها ، وترك الجمعة ، فقد ذهبوا إلى أن المساجد هي معابد الجاهلية ، والذين يصلون فيها قد ارتدوا عن الإسلام ، ولهذا لا ينبغي الصلاة مع من يؤمنونها إذ إن الصلاة معهم شهادة لهم بالإيمان وهم كفار.<sup>(٤)</sup> " وقد زعم بعضهم أن المساجد القائمة الآن في الأرض مساجد ضرار باستثناء أربعة مساجد فقط ، هي المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، ومسجد قباء ، وعليه فلا يجوز

(١) ينظر : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين / أحمد محمد جلي / ص ٨٤

(٢) كتاب الهجرة / ماهر بكري / ص ٦٢

(٣) ينظر : السابق / ماهر بكري / ص ٦٢

(٤) ينظر : الحكم وقضية تكفير المسلم / لسالم البهنساوي / ص ٢٥٧

الصلاة في غير هذه المساجد الأربعة" (١) ومع ذلك لا يصلون فيها مع جماعة المسلمين بل لوحدهم.

**الصورة الثانية:** هجر المجتمعات المسلمة من حولهم مطلقاً. سواء في التصور، فهم يرون أن المجتمعات تقوم على تصورات جاهلية فاسدة، وعقائد باطلة؛ ومن ثم وجب اعتزالها.

أو في السلوك، فهم يرون أنهم ما داموا في المجتمع الجاهلي لا بد أن يخالفوا أهلها في سلوكهم ما أمكنهم ذلك في مآكلهم، ومشربهم، وقيامهم، وعودهم، وفي شغلهم، وفراغهم، وفي نومهم ويقظتهم، وفي الأخلاق والتعاملات، وفي كل شيء" (٢).

**الصورة الثالثة:** هجر التعلم والتعليم، وتحريم الدخول في المدارس، والجامعات، ويلاحظ أن تحريمهم للدراسة لم يقتصر على كليات الطب، والهندسة، واللغات الأجنبية، وإنما يشمل الجامعات والمعاهد الإسلامية التي لا تدرس غير العلوم الإسلامية؛ ويبررون ذلك بما يلي:

١- زعمهم أن الجامعات والمعاهد من مؤسسات الطاغوت.

٢- اعتقادهم أن الجامعات، والمعاهد تدخل ضمن إطار مساجد الضرار، فأساتذتها منافقون على الإطلاق، بل ومرتدون؛ لأنهم يؤمنون بأن هناك كفراً لا يخرج من الملة. (٣)

(١) ينظر: التكفير والهجرة وجهاً لوجه / لرجب مذكور / ص ١١٩ - ٢٠٠.

(٢) ينظر: كتاب الهجرة / ماهر بكري / ص ٦٣

(٣) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / محمد سرور / ج ١ ، ص ٢٣٨

وتظهر الغرابة في دعواهم هذه لتأصيل فكرهم الضال عندما يقررون أن العلم المشروع لا يكون إلا في الشقق التابعة للجماعة، ولا يصح تقرير منهج غير المنهج الذي وضع أصوله، وفروعه قائد هذه الجماعة.<sup>(١)</sup>

ولا يخفى أن هذه دعوى غريبة تتنافى مع العقول، والفطر السليمة، إذ إنها تحمل روح التخلف للأمة بإبعاد شباب الإسلام عن المدارس، والجامعات.

**الصورة الرابعة:** هجر الوظائف الحكومية، وهجر العمل بمؤسسات المجتمع، فهم يرون أن كل الأعمال حلالها وحرامها في هذا المجتمع الجاهلي تصب في النهاية في مصب واحد هو خدمة ودعم بناء هذا المجتمع الكافر حسب اعتقادهم الضال، وفكرهم السقيم.<sup>(٢)</sup>

وبناءً على هذه النظرة الضالة اعتزلوا الوظائف، وهجروا العمل بالمؤسسات، يقول شكري مصطفى: "إنما هو سلطان الطاغوت ودائرة اختصاصه ومواد ألوهيته، والداخلون في نظامه هم عبيده، وسدنة محرابه. وإنه لا شيء مما ذكرنا - ولا قشة ترفع في الطرق بأمر البلدية - في بلد الطاغوت إلا وهي داخلة في إلهيته."<sup>(٣)</sup>

#### **تعقيب:**

ويظهر من خلال الحديث عن الأصل الثاني من أصول "التكفير والهجرة ما يلي:

**أولاً:** أن ما ذهبوا إليه غلو مناف للنصوص الشرعية وأقوال العلماء، ولا يستقيم مع روح الدعوة وطبيعة هذا الدين، ويخالف ما سار عليه جمهور المسلمين.<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: التوسمات / لشكري مصطفى / ص ١٦

(٢) ينظر: الهجرة / ماهر بكري / ص ١٠

(٣) كتاب الخلافة / لشكري مصطفى / ج ١ ، ص ١٣

(٤) ينظر: بدع الاعتقاد / محمد حامد الناصر / ص ١٣٧

**ثانياً:** أن أساس هذا الأصل مبني على حكمهم بكفر المجتمع، وهذا باطل إذ لا يصح وصف المجتمعات بالجاهلية، والحكم بكفرها لأنها محكومة بغير ما أنزل الله، فهذا الأمر من غير رضاها.<sup>(١)</sup> فكيف يحكم عليها بالكفر، وتوصف مجتمعاتها بالجاهلية بأمر غير راضية به؟

### الأصل الثالث: الدعوة إلى الأمية، ومحاربة التعليم

قد لا يستغرب ما دعت إليه جماعة التكفير والهجرة من آراء ضالة، وأفكار غريبة إذا ما عرفنا أن من أصولهم محاربة التعليم، والدعوة إلى الأمية، فأنى لهم أن يستقيموا في مفاهيمهم، ويقوموا اعوجاجهم الفكري وهم معرضون عن التعليم، ويرفعون لواء الأمية، ويدعون إليه.

لقد أطلقت جماعة التكفير على نفسها جماعة الحق، وجعلت من سميتها أنها أمة أمية، يقول "شكري مصطفى": "إن جماعة الحق في آخر الزمان خير أمة سوف تخرج للناس مرة ثانية، سيمتها وعمومها أنها أمة أمية لأنها تدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ".. نحن أمة أمية"<sup>(٢)</sup>، وتدخل في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) <sup>(٣)</sup>

وذكر في رسالة "التوسمات" ما يبرر به دعوتهم للأمية، فيقول: " فلم تتعلم - أي الجماعة الأولى - الدين للدنيا، ولم يكونوا يتعلمون لعمارة

(١) ينظر: الغلو في الدين / لعبدالرحمن اللويحق / ص ٣٤٤

(٢) رواه البخاري : كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولا

نحسب ، رقم ١٨١٤

(٣) التوسمات / لشكري مصطفى / ص ١٦

الأرض وبناء الدور، فتلك صفة الكافرين ﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧)، حتى إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجهل أثر تأبير النخل، ويقول نحن أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب. فلا بد أن نكون مثلهم أميين نوجه كل جهدنا، ووقتنا لتعلم الكتاب، والحكمة، وما دون ذلك فهو ضلال مبین. ومتى يتعلم الإسلام من أمضى أكثر من نصف عمره في تعلم الجاهلية، ومن أجل هذا نقول إن الدعوة إلى محو الأمية فكرة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام. ووجود من يقرأ ويكتب بيننا لا ينفي أننا نحن أمة أمية نوجه كل وقتنا لتعلم الإسلام" (١)

### تعقيب:

ويتضح من خلال الحديث عن الأصل الثالث من أصول "التكفير والهجرة ما يلي:

**أولاً:** أن دعوتهم للأمية - بحجة أمية الأمة المسلمة الأولى - دعوى باطلة؛ لأن من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من كان يقرأ ويكتب كثيراً، وفيهم من يحسب، وقد بعث - صلى الله عليه وسلم - بالفرائض التي فيها من الحساب ما فيها. وكان له كتاب عدة - كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد، ومعاوية - يكتبون الوحي، ويكتبون العهود، ويكتبون كتبه إلى الناس، إلى من بعثه الله إليه من ملوك الأرض، ورؤوس الطوائف، وإلى عماله، وولاته، وسعاته، وغير ذلك، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥) (٢)

(١) التوسمات / ص ١٦ نقلاً عن الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / ص ٢٣٧

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ج ٢٥، ص ١٦٦-١٦٧

**ثانياً:** أن فهمهم لمعنى الأمية المذكور في قوله - تعالى - ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢) فهم خاطئ؛ لأن الأمية وردت في الآية كاصطلاح مقابل للفظ أهل الكتاب، وليس المراد المقابل للثقافة والمعرفة، يقول شيخ الإسلام " ابن تيمية " : " فجعل الأميين مقابلين لأهل الكتاب، فالكتابي غير الأمي. فلما بعث فيهم، ووجب عليهم اتباع ما جاء به من الكتاب وتدبره، وعقله، والعمل به - وقد جعله تفصيلاً لكل شيء، وعلمهم نبههم كل شيء حتى الخراءة - صاروا أهل كتاب وعلم، بل صاروا أعلم الخلق، وأفضلهم في العلوم النافعة، وزالت عنهم الأمية المذمومة الناقصة، وهي عدم العلم والكتاب المنزل، إلى أن علموا الكتاب والحكمة وأورثوا الكتاب." (١)

**ثالثاً:** أن أمية النبي - صلى الله عليه وسلم - لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب؛ فإنه إمام الأئمة في هذا. وإنما كان من جهة أنه لا يكتب ولا يقرأ مكتوباً كما قال الله فيه: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨) ولذلك صارت أميته المختصة به كمالاً في حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منها وأكمل، ونقصاً في حق غيره من جهة فقدته الفضائل التي لا تتم إلا بالكتابة. (٢)

**رابعاً:** قوله: " إنا أمة أمية " ليس هو طلباً فإنهم أميون قبل الشريعة كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (الجمعة: ٢)، وقال: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْمَتُمْ ﴾

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية/ ج ٢٥ ، ص ١٦٨

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية ج ٢٥ / ص ١٧٢

(العمران: ٢٠) فإذا كانت هذه صفة ثابتة لهم قبل المبعث لم يكونوا مأمورين بالبقاء عليها مطلقاً. وإنما يؤمرون بالبقاء على بعض أحكامها.<sup>(١)</sup>

### الأصل الرابع: إنكارهم التقليد

ذهبت جماعة شكري مصطفى إلى أن التقليد هو السبب في وقوع الشرك في هذه الأمة فيقول شكري مصطفى (ت: ١٣٩٨هـ): "وستثبت بإذن الله - تعالى - أن أول كفر وقع في هذه الأمة هو كفر التقليد، أو ترك الهدي - أي الاجتهاد فيه - إلى التقليد"<sup>(٢)</sup>.

وقد اتهمت جماعة التكفير أهل السنة والجماعة بالحماقة لما أوجبوا التقليد على العامة، وحرموا عليهم الاجتهاد في دين الله.

ويبررون اتهامهم ذلك بأن "الذي يسأل المجتهد عن الحكم ولا يسأله عن الدليل فقد أثبت العصمة لمن يقلده، أي اعتبره معصوماً لا يجوز الخطأ في حقه، وهذا لا يكون لبشر إلا إذا كان يوحى إليه."<sup>(٣)</sup>

وقد ذكروا أموراً ثلاثة تتعلق بالتقليد، وهي:

**الأمر الأول:** صلة التقليد بالكفر وضياع دولة الإسلام، فهم يرون أنها صلة مباشرة، فمنذ أن ترك الناس الاجتهاد في أمر دينهم، ووكلوه إلى شيوخهم وآلهتهم، ودولة الإسلام لم يعد لها أثر في الواقع.

**الأمر الثاني:** كذب الجماعات المنتسبة للإسلام في ادعائهم الإسلام، وادعائهم الحكم بكتاب الله ودعواهم لذلك. وفي زعمهم أن كل هذه

(١) السابق / لابن تيمية ج ٢٥ / ص ١٦٦

(٢) رسالة الحجيات / شكري مصطفى / ص ٩

(٣) ينظر: رسالة الحجيات / شكري مصطفى / ص ١١

الجماعات لا هي تحكم ولا تتحاكم لكتاب الله، فكلهم ورثوا الإسلام عن شيوخهم يدافعون عنهم وعن تقليدهم.

**الأمر الثالث:** صفة الجماعة المسلمة، ففي اعتقادهم أنها، جماعة واحدة لها أمير واحد سندها الكتاب والسنة يكفرون بالتقليد، وكل مسلم فيها مجتهد. <sup>(١)</sup>

ويعتقد أتباع جماعة التكفير أن كل مقلد كافر على الإطلاق، ومن صور التقليد التي تخرج عن الملة - كما يزعمون - رأي الفقيه، ورأي الصحابي، وعمل أهل المدينة، ورأي الجمهور، والإجماع <sup>(٢)</sup>.

ويظهر التناقض واضحاً لدى أتباع جماعة التكفير إذ إنهم يعدون المقلد كافراً، وهم قد قلدوا شكري مصطفى في الأصول التي وضعها، فكان شيخهم وإمامهم - بل إمام المسلمين على حد زعمهم -، وهو المرجع الوحيد عندهم في تفسير الكتاب والسنة، وقوله أهم من إجماع الصحابة. <sup>(٣)</sup>

### **الأصل الخامس: الطعن في الصحابة - رضي الله عنهم -**

طعنت جماعة التكفير والهجرة في صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وزعموا أنهم ليسوا أهلاً للاقتداء بهم، أو الأخذ عنهم. لذلك لا يعتمدون فهم الصحابة للقرآن، والسنة بدعوى "هم رجال ونحن رجال".

وزعم شكري وجماعته أنهم أفضل من جيل الصحابة - رضي الله عنهم -، وسلخوا في محاولتهم إثبات هذا الزعم طريقاً ملتويماً يتألف من ثلاث مراحل:

(١) ينظر: رسالة الحجيات ص ١٥، نقلاً عن السابق ص ٣١

(٢) ينظر: رسالة الحجيات ص ١٤

(٣) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله / محمد سرور / ص ٥٠



**المرحلة الأولى:** زعموا بأن أقوال الصحابة وأفعالهم، وإجماعهم ليست حجة، وأضافوا بأن الصحابة ليسوا أئمة من غيرهم في علوم العربية، وفي فهم السنة النبوية.

فهم يطعنون في الصحابة بحجة أنه يدخل فيهم: من ارتد عن الإسلام، وكفر بعد ذلك، ويدخل فيهم كل الثلاثين ألفاً في حجة الوداع<sup>(١)</sup>، ويدخل فيهم الذين أخطأوا في الفتيا، ومن جعلوها ملكاً عضواً، ومن قال فيهم: لا تدري ما أحدثوا بعدك، ويدخل فيهم الأعراب، وقتلة عمار الذين وصفهم بالضلالة، وفيهم الثمانية من المنافقين الذين أخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحذيفة، وفيهم المنافقون بصفة عامة.<sup>(٢)</sup>

لذلك تزعم جماعة التكفير أن الهدى لم يتحقق في الصحابة - رضي الله عنهم -، ولا يحل لمسلم أن يقول فيهم "بأيهم اقتديتم اهتديتم".<sup>(٣)</sup>

وتنكر جماعة التكفير أن يكون الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم منهم بأصول اللغة العربية وقواعدها، وبحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.<sup>(٤)</sup>

وذلك لزعمهم أن وسائل معرفة الأدلة أيسر في هذا العصر منها في عصر

---

(١) اختلف المؤرخون في عدد الصحابة في حجة الوداع فقليل: أربعون ألفاً، وقيل مائة ألف، وقيل: مائة وأربعة عشر ألفاً، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما حجة الوداع فلا يحصى من شهدها معه" منهاج السنة ج٧/ ٢٠٠

(٢) ينظر: الحجيات / لشكري مصطفى / ٤٤

(٣) رواه البيهقي في باب أقاويل الصحابة رضي الله عنهم، ح رقم ١٥٣ وقال: "هذا حديث منته مشهور، وأسانيده ضعيفة ولم يثبت في هذا إسناد".

(٤) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / لمحمد سرور / ج١/ ص٩٦

الصحابة، لأن المراجع اللغوية متوفرة أكثر، ويسهل على الباحث أن يحصل على معلومات متوفرة بجهد يسير.<sup>(١)</sup>

**المرحلة الثانية:** يطعنون في الصحابة بحجة الأفضلية لجماعة آخر الزمان عنهم، فيقول شكري مصطفى: "وقد اجتباهم الله - تعالى - أيضاً، وخصهم بكثير من فضله حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لأجر الواحد منهم بخمسين منكم"<sup>(٢)</sup>، أي من الصحابة - "وزعموا أن عيسى بن مريم سيجد منهم خلقاً من حواريه.

وقالوا عنهم أيضاً: "فقد كلفهم الله سبحانه وتعالى من الناحية القدرية التي يعلمها والتي يريد بها بما لم يكلف صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>.

**المرحلة الثالثة:** زعموا بأنهم جماعة آخر الزمان، فقالوا: "ونحن جماعة الحق في آخر الزمان تشملنا الآيتان: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ٣) وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤)<sup>(٤)</sup>

ويبدو من موقف جماعة التكفير من الصحابة أمران:

(١) ينظر: الحجيات / لشكري مصطفى ٧٠

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة ، رقم ٢٠٥٨ ، وأبو داود غي كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، رقم ٤٣٤١ ، وضعفه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٢٣٤٣

(٣) ينظر: الحجيات / لشكري مصطفى / ٥٠

(٤) ينظر: جماعة المسلمين / محمد سرور / ١٢٩

**أحدهما:** أن السبب الرئيس في موقف شكري مصطفى من الصحابة  
رغبته في أن يثبت لأتباعه وغيرهم بأن أقواله، وأفعاله حجة لأنه إمام جماعة  
آخر الزمان، التي فضلها على جماعة الصحابة.

**ثانياً:** أن بضاعة جماعة التكفير في العلم مزجاة، فما رددوه من قدح في  
الصحابة - رضي الله عنهم - نقلوه عن أسلافهم من الخوارج والشيعة الذين  
هلكوا في الصحابة - رضي الله عنهم -.

### **الأصل السادس: أن شكري مصطفى هو المهدي**

كانت قضية المهدي من أهم الموضوعات عند جماعة التكفير، واحتلت  
حيزاً واسعاً من رسائلهم، وأسهبوا في الحديث عنها <sup>(١)</sup>.

وهذا الزعم نتيجة حتمية لاعتقادهم بأنهم جماعة آخر الزمان،  
فقالوا: "إشارات كبيرة تؤكد أننا سندرك عيسى بن مريم، وأنا جماعة الحق  
التي تستحق الخلافة في الأرض على هدي النبوة، ونرجو الله أن يجد فينا  
خلقاً من حواريه". <sup>(٢)</sup>

ولهذا اعتقد أتباع شكري في زعيمهم أنه المهدي الذي يخرج آخر الزمان  
ويظهر الله به الدين على سائر الأديان في الأرض، وأن الله - تعالى - سوف  
يحفظه ليجاهد اليهود والنصارى، ويرفع رايات النصر في كل صقع من أصقاع  
العالم الفسيح، ويظهر الله به دينه على كافة الأديان والملل، ويمكن له في  
الأرض ما شاء أن يمكن. <sup>(٣)</sup>

ومن خلال الحديث عن جماعة التكفير والهجرة يتضح ما يلي:

(١) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / لمحمد سرور / ج١ / ص ٢١٥

(٢) ينظر: رسالة التوسمات / لشكري مصطفى / ص ٢٥

(٣) ينظر: جماعة المسلمين / لمحمد سرور / ص ٢٩١

**أولاً:** أن جماعة التكفير والهجرة استقت أفكارها وأصولها من الخوارج، وأنها تمثل خطراً أشد وأنكى من غيرها من الفرق، بسبب أفكارها التكفيرية، وما رتبته على هذه الأفكار من استحلال أموال المسلمين وأعراضهم.

**ثانياً:** وفي رأبي أن جماعة "التكفير والهجرة" تعد من أشد الأخطار الفكرية التي تعرضت له الأمة في العصر الحديث، لعدة أسباب:

**الأول:** لأنها أعادت إلى الأذهان تاريخ الخوارج، وكيف كانوا يعاملون أهل السنة والجماعة، وحكمت على غيرها من الجماعات، والأحزاب، والهيئات الإسلامية بالارتداد عن الإسلام.<sup>(١)</sup>

**الثاني:** أن ما تبنته هذه الجماعة من أفكار غالية لم يكن مطروحاً من قبل في الساحة الإسلامية المعاصرة. ثم صار نواة لظهور ذوي الأفكار الضالة.

### **المبحث الثالث: تنظيم القاعدة نشأته وأصوله**

يعد تنظيم القاعدة من بين جماعات التكفير الأخطر فكرياً، والأنكى على الأمة الإسلامية عملياً، حيث إنه اكتوى بنار تطرفه الفكري، وخلله السلوكي أفراد كثيرون، وبلدان عديدة.

### **المطلب الأول: نشأة تنظيم القاعدة:**

وضعت اللجنة الأولى لتأسيس "تنظيم القاعدة" على أرض أفغانستان، وقد اشتق هذا التنظيم اسمه من إحدى غرف بيت الضيافة الذي أعد لاستقبال الوافدين العرب، والتي كتب عليها "ممنوع الدخول قاعدة بيانات

(١) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / محمد سرور / ج ١ / ص ١٢

الشباب " وكانت هذه الغرفة تحوي سجلات الشباب الذي قدموا للجهاد في أفغانستان.<sup>(١)</sup>

وقد مرت هذه الجماعة الغالية في تأسيسها بعدة مراحل، منها:

**المرحلة الأولى:** الجهاد الأفغاني، وتبدأ هذه المرحلة من بداية وصول الشباب إلى أفغانستان حتى دخول كابل عام ١٩٩٢م.

**المرحلة الثانية:** مرحلة التيه والتشتت، وذلك من عام ١٩٩٢م وحتى تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية عام ١٩٩٨م، وكان هذا التيه فكرياً وسياسياً، حتى استطاعت الجماعات الغالية جر بقايا المجاهدين العرب إلى فكرها المتطرف.

**المرحلة الثالثة:** تأسيس تنظيم القاعدة والقيام بالعمليات العسكرية، ونشر أفكار التنظيم عبر وسائل الإعلام المتاحة.<sup>(٢)</sup>

ويعد من أبرز قادة تنظيم القاعدة رجلاًن:

**أحدهما:** أسامة بن لادن (ت: ١٤٣٢هـ)، وهو مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة.

**والثاني:** أيمن الظواهري، شارك الأول في إدارة تنظيم القاعدة.

وقد خرجوا على الأمة بالفتن والإخلال بالأمن، وقاموا بالتفجير والتدمير وقتل الأبرياء من المسلمين وغيرهم، وزين لهم الشيطان أن ما فعلوه جهاداً، وهو في الحقيقة إفساد في الأرض<sup>(٣)</sup> واستطاع هذا التنظيم أن يستقطب الشباب المتحمس لدينه، ويزج به في برائن التطرف الفكري والخلل السلوكي، وقد مر هذا الاستقطاب بمراحل عدة:

(١) ينظر: القاعدة وأخواتها / كميل الطويل / ص ٣٢

(٢) ينظر: التكفير عند جماعات العنف المعاصرة / لإبراهيم العايد ص ٧٤

(٣) ينظر: بذل النصح والتذكير / لعبدالمحسن العباد/ص ٣

**المرحلة الأولى:** تشكيك الفرد في الأوضاع القائمة، وقطع الأمل في إصلاح الحال.

**المرحلة الثانية:** دعوة الفرد لمجتمع جديد يعزز التطرف مع عزله عن مجتمعه.

**المرحلة الثالثة:** الإعداد الفكري، وذلك من خلال الدروس المكثفة في ذكر العمليات الجهادية حتى تتم عملية الإقناع.

**المرحلة الرابعة:** إعلان تكفير النظام، ومن ثم المجتمع والخروج عليه، وتبني خطة التنظيم وأهدافه وفي هذه المرحلة يتم الانخراط في التنظيم والمبايعة، ويحدد مهمة العضو في التنظيم وموقعه فيه.<sup>(١)</sup>

#### **المطلب الثاني: الأصول الفكرية لتنظيم القاعدة:**

**الأصل الأول: التكفير:** أوغلت " القاعدة " في مسألة التكفير، وبدا الأمر واضحاً لا لبس فيه، بل خصص هذا التنظيم بعض الرسائل في التكفير، ومن ثم اتخذ هذا الأصل عندهم صوراً منها:

**الصورة الأولى:** تكفير الحكام والتوسع في الخروج عليهم، وهذه المسألة هي الركيزة التي يعتمد عليها التنظيم في آرائه، وأعماله يقول أيمن الظواهري: " إن الحكام الحاكمين لبلاد المسلمين - بغير ما أنزل الله بالقوانين الوضعية - هم كفار مرتدون يجب الخروج عليهم، وجهادهم وخلعهم ونصب حاكم مسلم. " <sup>(٢)</sup>

ويظهر الغلو في هذه المسألة بتكفيرهم لبعض الحكام عياناً، قال الظواهري: "فالخلاصة أن حسني مبارك وسلفه السادات ليسوا حكماً

(١) ينظر: التكفير عند جماعات العنف المعاصرة/ إبراهيم العايد / ص ١٠٢

(٢) الحصاد المر / لأيمن الظواهري / ص ٢٦ / منبر التوحيد والجهاد / ١٤٢٦ هـ

مسلمين، ولا يتأسون حكومات إسلامية، بل يتأسون حكومات علمانية لا تحكم بالشريعة الإسلامية." (١)

أما "أسامة بن لادن (ت: ١٤٣٢هـ) فيطلق حكم الردة على الحكام فيقول: "وإن تعجب فعجب قول بعض دعاة الإصلاح بأن طريق الصلاح، والدفاع عن البلاد والعباد يمر بأبواب هؤلاء الحكام المرتدين." (٢)

ويعتمد في تكفيره للحكام على عدة أسباب منها:

الأول: تحكيمهم للقوانين الوضعية.

الثاني: مناصرة الكافر على المسلم.

الثالث: ولاء الحكام للصليبيين.

الرابع: تكفير الحكام لكونهم أجازوا لذاتهم الطاعة من غير الله.

الخامس: تكفير الحكام بناءً على حكمهم بالديمقراطية (٣)

يقول أسامة بن لادن (ت: ١٤٣٢هـ): "لذا فإن اللفظ الشرعي في وصف الحاكم الذي لا يحكم بغير ما أنزل الله، ويسير على غير هدى الله سبحانه وتعالى، أو يناصر الكفار تحت أي مسمى كتقديم التسهيلات العسكرية، أو تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة ضد الإسلام والمسلمين فهذا كافر مرتد." (٤)

وقد زعمت القاعدة أن التوقف عن تكفير الحكام جريمة في حق الإسلام، يقول أبو بصير الطرطوسي: "إن الحكام فاقوا اليهود في كثير من خصال

(١) فرسان تحت راية النبي / للظواهري / ١٢٦ / ط ١ / د.ت

(٢) رسالة أخرجوا المشركين من جزيرة العرب / لأسامة بن لادن / ص ١٣

(٣) ينظر: التكفير عند الفرق والجماعات / ص ٣٣٦-٣٣٧

(٤) رسالة أخرجوا المشركين من جزيرة العرب / لأسامة بن لادن / ص ٦

الكفر، والجحود والطغيان مما يجعل التوقف في تكفيرهم جريمة كبيرة بحق دين الله تعالى، وحق أمة الإسلام.<sup>(١)</sup>

**الصورة الثانية:** تكفير كثير من طوائف المجتمع، فإن كانت جماعة التكفير والهجرة قد أطلقت حكمها بكفر المجتمع، ووصفه بالجاهلية فإن تنظيم القاعدة يكفر الكثير من طوائف المجتمع ممن له صلة بالحاكم إلى حد أن كفروا الفراش، والمدرس وإمام المسجد<sup>(٢)</sup>

ف عند تنظيم القاعدة "النصرة باللسان والقلم، والدعاء شأنها شأن النصر بالقتال، وعلى هذا فالتكفير - في زعمهم - ليس وقفاً على من لبس لباس الجيش، أو الحرس الوطني، أو نحوهم، وإنما تشمل كل نصير وظهير لهم، وإن كان مدرساً أو فراشاً، أو إماماً في مسجد، أو غيره مادام ينصر شركهم، أو يتولاهم هم، وينصرهم، ويظايرهم على الموحدين، فهو منهم وحكمه حكمهم".<sup>(٣)</sup>

وذهب تنظيم القاعدة إلى تكفير رجال الجيش والشرطة والمخابرات بحجة أنهم أولياء للحكام يقول أبو بصير الطرطوسي: "قاعدة (الأصل في جيوش الطواغيت وأنصارهم الكفر) لا غبار عليها؛ لأن القاعدة عندنا: أن الأصل فيهم الكفر، حتى يظهر لنا خلاف ذلك، إذ إن هذا التأصيل قائم على النص ودلالة الظاهر، لا على مجرد التبعية للدار، فإن الظاهر في جيوش الطواغيت وشرطتهم ومخابراتهم وأمتهم أنهم من أولياء الشرك، وأهله المشركين".<sup>(٤)</sup>

(١) أعمال تخرج صاحبها من الملة / لأبي بصير الطوسي / ص ٥٩

(٢) ينظر: القصة الكاملة للخوارج / لإبراهيم صالح المحيميد / ص ٩٢

(٣) رسالة مناصحة وتذكير / للمقدسي / ص ٣-٤

(٤) الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير / للمقدسي / ص ١٣٥



ولم يسلم أئمة المساجد من غلو تنظيم القاعدة وحكمهم عليهم بالكفر، فيرى أبو محمد المقدسي أن " من أظهر شيئاً من أسباب الكفر الصريحة، أو أظهر نوعاً من أنواع الردة الظاهرة كالدعوة إلى المشاركة بالسلطة التشريعية، أو أظهر تأييد ونصرة القوانين الوضعية، أو شارك في تشريعها، أو الحكم بها والثناء عليها، أو القسم على احترامها، والولاء لطواغيتها لا نعمة له ولا كرامة فلا يصلى خلفه، لأنه ليس بواحد من الموحدين بل هو من جملة المشركين المرتدين." (١)

**الصورة الثالثة:** تكفير من يعقد المعاهدات مع اليهود، حكم تنظيم القاعدة بالكفر على كل من أبرم معاهدة مع اليهود، وأخرجوه من الملة لذلك، قال الظواهري: "ولكن الذين وقعوا هذه المعاهدات مع اليهود ليسوا مسلمين فضلاً أن يكونوا حكاماً للمسلمين فهؤلاء حكام خارجون عن الشريعة الإسلامية لتحاكمهم إلى دساتير وقوانين وضعية مخالفة للشريعة الإسلامية." (٢)

ويبدو مدى جهل تنظيم القاعدة واضحاً في القول بكفر من يبرم المعاهدات مع اليهود، فقد أباح الله للمسلمين أن يعقدوا المعاهدات مع غير المسلمين إذا دعا الأمر إلى ذلك على ضوء الشريعة الإسلامية، وحرّم الله على المسلمين نقض العهد الذي يبرمونه مع عدوهم إلا إذا بدأ العدو بنقضه، أو فعل ما يوجب ذلك. (٣)

(١) رسالة مناصحة وتذكير / للمقدسي / ص ٣-٤

(٢) فرسان تحت راية النبي / للظواهري / ص ١٣٧

(٣) ينظر: دين الحق / لعبدالرحمن بن حماد العمر / ص ٩٧

فقد أجاز الفقهاء عقد المعاهدات، وجواز عقد المعاهدات لا يقف عند حالات الحرب، بل يجوز في جميع الأحوال، ولتنظيم مختلف الأمور ما دام في ذلك مصلحة للدولة الإسلامية، ولا تخالف أحكام الشريعة.<sup>(١)</sup>

والمرجع في عقد المعاهدة إلى المصلحة، فلا حرج على الإمام أن يعقد هذه المعاهدة، بل قد يتدب إلى ذلك، أو يجب على حسب الحال.

بقول القرطبي في قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَبْلٌ﴾  
(النساء: ٩٠)

"في هذه الآية دليل على إثبات المودعة بين أهل الحرب، وأهل الإسلام إذا كان في المودعة مصلحة للمسلمين."<sup>(٢)</sup>

ويعلق الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ) على حديث صلح الحديبية فيقول:  
"وفيه أن للإمام أن يعقد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين، وإن كان لا يظهر ذلك لبعض الناس في بادئ الرأي، وفيه احتمال المفسدة اليسيرة لدفع أعظم منها، أو لتحصيل مصلحة أعظم منها إذا لم يمكن ذلك إلا بذلك"<sup>(٣)</sup>

وقد حكى الإمام النووي رحمه الله - (ت: ٦٧٦هـ) الإجماع على جواز المعاهدة والمصالحة، فقال رحمه الله: "وفي هذه الأحاديث دليل لجواز مصالحة الكفار إذا كان فيها مصلحة، وهو مجمع عليه عند الحاجة."<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: الشريعة الإسلامية والقانون الدولي / عبدالكريم زيدان / ٢٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ٥ / ٢٠٩

(٣) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج / النووي / ج ١٢ / ١٣٥

(٤) السابق / ج ١٢ / ١٤٢

**الصورة الرابعة:** تكفير من احتكم إلى الديمقراطية، غالى تنظيم القاعدة في حكمه بالكفر على كل من يأخذ بمذهب الديمقراطية، وقالوا بتحريم الترشيح في المجالس النيابية الديمقراطية، وتحريم المشاركة في انتخابات هذه المجالس يقول الظواهري: " هذه هي الديمقراطية وكفرها يا أخي، وأعضاء مجلس الشعب يا أخي هم الأرباب من دون الله تعالى، والذين ينتخبونهم يتخذونهم أرباباً من دون الله تعالى، وينصبونهم طواغيت معبودة من دون الله، وهذا كاف في تحريم الترشيح في المجالس النيابية الديمقراطية، وتحريم المشاركة في انتخابات هذه المجالس."<sup>(١)</sup>

وقد عد " تنظيم لقاعدة " الديمقراطية ديناً جديداً يقوم على تأليه البشر بإعطائهم حق التشريع غير مقيدين بأي سلطة، ومن ثم فالبشر المرعون في الديمقراطية هم شركاء معبودون من دون الله، يعبدهم كل من يطيعهم فيما يشرعونه.<sup>(٢)</sup>

وذهب أبو محمد المقدسي إلى أن " الديمقراطية دين غير دين الله وملة غير ملة التوحيد، وأن مجالسها النيابية ليست إلا صروحاً للشرك، ومعاقلة للوثنية يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، بل والسعي لهدمها، ومُعَاداة أوليائها، وبُغْضهم وجهادهم، وأن هذا ليس أمراً اجتهادياً كما يجلو لبعض الملبّسين أن يجعلوه، بل هو شرك واضح مستبين وكفر بواح

(١) الحصاد المر / للظواهري / ٣٢٣

(٢) السابق / ٢٥

صراح قد حذر الله تعالى منه في محكم تنزيله، وحاربه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - طيلة حياته." (١)

من الأمور المعلومة في عقيدة أهل السنة والجماعة التفريق بين الحكم والمعين، فليس كل من تلبس بشيء من مظاهر الكفر يكون بالضرورة كافراً. بل لا بد من التفريق بين الحكم على الفعل بأنه كفر، وبين الحكم على الفاعل بأنه كافر.

فإن ما ورد في النصوص من إطلاق حكم التكفير على فاعلي بعض الموبقات، لا يعني بالضرورة شمول الحكم كل من تلبس بهذه الموبقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠) فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع." (٢)

وتساءل ابن أبي العز- رحمه الله - (ت: ٧٩٢هـ): عن الشخص المعين، "إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟

(١) الديمقراطية دين / لأبي محمد المقدسي ص ٣

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ٢٣ / ٣٤٥

فأجاب: هذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.....، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله.<sup>(١)</sup> فليس كل من فعل مكفراً حكم بكفره؛ إذ القول أو الفعل قد يكون كفراً؛ لكن لا يطلق الكفر على القائل أو الفاعل إلا بشرطه. وهذا ما طبقه السلف - رضي الله عنهم - مع أشد مخالفهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وإنما كان - أي الإمام أحمد - يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بيّنة. لكن ما كان يكفر أعيانهم، ومع هذا فالذين كانوا من ولاية الأمور يقولون بقول الجهمية، ويدعون الناس إلى ذلك، ويعاقبونهم، ويكفرون من لم يجبههم، ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالى ترحم عليهم واستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لمن يبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال لهم ذلك.<sup>(٢)</sup>"

### تعقيب:

يلاحظ على تنظيم القاعدة في هذا الأصل ما يلي:  
**أولاً:** مسارتهم إلى التكفير وسهولة هذا الأمر عندهم، دون الاهتمام بالتحذيرات النبوية من تكفير المسلم وإخراجه من دين الله - تعالى -.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز / ٤٣٧/٢

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية / ٣٤٩/٢٣

ثانياً: أنهم جعلوا مسألة الحاكمية من أهم الواجبات في الدين، وبناء على ذلك أهملوا الدعوة إلى تصحيح العقائد، والتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن رذائل السلوكيات.

### الأصل الثاني: الخروج على ولاة الأمر.

وفي هذا الأصل يبدو أثر فكر الخوارج واضحاً في تنظيم القاعدة، إذ إنهم انتهجوا نهج أسلافهم الخوارج في بدعة الخروج على ولاة الأمر دون مراعاة للنصوص الشرعية التي تأمر بطاعتهم والسمع لهم.

بل لا يهتمون بما يترتب على الخروج على ولاة الأمر من فتنة وضرر يلحق بالبلاد والعباد، ويعدون هذا أقل فتنة من الصبر على ولاة الأمر. يقول أبو بصير الطرطوسي: "بعد أن ثبت كفرهم:

كيف يكون التعامل معهم شرعاً؟ هل تجوز طاعتهم وموالاتهم، والتعامل معهم كولاة شرعيين، أم يجب الخروج عليهم وجهادهم، وقتالهم إلى أن يندفع بلاؤهم وشرهم عن الأمة؟

أقول: لا شك ولا خلاف أن نصوص الشريعة تلزم الأمة بالخروج على طواغيت الكفر وأئمتهم.

لا شك ولا خلاف أن الخروج عليهم هو أقل فتنة وضرراً على البلاد والعباد من الصبر عليهم والاعتراف بهم، وبشرعيتهم، وشرعية أنظمتهم الكافرة، ضريبة الذل والركون إلى الطواغيت الظالمين المارقين هي أشد كلفة وفتنة وتضحية وبلاء من ضريبة جهادهم والخروج عليهم."<sup>(١)</sup>

(١) الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير / ص ١٢٧

ويقدح تنظيم القاعدة فيمن لا يرى رأيهم في الخروج على ولاة الأمر، ويتهمونه بالجهل والعمى، فهم يرون أنه: " لا يشذ عن هذه الرؤية - أي: الخروج عن الحُكام - إلا جهمي جلد، أو جاهل أعمى الله بصره وبصيرته، أو نفعي خسيس باع دينه بعرض من الدنيا يرميه إليه الطواغيت، وشذوذ هؤلاء غير معتبر ولا يؤبه له " (١)

### تعقيب:

**أولاً:** لا يخفى أن قولهم بالخروج على الحُكام مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، وفي الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "السمع والطاعة حق، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة." (٢)

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية." (٣)

وعن أبي ذر رضي الله عنه. قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذع الأطراف." (٤)

(١) التكفير عند جماعات العنف المعاصرة / ص ١٢٠

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام، رقم ٢٩٥٥

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -:

«سترون بعدى أموراً تنكرونها، رقم ٧٠٥٣

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمامة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (وتحريمها في

المعصية، رقم (١٨٣٧)

يقول الإمام الطحاوي (ت: ٣٢١هـ): "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة" <sup>(١)</sup>.

وقال الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ) "وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين" <sup>(٢)</sup>  
ثانياً: أن علماء السلف قرروا أنه لا يجوز الخروج على الأئمة ومناذرتهم إلا بشرطين:

أحدهما: وجود كفر بواح عندهم من الله فيه برهان. والشرط الثاني: القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر منه، وبدون ذلك لا يجوز. <sup>(٣)</sup>  
وأن من يقدر ذلك هم العلماء الصادقون وليس أصحاب الأهواء والآراء المخالفة للكتاب والسنة.

### الأصل الثالث: القدح في العلماء

لقد سلط أتباع هذا التنظيم ألسنتهم على العلماء، وخاضوا فيهم بالبهتان والكذب، ولم يسلم علماء الأمة الربانيون من قدحهم والظعن فيهم. يقول أسامة بن لادن (ت: ١٤٣٢هـ) عن أئمة الحرم: يشهدون شهادة الزور في البيت الحرام وعند الكعبة <sup>(٤)</sup> ويتهممهم بالفسق فيقول: "للأسف تجد الشباب يأتيك مسروراً أنه التقى بالشيخ الفلاني من أئمة الحرم، ما ينبغي

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ص ٣٧٩

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / ٢٢٩/١٢

(٣) ينظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ٢٠٣/٨

(٤) بن لادن مجدد الزمان / لفارس الزهراني ص ٤٧٣



الزور في البيت الحرام وعند الكعبة" (١) ويتهمهم بالفسق فيقول: " للأسف تجد الشاب يأتيك مسروراً أنه التقى بالشيخ الفلاني من أئمة الحرم، ما ينبغي أن تبسم في وجه هذا الفاسق الذي يضل الأمة بأسرها فإذا ما حصل هذا الفهم في الصحوة فلن نصل إلى مرادنا في إقامة الحق، فالتبيين والإيضاح للناس أن الأئمة ضلوا: هذا أمر في غاية الأهمية." (٢)

ويظهر من هذا أن هذا التنظيم يعمل على إسقاط العلماء في نفوس الشباب لئلا يستمعوا لهم فتتكشف حقيقة قادة الفكر الحُروري وأفكارهم الضالة.

وهذا ما يؤكده أبو محمد المقدسي في تعقيبه على كلام عالم العصر الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - ( ت : ١٤٢١هـ ) فيقول المقدسي : " وما أوردته قط على سبيل الاعتداد به أو الاحتجاج ؛ إذ نحن لا يهمنا ما يقوله ابن عثيمين وأمثاله من علماء الحكومات ، ولسنا ممن يحرص على تجميع فتاواهم في هذه الأبواب أو نستमित في تحرير مرادهم فيها ، بل إننا والله لتتخرج من نقل وإيراد ما وافق الحق من مقالاتهم في كتاباتنا ، خشية من التلبس على الشباب ، وخشية من إيهام توثيقنا لعلماء الحكومات وإقرارهم كمرجعية للأمة." (٣)

لقد غالى هذا التنظيم في تطاوله على السادة العلماء فاتهمهم بالتضليل ، والعمالة والتعلق بالدنيا ، وبأنهم أذئاب السلطان ، وربما رموهم بالكفر.

(١) بن لادن مجدد الزمان / لفارس الزهراني ص ٤٧٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٨٣

(٣) تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهم والإرجاء / / لأبي محمد المقدسي / ص ١٢٧

فقد تجرأ أيمن الظواهري على عالم الأمة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ) - بقوله: " لقد عاش آلاف الشباب أسرى لهذه الأسماء الرنانة ابن باز، العثيمين يتبعونهم لا يجروون على مخالفتهم حتى وإن عظم خطؤهم، وفحش انحرافهم." إلى أن قال: " لقد آن للشباب المسلم أن يتحرر من تلك الأسماء الرنانة، الجوفاء، التي تبادت في نفاق الطواغيت حتى هان قدرها، وأصبحت مثاراً للسخرية على السنة الأولياء والأعداء " (١).

### تعقيب:

ويمكن أن نسجل على ما ذهبت إليه هذه الجماعة من آراء ما يلي:  
**أولاً:** كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، فقد كانا وما زالا الشيخان - ابن باز والعثيمين - لهما لسان صدق في الأمة، يثنى عليهما، ويترحم عليهما من جماهير أجناس الأمة.

**ثانياً:** أن سبب هجوم تنظيم القاعدة على السادة العلماء أنهم كشفوا انحرافهم، وبنوا للأمة إفسادهم في الأرض بالدمار والتخريب، وقتل الأبرياء. لقد دأب السادة العلماء على كشف حقيقة الفكر الحuroري المعاصر، وتحذير الأمة من أقوالهم وأفعالهم، وتحصين الشباب المسلم من أباطيل خوارج العصر وضلالاتهم. يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - (ت: ١٤٢٠هـ) كاشفاً حقيقة زعيم تنظيم القاعدة -: "إن أسامة بن لادن من المفسدين في الأرض، ويتحرى طرق الشر الفاسدة، وخرج عن طاعة ولي الأمر" (٢) وقال أيضاً - رحمه الله - " ونصيحتي للمسعري، والفقير، وابن

(١) مجلة المجاهدون / العدد الحادي عشر / ٣ شعبان / ١٤١٥هـ

(٢) جريدة المسلمون والشرق الأوسط - ٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ

لادن، وجميع من يسلك سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله ويحذروا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منهم، والله سبحانه وعد عباده التائبين بقبول توبتهم، والإحسان إليهم" <sup>(١)</sup>

### الأصل الرابع: هجرة المجتمع.

توارثت جماعات التكفير فكرة هجرة المجتمع وإعلان المفاصلة الكاملة بينهم وبين مؤسساته على اختلاف مسمياتها، فلم تنفرد جماعة التكفير والهجرة بهذا الأصل بل توارثه عنهم تنظيم القاعدة بحجة أن الدار دار كفر وحرب، قال فارس الزهراني: "ومعرفة مناط الحكم على الدار؛ ومنه تعلم أن البلاد التي أكثر أهلها من المسلمين، ولكن يحكمها حكام مرتدون بأحكام الكفار، بالقوانين الوضعية، هي اليوم ديار كفر، وإن كان أكثر أهلها مسلمين" <sup>(٢)</sup> ومن ثم رأوا "أن الهجرة من دار الكفر ودار الحرب إلى دار الإسلام هي من أوائل الخطى على هذا الطريق، طريق المفاصلة بين المؤمنين وطواغيت الأرض." <sup>(٣)</sup>

ودعوا الناس إلى هجرة المجتمعات، والالتحاق بمعسكرهم في أفغانستان، يقول أسامة بن لادن: "فيا أهل الحل والعقد، اتقوا الله في أنفسكم، وفي أمتكم، وليهاجر الذين يستطيعون، فيتحرروا من القيود الوهمية، وما يفرضه النظام من ضغوط نفسية، ليتنسى لكم القيام بواجبكم بتوجيه الأمة، فإن تأخركم يزيد الأمور تعقيداً، والمشاكل عمقاً، فقوموا بواجبكم، وسارعوا في استدراك الموقف." <sup>(٤)</sup>

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٠ ص ٧ - ١٧

(٢) سلسلة العلاقات الدولية / لفارس الزهراني / ص ٢١

(٣) ينظر: الإعلام بوجود الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام / للجربوع / ص ٥

(٤) إعلان الجهاد / لابن لادن / ص ٢

وقد اتخذت الهجرة عند تنظيم القاعدة صورتين :

**الصورة الأولى:** هجرة المدارس والجامعات، فهم دعوا إلى هجر المدارس بحجة أنها غير قائمة على منهاج النبوة، وأن المناهج التي تدرس من خلالها تتعارض مع العقيدة والشريعة، يقول المقدسي: "إن مشاركة المسلم في هذه المدارس، وزجه بأولاده وفلذات كبده فيها أمر يتعارض مع عقيدته وتوحيده وشرعه. وكل مسلم راع، ومسئول عن ذريته، والواجب في ظل غياب الدولة المسلمة التي تهيئ التعليم الإسلامي النقي للمسلم أن تجتمع كل طائفة من المسلمين، وتقوم بتوفير البدائل لأبنائها."

ويرى أن البديل المناسب للمدارس والجامعات يتمثل في الكتابات فيقول: "ولنبداً بنظام الكتابات الذي يركز فيها على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الكتابة والقراءة، ويمكن متابعة الطلاب بعد ذلك والتفرغ لتعليمهم كل بحسب ميوله وتطلعاته بحسب الإمكانيات النظيفة المتاحة لوالده في هذه الظروف."<sup>(١)</sup>

**الصورة الثانية:** هجرة المساجد وعدم الصلاة فيها، يرى تنظيم القاعدة أن كل المساجد التي تخالف توجهاتهم الفكرية مساجد ضرار، ومن ثم يجب هجرانها، ولا يصح الصلاة فيها، وبنوا ذلك على ظنون وشبهات واهية لا ترتقي إلى دليل.

ولم يكتف تنظيم القاعدة بهجر المساجد بحجة الضرار، بل وصل بهم الغلو في الرأي والتطرف في الفكر إلى الأمر بهدم هذه المساجد، ومحو أثرها، يقول أبو قتادة: "ومما تدخل في معنى مسجد الضرار وينطبق عليها الوصف

(١) إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس / لأبي محمد المقدسي / ص ٢

الشرعي تلك المساجد التي بناها الطواغيت؛ لتذكر فيها أسماؤهم، وتسمى بهم، وهذه المساجد فيها الكثير من معاني الضرار، منها أنها بنيت رياءً وسمعةً، وأموالها إنما بنيت من سرقات هؤلاء الطواغيت، وبعضها من الربا" (١)

**تعقيب:**

ويمكن أن نسجل على ما ذهبت إليه هذه الجماعة من آراء ما يلي:

**أولاً:** أن تحريم أخذ العلم بالوسائل المتجددة كالجامعات، والمعاهد العلمية تحريم بغير دليل، وهو ضرب من ضروب الغلو؛ فإن الوسائل والأماكن تختلف بحسب اختلاف الزمان والمكان. (٢)

**ثانياً:** أن العرب كان لديهم اهتمام بالعلوم البشرية قبل الإسلام فجاءت الشريعة مقررة بما هو صحيح منها، وأبطلت ما هو باطل منها، بل إن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - تبين مشروعية تعلم العلوم البشرية، والاستفادة من كل المستجدات العلمية والاكتشافات المعاصرة.

فقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت أن يتعلم العبرية فتعلمها حتى أتقنها، وأخذ صلى الله عليه وسلم بعلوم بعض الأمم فيما يتعلق بالحروب ووسائل القتال. ومن هذا يتبين أن تحريم العلوم البشرية تحريم لما أحل الله عز وجل.

**ثالثاً:** دعوى أن مساجد المسلمين مساجد ضرار دعوى بدون دليل؛ إذ إن كل الجوانب التي توفرت في مسجد المنافقين وسوغت هدمه غير متوفرة في مساجد المسلمين اليوم. (٣)

(١) مساجد الضرار / أبو قتادة الفلسطيني / منبر التوحيد والجهاد / ص ١

(٢) ينظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين / عبدالرحمن اللويحق / ٤٤٩

(٣) ينظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين / عبدالرحمن اللويحق / ٤٦٥

## المبحث الرابع : جماعة تنظيم الدولة نشأتها، وأصولها

### المطلب الأول : نشأة جماعة تنظيم الدولة (داعش)

لقد شهدت المجتمعات المسلمة في السنوات الماضية ظهور جماعات تطرفت في آرائها، وغلت في أفكارها، وأحيت أفكار الخوارج بعد أن صارت رماداً خمد نارها.

ومن هذه الجماعات ما يسمى "بتنظيم الدولة الإسلامية"، والتي غيرت من اسمها عدة مرات فأولاً كانت تسمى "الدولة الإسلامية في العراق"، ثمَّ غيرت اسمها لتصبح الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام، ثمَّ فجأةً صارت تدعى الخلافة الإسلامية.<sup>(١)</sup>

وفي سنة ٢٠١٣ م أطلق عليها اسم "داعش" وصار علماء على جماعة الدولة الإسلامية، وهو اسم مختصر لها، وذلك بأخذ الحرف الأول من كل كلمة.

ولا يخفى أن هذه الجماعة الغالية وليدة الأحداث الدامية التي ضربت بلاد الشام في السنوات الماضية، بيد أنها تطرفت في أفكارها فكفرت المسلمين، واستباححت دماءهم، واستحلت أموالهم<sup>(٢)</sup> لقد صحب نشأة داعش علامات استفهام عديدة عن ظهورها، وانتشارها، ومن يقف وراءها، وأسلوبها الوحشي، وولعها بسفك الدماء وغلوها الفكري، وتطرفها العقدي.

(١) ينظر: الدّولة الإسلامية "داعش" نشأتها - حقيقتها - أفكارها - وموقف أهل

العلم منها/ لصالح حسين الرقب /ص ٢

(٢) ينظر: العلامات الفارقة في كشف دين المارقة / لمظهر الرئيس ص - ٢٩ .

إلا أن أدبياتها، وبياناتها كشفت حقيقتها، وأزاحت الستار عن الغموض والخفاء الذي اكتنفها؛ فتبين أنه سلبية الخوارج الغلاة، نهجت نهجهم، وسلكت طرقهم، وتأثرت تأثراً مباشراً بأفكارهم.

ويتضح ذلك من انطباق أوصاف الخوارج عليهم، فقد تميز الخوارج بصفات قلَّ أن توجد في سواهم، وهذه الصفات يتميز بها أتباع داعش هذه الأيام<sup>(١)</sup>، ومنها:

**الأولى:** السطحية وعدم العمق في فهم الأمور، وعدم الغور في تقدير نتائج ما يقدمون عليه<sup>(٢)</sup>

وذلك لأنهم غلب عليهم الجهل بأحكام الشريعة السمحة، ولم يفهموا النصوص على وجهها الصحيح.

**الثانية:** التشدد في العبادة والمبالغة فيها، وبهذا الإيمان والتقى لا يهتمون في دينهم وإخلاصهم، فقد كانوا مخلصين لدين الله تعالى، ساعين لخير الإسلام، لكنهم قد ضلوا الطريق دون أن يدركوا أنهم ضلوا، وواصلوا السير في طريق الضلال وأوغلوا فيه، ولقد وصفهم عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١ هـ) - رضي الله عنه - أحسن وصف، حين قال لهم: "إنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها."<sup>(٣)</sup>

**الثالثة:** حبُّ الفداء والرغبة في الموت، والاستهداف للمخاطر من غير رادع قوي، وربما كان منشؤه هوساً عند بعضهم، لا مجرد الشجاعة.<sup>(٤)</sup>

---

(١) ينظر: الدَّولة الإسلامية "داعش" نشأتها حقيقتها أفكارها وموقف أهل العلم منها / لصالح حسين الرقب / ١٣٢

(٢) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي / لأحمد شلبي / ج ٢ / ص ٢٥٩

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه / عبد الله بن عبد الحكم / ١١٣

(٤) ينظر: الدَّولة الإسلامية "داعش" نشأتها حقيقتها أفكارها وموقف أهل العلم منها / لصالح حسين الرقب ص ١٣٣

**الرابعة:** ومن الملامح شديدة الوضوح في الخوارج الفوضى والاضطراب وعدم الخضوع للنظام. ومن فوضاهم أنهم عادوا الناس جميعاً، وأعلنوا الحرب على كل من لم يكن من جماعتهم.

ومن فوضاهم أنهم كانوا كثيري الفرقة يخرج بعضهم على بعض لأوهى الأسباب، ويعتبرون الصديق عدواً دون جريرة تذكر. ومن فوضاهم البالغة أنهم كانوا يحكمون بتكفير الناس لأنفه الأسباب أو بدون سبب. <sup>(١)</sup>

**الخامسة:** أنهم يخرجون متسللين من دولهم، دون أن يشعر بهم آباؤهم وأمهاتهم، يصف لنا الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ذلك فيقول: " ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوه من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والاحوال والحالات، وفارقوا سائر القربان، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم، وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنه من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة" <sup>(٢)</sup>.

تلك هي بعض الملامح التي اشترك فيها خوارج الماضي والحاضر يتضح منها: أنهم لم تكن لهم مبادئ ثابتة مبنية على دراسات عميقة، فما أبعدهم عن الدراسات، وما أبعدهم عن العمق فيها <sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي / لأحمد شلبي / ج ٢ / ص ٢٧٠ - ٢٧١

(٢) البداية والنهاية / لابن كثير / ج ٧ / ٣١٧ /

(٣) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي / لأحمد شلبي / ج ٢ / ص ٢٧٠ - ٢٧١



فقد آل أمر " داعش " ليصبحوا أعداء خطرين على الإسلام والمسلمين ،  
فقد ابتدعوا في الإسلام ما ليس منه ، وأسرفوا في التنكيل بالمسلمين ، وأزهقوا  
آلاف الأرواح ، وقضوا باليتم والترمل والشكل على آلاف الأطفال ،  
والزوجات ، والأمهات .

### المطلب الثاني : الأصول الفكرية لجماعة "تنظيم الدولة ( داعش )

ثمت أصول جمعت بين خوارج الأمس وخوارج اليوم من خلالها يتبين لنا  
أن " داعش " سليلة الخوارج ، بل قد فاقتها في الغلو والتطرف .

**الأصل الأول :** التكفير ، فإذا كان الأصل الجامع للحرورية الخوارج هو  
التكفير بلا مكفر . وتكفير من لا يستحق التكفير ، وبالتالي استحلال قتل من  
لا يستحق القتل ، حيث إنهم يؤصلون أصولاً معينة ، ويعتبرون من خالفها  
كافراً ، ويختلط الأمر عندهم بين جماعتهم والإسلام نفسه ؛ فيعتبرون من  
خالفهم قد خالف الإسلام نفسه ، ومن عاداهم فقد عادى الإسلام نفسه ،  
ومن رفض بيعتهم فقد رفض الإسلام كدين ، وبالتالي هو كافر .<sup>(١)</sup>

فإن من يطالع الأقوال والممارسات الفعلية لتنظيم " داعش " ، يلاحظ  
أوجه الشبه بين خوارج الأمس وخوارج اليوم ، ويستمع لعبارات التكفير  
والحكم بالردة ، واستحلال الدماء المسلمة ، التي تخرج من أفواه شباب صغار  
حدثاء أسنان ، التحقوا بالدولة الإسلامية ، ومنهم من يكفر حتى من ينتقد  
سلوكهم ، ويعرض لما يقومون به من أفعال ، ويحاورهم بالحجة والتي هي  
أحسن ، فلا يتورعون عن تكفيره والطعن في دينه<sup>(٢)</sup> وقد وافقت داعش طائفة

(١) ينظر : العلامات الفارقة في كشف دين المارقة / لمظهر الريس ص - ٥٢ .

(٢) ينظر : الدولة الإسلامية داعش نشأتها حقيقتها أفكارها وموقف أهل العلم منها

/الحسين صالح الرقب / ص ٩٥

"البهسية" <sup>(١)</sup> و"العوفية" <sup>(٢)</sup> في إطلاقهم لعنان التكفير إذ إنهم لم يكتفوا بتكفير الإمام، بل حكموا بتكفير الجنود تبعاً له، فقد قال بعض البهسية: "فإذا كفر الإمام كفرت الرعية" <sup>(٣)</sup> وقالت العوفية: "إذا كفر الإمام كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد" <sup>(٤)</sup> وهذا الذي قالت به داعش حيث إنهم "كفروا قيادات" الجبهة الإسلامية "ومن ثم كفروا الجنود تبعاً لهم لأنه إذا كفر القائد كفر الجنود" <sup>(٥)</sup> إن أساس التكفير عند داعش "يقوم على مبدأ" الحكم بما أنزل الله، "وعنه يتفرع تكفير الحكام الذين يحكمون بالقوانين الوضعية، وتكفير الراضين بذلك، وتكفير من لم يكفر هؤلاء جميعاً، كما أن البلدان التي تحكم بالقوانين تصبح كلها دار كفر. <sup>(٦)</sup> وبناء على هذه النظرة جعلوا تقسيم العالم إلى دار إسلام، ودار كفر "من المعلوم من الدين بالضرورة." <sup>(٧)</sup> وقد أكدت "داعش على الأصل التكفيري الذي يجمعهم مع الخوارج في بيان ما يسمى عندهم "الهيئة الشرعية للدولة الإسلامية"، ومما جاء فيه: "إن

(١) البهسية تنسب إلى أبي البيهس من بني سعد بن ضبيعة بن قيس، واسمه هيصم بن

جابر، الملل والنحل ج١ ص ١٢١

(٢) العوفية سماهم الشهرستاني العونية، وهم من البهسية، انقسموا فرقتين، الملل

والنحل ج ١، ص ١٢٢

(٣) الفرق بين الفرق / للبغدادي / ١٠٠

(٤) الفرق بين الفرق / ص ١٠٠

(٥) ينظر: العلامات الفارقة ص ٧٣

(٦) ينظر: الدولة الإسلامية داعش نشأتها حقيقتها أفكارها وموقف أهل العلم منها

/الحسين صالح الرقب / ص ٩٤

(٧) ينظر: تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة، التأثير، المستقبل: مركز الجزيرة -

للدراستات / ص ٩٤

أمرء ما يسمى بالجبهة الإسلامية قد تلبسوا بمناطات كفرية قبل إنشاء جبهتهم وبعدها".<sup>(١)</sup>

ومما جاء في بيان الهيئة الشرعية أيضاً: "فإذا تقررت ردة أمرء ما يعرف بالجبهة الإسلامية.....، بما تقدم من مناطات كفرية، كتولي المرتدين والكفار وتصحيح مذهبهم، وغير ذلك، فليعلم أن كل من التحق بهؤلاء المرتدين بعد العلم بحالهم؛ وقاتل تحت رايتهم؛ فحكمه حكمهم، سواء بسواء، فلا خلاف بين أمة التوحيد في حكم من صار مع المرتدين وأعداء الدين في أنه من جملتهم؛ وحكمه حكمهم"<sup>(٢)</sup>

ومن هذا يتبين أن "داعش" تكفر أي جماعة أو فصيل أو شخص يكون له موقف سلبي، وممانع ضد تنظيمهم، أو لم ينضم إليهم. وهذا ما ذهب إليه "نافع بن الأزرق" (ت: ٦٥هـ)<sup>(٣)</sup> قديماً حين أظهر البراءة من القعدة على القتال، وكفر من لم يهاجر إليه."<sup>(٤)</sup>

### الأصل الثاني: الخروج عن السنة:

من الأصول التي اشتهر بها الخوارج - كما ذكر شيخ الإسلام "ابن تيمية" (ت: ٧٢٨هـ) خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة<sup>(٥)</sup> يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "الخوارج

(١) العلامات الفارقة ص ٧٠

(٢) العلامات الفارقة ص ٧٠

(٣) هو نافع بن الأزرق الحروري إليه تنسب الأزارقة، اشتدت شوكته وكون جيشاً كبيراً آخر دولة يزيد بن معاوية، وكان مقتله سنة خمس وستين. انظر: لسان الميزان ج ٦ / ص ١٤٤

(٤) ينظر: الملل والنحل / للشهرستاني / ج ١ / ١١٥

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى / ج ١٩ / ص ٧٣

الحرورية كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة، مع وجود بقية الخلفاء الراشدين، وبقايا المهاجرين والأنصار، وظهور العلم والإيمان والعدل في الأمة، وإشراق نور النبوة، وسلطان الحجّة، وسلطان القدرة، حيث أظهر الله دينه على الدين كله بالحجة والقدرة، وكان سبب خروجهم؛ ما فعله أمير المؤمنين "عثمان" و"علي" ومن معهما من الأنواع التي فيها تأويل، فلم يحتملوا ذلك وجعلوا موارد الاجتهاد بل الحسنات ذنوباً، وجعلوا الذنوب كفراً، ولهذا لم يخرجوا في زمن "أبي بكر" و"عمر" لانتفاء تلك التأويلات وضعفهم." (١)

وقد وافقت "داعش" الخوارج في هذا الأصل، وأتوا بكل ما اشتهر به الخوارج من أمور تدل على خروجهم عن السنة، ويظهر هذا فيما يلي:

**أولاً:** الاعتماد على الجدل العقلي؛ والابتعاد عن النصوص الشرعية في الاستدلال، واستخدام التجيش العاطفي، ولهذا سمت داعش نفسها بالإسلامية، ودعت لتطبيق الحدود، ورفعت شعار "باقية" وجيشت الأغرار والغلمان، وفي خطبهم لا تسمع حديثاً نبوياً، أو قولاً لعالم، بل مجرد تهيج للعواطف. (٢)

**ثانياً:** إنزال النصوص وأقوال العلماء على غير منزلها، مع سطحية في الاستنباط دون تعمق ورسوخ. ومن ذلك ما قاموا به من إنزال أحكام تولي الكفار المذكورة في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) المرجع السابق / ج ٢٨ / ص ٤٨٩

(٢) ينظر: العلامات الفارقة ص ٥٥

الظَّالِمِينَ ﴿ ( المائدة: ٥١ ) على من يتعامل مع الكافرين تعاملًا مشروعاً أو على الأكثر محرماً لا مكفراً . ومن ثم انطلقوا في سلسلة التكفير حتى ما بقي أحد. <sup>(١)</sup>

وأنزلوا كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا التَّيْبُوتَ الَّذِينَ أَسْمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبَانُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ( المائدة: ٤٤ ) على الهيئات الشرعية ووصفوها بالشركية. وأنزلوا حديث " من مات وليس في عنقه بيعة " <sup>(٢)</sup> على جماعتهم التي عدوها جماعة المسلمين.

**ثالثاً:** الغلو في البيعة والإمامة. فقد بلغ بداعش الغلو في مسمى الدولة مبلغاً عجبياً حتى أصبح هتافهم وشعارهم ؛ ووصفوها بالباقية ، وأجبروا الناس على بيعتهم وإلا فالسجن أو القتل ، ووالوا وعادوا في هذا المسمى ، ولأجله نكثوا العهود والمواثيق.

ومن غلوهم أنهم جعلوا الإمامة أصل الأصول عندهم ؛ بل جعلوا الإسلام محصوراً بالدولة ، ولذلك لا يدعون الناس للإسلام والسنة وإنما يدعونهم للدخول في دولتهم. <sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: العلامات الفارقة ص ٥٦

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور

الفتن حديث رقم ١٨٥١

(٣) ينظر: العلامات الفارقة ص ٥٨

رابعاً: الطعن في أئمة الهدى وأهل العلم والفضل، لأن المخالف في نظرهم فاجر، أو مرجئ أو مبدل، أو ضال مضل، أو كافر، أو مرتد، ولذلك تجد خطابهم مملوء بالطعن في العلماء، والفضلاء، والشتم للأكابر الأمة وفضلائها. (١)

### الأصل الثالث: الامتحان في العقيدة

ومن الأصول التي وافق فيها تنظيم "داعش" الخوارج ما ذكره البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) عن الخوارج الأزارقة من أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم: أن يدفع إليه أسير من مخالفينهم ويأمره بقتله، فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا: هذا منافق ومشرك، وقتلوه. (٢)

فقد سارت "داعش" على نهج الأزارقة في امتحان الناس بما ليس في الكتاب والسنة من أقوال إذ إنهم جعلوا من شرط الإسلام الكفر بالطاغوت، وهذا حق ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وإنما الإشكال عندهم في فهم المراد بالطاغوت وتنزيل معناه يقول صاحب "العلامات الفارقة": "فقد غلوا في حقيقة الكفر بالطاغوت فاعتبروا أنها تشمل التنصيص على تكفير كل الحكومات والهيئات المرتدة؛ فمن لم يصرح بتكفير الطواغيت فهو كافر؛ لأنه من لم يكفر الكافر فهو كافر" (٣) ولا يخفى أن هذا الصنيع لا

(١) ينظر: السابق ص ٦٣

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق / للبغدادي / ص ٧٩

(٣) العلامات الفارقة / لمظهر الريس / ص ٧٤

يمت لمذهب السلف بصلة؛ إذ أنه ليس من مذهبهم -رحمهم الله - حمل الناس على اعتقاد لم يعتقدوه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، ولا امتحان الناس بما لم يمتحنهم الله تعالى به، والعمل على الفتنة وتفريق الصفوف<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى: " وكذلك سائر أهل الأهواء فإنهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء؛ ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته."<sup>(٢)</sup> وقال أيضاً: " وكذلك التفريق بين الأمة وامتحنها بما لم يأمر الله به ولا رسوله...؛ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة."<sup>(٣)</sup>

بهذا يتبين أن داعش من الخوارج الغلاة، بل قد فاقوا بأفعالهم وتصرفاتهم الخوارج الأوائل في كثير من الصفات والأفعال، فجمعوا بين الغلو، والبغي، والعدوان، والقتل بغير حق.

\* \* \*

(١) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة /عثمان جمعة ضميرية/ ج١ ص١٥١ / مكتبة السوادي للتوزيع / ١٩٩٦م

(٢) مجموع الفتاوى ج١٧ / ٣١٢-٣١١١

(٣) السابق ج٣ / ٤١٥

## الختام

- يمكن إبراز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج فيما يلي :
- 1- أن جماعات التكفير وما تبثه من أفكار ضالة لها أضرار بليغة تؤثر على الفرد والمجتمع والأمة في وحدتها وأمنها.
  - 2- أن أفكار التكفير ولدت في بطون كتب الخوارج والشيعة والمعتزلة، وقد جاء من ينفض الغبار عنها، ويحاول أن يعيد الحياة إليها من جديد، كجماعة التكفير والهجرة، وتنظيم القاعدة، وداعش وغيرهم ممن أفرط في مسألة التكفير.
  - 3- أن جماعة "التكفير والهجرة" تعد من أشد الأخطار الفكرية التي تعرضت لها الأمة في العصر الحديث، لأنها أعادت إلى الأذهان تاريخ الخوارج، وكيف كانوا يعاملون أهل السنة والجماعة، وحكمت على غيرها من الجماعات والأحزاب والهيئات الإسلامية بالارتداد عن الإسلام.
  - 4- أن ما تبنته جماعة التكفير من أفكار غالية لم يكن مطروحاً من قبل في الساحة الإسلامية المعاصرة. ثم صار نواة لظهور ذوي الأفكار الضالة.
  - 5- أن جماعة التكفير والهجرة أسرفت في إطلاق عنان التكفير حتى أخرجوا الناس جميعاً من دائرة الإسلام ولم يبقوا مسلماً إلا هم.
  - 6- أن تنظيم القاعدة من بين جماعات التكفير الأخطر فكرياً، والأنكى على الأمة الإسلامية عملياً
  - 7- أن داعش من الخوارج الغلاة، بل قد فاقوا بأفعالهم وتصرفاتهم الخوارج الأوائل في كثير من الصفات والأفعال، فجمعوا بين الغلو، والبغي، والعدوان، والقتل بغير حق.



٨ - انطباق أوصاف الخوارج على الدواعش، فقد تميز الخوارج بصفات قلَّ أن توجد في سواهم، وهذه الصفات يتميز بها أتباع داعش هذه الأيام.

### التوصيات:

- ١- أن معالجة الأفكار الضالة التي تطرحها جماعات التكفير يحتاج إلى تكاتف من الآباء، والأمهات، ورجال الدين، والعلماء، ورجال الإعلام، والمدرسين كل في موقعه وفي حدود تخصصه وإمكاناته وقدرته.
- ٢- تشكيل لجان توعوية على مستوى العالم العربي والإسلامي لتبصير الشباب بأخطار جماعات التكفير، وتفنيدها ما تثيره من شبهات، وإعادة الثقة للشباب في أنفسهم، وإيضاح الحقائق التي قد تكون خافية.

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- ١ - أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر / عبد التواب محمد عثمان / ط١ / الشارقة / مكتبة الأصالة والتراث / د. ت.
- ٢ - الاستقامة / ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام / تحقيق محمد رشاد سالم / ط٢ / الرياض / إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤١١هـ.
- ٣ - أصول الكافي / الكليني / دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان / ط١ / ٢٠٠٥م.
- ٤ - إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس / لأبي محمد المقدسي / منبر التوحيد والجهاد / د. ت.
- ٥ - إعلان الجهاد / ابن لادن / موقع إحياء الفريضة الغائبة / د. ت.
- ٦ - الإعلام بوجود الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام / للجربوع / د. م / ١٤٢٢هـ.
- ٧ - أعمال تخرج صاحبها من الملة / عبد المنعم مصطفى حلیمة / د. م / ٢٠٠١م.
- ٨ - الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة / عبدالله شبر / مؤسسة الوفاء - لبنان / ط١ / م ١٩٨٣.
- ٩ - أوائل المقالات / للمفيد / تحقيق إبراهيم الأنصاري / المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد / ط١ / ١٤١٣هـ.
- ١٠ - بحار الأنوار / للمجلسي / مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية - قم / د. ت.
- ١١ - البداية والنهاية / ابن كثير / تحقيق د عبدالله بن عبد المحسن التركي / طبعة أولى / مطبعة هجر / ١٤١٨هـ.
- ١٢ - بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية / محمد حامد الناصر / ط١ / د. م / مكتبة السوادني / ١٤١٦هـ.

- ١٣- بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير / عبدالمحسن العباد/ طبعة المكتبة الشاملة / ٢٠١١م.
- ١٤- البصائر والذخائر/ أبو حيان التوحيدي / تحقيق وداد القاضي / دار صادر - بيروت / ط١ / ١٩٨٨م.
- ١٥- ابن لادن مجدد الزمان / فارس الزهراني / مكتبة خير أمة الإسلامية / د. ت
- ١٦- تبصير العقلاء بتبليسات أهل التجهم والإرجاء / أبو محمد المقدسي / منبر التوحيد والجهاد/ د. ت.
- ١٧- التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته / نعمان بن عبدالرزاق السامرائي / ط٢ / د م / المنارة للطباعة والنشر / ١٤٠٦هـ
- ١٨- التكفير عند جماعات العنف المعاصرة/ إبراهيم العايد/ مركز نماء للبحوث والدراسات/ د. ت
- ١٩- التكفير عند الفرق والجماعات / رنا ماجد أحمد اللوح / ٢٠١١م
- ٢٠- التكفير والهجرة وجهاً لوجه / رجب مذكور/ مكتبة الدين القيم / د. ت.
- ٢١- التنقيح في شرح العروة الوثقى / للخوائي / مؤسسة الخوئي / ط٤ / ٢٠٠٩م.
- ٢٢- تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة، التأثير، المستقبل: مركز الجزيرة للدراسات ٢٠١٤م.
- ٢٣- التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية / حيدر إبراهيم / مركز دراسات الوحدة العربية / ط٢ / ١٩٩٩م.
- ٢٤- الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش / طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة / ط٢ / ١٣٨٤هـ
- ٢٥- جذور الفتنة في الفرق الإسلامية / حسن صادق مكتبة مدبولي / ١٩٨٨م.

- ٢٦- جريدة المسلمون والشرق الأوسط - ٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.
- ٢٧- جماعة التكفير في مصر الأصول التاريخية والفكرية / عبدالعظيم رمضان / د.ط / القاهرة / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٥م.
- ٢٨- جماعة المسلمين / محمد سرور زين العابدين / ط٤ / مصر / د.ن / ١٤٣١هـ
- ٢٩- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو / محمد سرور زين العابدين / ط٢ / دار الأرقم / ١٩٨٨م
- ٣٠- الحصاد المر / أيمن الظواهري / منبر التوحيد والجهاد / ١٤٢٦هـ.
- ٣١- الحكم وقضية تكفير المسلم / سالم البهنساوي / ط١ / مصر / دار الوفاء للطباعة والنشر / ١٩٩٨م
- ٣٢- حوار لا مواجهة / أحمد كمال أبوالمجد / دار الشروق / ٢٠٠٢م
- ٣٣- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام / ناصر عبدالكريم العقل / ط٢ / الرياض / دار القاسم للنشر / ١٤١٧هـ
- ٣٤- الخوارج والمرجئة / محمد إبراهيم الفيومي / دار الفكر العربي / طبعة أولى / ٢٠٠٣م
- ٣٥- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، أحمد محمد أحمد جلي / مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية / ١٩٨٦م.
- ٣٦- دعاة لا قضاة / حسن الهضيبي / دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٧
- ٣٧- الدولة الإسلامية "داعش" نشأتها حقيقتها أفكارها / حسين صالح الرقب / ط٢ / فلسطين / د.ن / ١٤٣٦هـ
- ٣٨- الديمقراطية دين / أبو محمد المقدسي / منبر التوحيد والجهاد / د.ت
- ٣٩- دين الحق / عبدالرحمن العمر / وزارة الشؤون الإسلامية المملكة العربية السعودية / د.ت

٤٠- ذكرياتي مع جماعة المسلمين / عبد الرحمن أبو الخير / ط ١ / دار البحوث العلمية /  
١٤٠٠هـ.

٤١- رجال الكشي / محمد بن عمر الكشي / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت /  
ط ١ / ٢٠٠٩م.

٤٢- رسالة أخرجوا المشركين من جزيرة العرب / لأسامة بن لادن / منبر التوحيد والجهاد  
/ د.ت.

٤٣- الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير / للمقدسي / غرفة الفجر الإسلامية  
/ ١٤١٩هـ /

٤٤- رسالة مناصحة وتذكير / أبو محمد المقدسي / منبر التوحيد والجهاد / ١٤١٩هـ

٤٥- سلسلة العلاقات الدولية / فارس الزهراني / مركز الدراسات والبحوث الإسلامية  
/ د.ت /

٤٦- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه / عبد الله بن  
عبد الحكم ، أبو محمد المصري (المتوفى : ٢١٤هـ) تحقيق أحمد عبيد / ط ٦ / عالم  
الكتب ، بيروت ، لبنان / ١٩٨٤م

٤٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن  
عبد الله اليمني / ط ١ / دار ابن حزم / د.ت.

٤٨- شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / / تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد  
الله بن المحسن التركي / مؤسسة الرسالة - بيروت / ط ١٠ / ١٩٩٧م

٤٩- الشريعة الإسلامية والقانون الدولي / عبدالكريم زيدان / مؤسسة الرسالة ، بيروت  
/ ط ٢ / ١٤٠٨هـ /

٥٠- العلامات الفارقة في كشف دين المارقة / مظهر الريس / د.ط / د.م / ١٤٣٦هـ

- ٥١- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين / عبدالرحمن اللويحق / ط١ / مؤسسة الرسالة، بيروت / ١٩٩٢م.
- ٥٢- فرسان تحت راية النبي / أيمن الظواهري / ط١ / د. ت
- ٥٣ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية / البغدادي عبد القاهر بن طاهر / تحقيق محمد عثمان الخشن / د. ط / القاهرة / مكتبة ابن سينا / د. ت
- ٥٤- الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة / علي عبدالفتاح المغربي / مكتبة وهبة / ط٢ / ١٩٩٥م
- ٥٥- الفصول المهمة في تأليف الامة / عبدالحسين شرف الدين / تحقيق عبدالجبار شرارة / المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية / ١٤١٦هـ
- ٥٦- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / القاضي عبدالجبار، الحاكم الجشمي / تحقيق فؤاد سيد / الدار التونسية للنشر / د. ت.
- ٥٧- الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء / عبدالملك الشافعي / ط١ / مكتبة الإمام دم / البخاري / ١٤٢٧هـ.
- ٥٨- القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب / كميل الطويل / دار الساقى / ٢٠٠٧م.
- ٥٩- القصة الكاملة للخوارج / إبراهيم صالح المحيميد / مكتبة الملك فهد الوطنية / المدينة المنورة / ١٤٣٦هـ.
- ٦٠ - مجموع الفتاوى / ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم / جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم / المدينة المنورة / طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / ١٤٢٥ هـ.
- ٦١- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله / ابن باز عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن / جمع وترتيب محمد سعد الشويعر / دار القاسم / الرياض / د. ت

- ٦٢- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين / جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن السليمان/ دار الوطن - دار الثريا/ ١٤١٣ هـ
- ٦٣- مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٠ / ١٤١٧ هـ - ١٤١٨ هـ.
- ٦٤- مجلة المجاهدون / العدد الحادي عشر / ٣ شعبان / ١٤١٥ هـ.
- ٦٥- مدخل لدراسة العقيدة / عثمان جمعة ضميرية / مكتبة السوادي للتوزيع / ١٩٩٦ م
- ٦٦- مساجد الضرار / أبو قتادة الفلسطيني / منبر التوحيد والجهاد / د.ت.
- ٦٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / الأشعري علي بن إسماعيل / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / د. ط / بيروت المكتبة العصرية / ١٩٩٠ م
- ٦٨- الملل والنحل / الشهرستاني محمد بن عبدالكريم / تعليق أحمد فهمي محمد / ط ٢ / دار الكتب العلمية ، بيروت / ٩٩٢١ م.
- ٦٩- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية / ابن تيمية / تحقيق محمد رشاد سالم / طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ط ١ / ١٩٨٦ م.
- ٧٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / النووي / دار إحياء التراث العربي ، بيروت / ط ٢ / ١٣٩٢ هـ
- ٧١- المنية والأمل / القاضي عبدالجبار / تحقيق: الدكتور سامي النشار / دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية / ١٩٧٢ م.
- ٧٢- موسوعة التاريخ الإسلامي / أحمد شلبي / ط ١ / مصر / مكتبة دار النهضة / د.ت
- ٧٣- النبي والفرعون / جليز كيبل / ترجمة أحمد خضر / مكتبة مدبولي ، القاهرة / ١٩٨٨ م.

\* \* \*

Ibn Taymiyah, A. A. (1425). Majmū` Al-Fatāwa (A. M. Al-Qāsim, Ed.). Al-Madinah Al-Munawarah: King Fahad Complex For The Printing of The Holy Quraan.

-Inb-Bāz, A. A. (n.d.). Majmū` Fatāwa Al-Allāmah Abdulaziz Ibn Bāz (M. S. Al-Shuwa'er, Ed.). Riyadh: Dar-Al-Qāsim.

Al-Sulaimān, F. N. (Ed.). (1413). Majmū` Fatāw Wa Rasā'el Sheikh Mohammed Bin Sāleh Al-Othaimin. Dar Al-Watan, Dar Al-Thurayya.

Islamic Research Magazine (Ser. 50). (1417-1418).

-Mujahidīn Magazine (Ser. 11). (1415).

-Dhamīriah, O. J. (1996). Madkhal Ledirōsat Al-Aqīdah. Al-Sawādi Library for Distribution.

Al-Falestīni, A. (n.d.). Masājed Al-Dherār. Member Al-Tawhīd wa Al-Jihad.

Al-Asha`ari, A. I. (1990). Maqālāt Al-Islamiyyīn wa Ikhtilāf Al-Musallīn (M. M. Abdulhamīd, Ed.). Beirut: Al-`Asriyyah Library.

Al-Shaherstāni, M. A. (1992). Al-Melal Wa Al-Nehal (2nd ed.) (A. F. Mohammad, Ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-`ilmiyah.

-Ibn Taymiyah. (n.d.). Menhaj Al-Sunnah Al-Nabawiyyah fi Naqdh Kalām Al-Shī'a Al-Nabawiyyah (M. R. Salem, Ed.).

Imam Mohammad Bin Saud Islamic University Edition (1st ed.). (1986).

-Al-Nawawi. (1392). Al-Menhāj Sharh Sahīh Muslim Bin Al-Hajāj (2nd ed.). Beirut: Dar Ihyā' Al-Turāth Al-Arabi.

-Al-Qadhi Abduljabbār, & Dr. Al-Nashār, S., Dr. (1972). Al-Munyah Wa Al-Amal. Alexandria: Dar Al-Matbu`āt Al-Jāmi'iyah.

Shalabi, A. (n.d.). Mawsū`at Al-Tarīkh Al-Eslamī (1st ed.). Egypt: Dar Al-Nahdhah Library.

Keple, J. (1988). Al-Nabey wa Fer`ūn (A. Khudher, Trans.). Cairo: Madbūli Library.

\* \* \*



- Al-Maqdisī, A. (1419h). Resāalat Munāsaha Wa Tadhkīr.  
Menbar Al-Jihad Wa Al-Tawhīd
- Al-Zahrānī, F. (n.d.). Silsilat Al-Alṓqat Al-Duwaliyyah.  
Center for Islamic Studies and Research
- Obaid, A. (ed) (1984).. Sīrat Omar Bin Abdulazīz `Ala Ma Rawāh Al-Imam  
Malek Bin Anas Wa Asehabih Bin Abdulhakam, A., & Al-Masrī, A., Died 214 .,  
Edition 6 , `ā lam Al-Kutub , Beirut , Lebanon
- Al-Shawkanī, M. (n.d.). Al-Sayl Al-Jarrar Al-Mutadaffiq Ala Hadaeq Al-  
Azhār.  
First edition , Dar bin Hazim
- Al-Hanafī, I. (1997). Sharh Al-Aqīdah Al-Tahawia (10th ed.) (S. Al-  
Arna'ūt & A. A. Al-Turki, Eds.). Beirut: Al-Resālah Foundation.
- Zidan, A. (1408). Al-Shari`ah Al-Islamiyah Wa Al-Qanūn (2nd ed.). Beirut:  
Al-Resālah Foundation.
- Al-Rayyes, M. (1436). Al-Alāt Al-Fāriqah Fi Kashf Deen Al-Māriqa.  
Al-Luwaiheq, A. (1992). Al-Gholow fi Al-Dīn Fi Hayat Al-Muslimīn Al-  
Mu`āserīn (1st ed.). Beirut: Al-Resālah Foundation.
- Al-Dhawāhir, A. (n.d.). Fursān Taht Rāyet Al-Nabi (1st ed.).  
Al-Baghdādī, A. T., & Al-Khashen, M. O. (n.d.). Al-Farq Bayn Al-Feraq  
Wa Bayān Al-Feraq Al-Nājiyah. Cairo: Ibn Sīnā Library.
- Al-Maghrabi, A. A. (1995). Al-Feraq Al-Kalamiah Al-Islamiyah ,  
Introduction and Study (2nd ed.).  
Sharaf Al-Deen, A. (1416). Al-Fosūl Al-Muhimmah Fi Ta'līf Al-Umah (A.  
Shararah, Ed.). al-majma` al-`ālamī fi taqrīb bayna al madhāhib al'islamiyah.
- Abduljabbar, A., & Al-Jashmī, A. (n.d.). Fadhil Al-E'tizāl Wa Tabaqāt Al-  
Mu`azilah (F. Sayyed, Ed.). Tunisian Publishing house.
- Al-Shafī, A. (1427). Al-Fikr Al-Takfīrī ind Al-Shī'a , Haqīqa em Iftirā' (1st  
ed.). Imam Bukharī Library.
- Al-Tawīl, K. (2007). Al-Qā'edah Wa Akhawātuha , Qessat Al-Jihādiyīn  
Al-Arab. Dar Al-Saqi.
- Al-Muhaimid, I. S. (1436). Al-Qessa Al-Kāmilah Lelkhawārej. Al-Madinah  
Al-Munawwarah: King Fahad National Library.

- Jaridat Al-Muslimuun Wa Al-sharq Al-a'wSaT. (1417).
- Ramadhan, A. (1995). Jama`et Al-Takfir fi MaSr Al-'uSuul Al-Tarikhiah wa Al-Fekriyah. Cairo: Al-hay'ah Al-MaSriyah Al-`amah Likitab.
- Zein al-`abidiin, M. S. (1431). Jama`at Al-Muslimiin (4th ed.) Cairo.
- Zein al-`abidiin, M. S. (1988). Al-Hukm bi ghier ma anzela Allah wa ahl AlGhluu. (2nd ed.) N. P: Dar Al-`arqem.
- Al-Dhawahiri, A. (1426AH). Al-HaSaad Al-Mur. N. P:Manbar Al-Tawheed wa Al-Jihad.
- Al-Bhinsawi, S. (1988) AlHukm wa Qadiyat Takfeer AlMuslim. (1st ed.) Egypt: Dar AlWafa' LiTiba`ah wa AlNashr.
- Abu alMajed A. K. (2002). Hiwar La Muwajahet . N. P:Dar Al-shor uq.
- AL`aqil, N. `A. (1417AH). Al-Khawarej Awl Alfiraq fi Tarikh Al-Islam. Riyadh: Dar Al-Qasem Li anashr.
- AlFiomy, M. I. (2003). Al-Khawarej wa Al-Murje'h. (1st ed.) N. P: Dar Al-fikr Al-`arabi.
- Jaly, A. M. (1986). Deraseh `in Alfirq fi Tarikh Almuslimin. N. P: Markez Al-Malik FaiSal Lilbuhuth wa AlDirasat Al-I'slamiyah.
- Al-Hudhiibiy, H. (1977). Du`at La Qudhat. Cairo: Dar AlTawzi` wa Alnashr Al-Islamiyah.
- Alraqib, H. S. (1436AH). AlDawlah Al-Islamiyah "Da`ish" Nash'atuha, Haqiqatuha, Afkaruha. (2nd ed.) Palestine.
- Al-Omar, A. (n.d.). Dīen Al-Haq.Ministry of Islamic Affairs , Kingdom of Saudi Arabia
- Abu-Alkhir, A. (1400 h ). Thikrayāt ma Jama` at al-Muslimūn. Dar Al-buhuth Al-`Ilmiyah
- Al-Khashī, M. O. (2009). Rijal Al-Kashī. (1sted). Al-Alamī Foundation for publication , Beirut.
- Bin-Laden, O. (n.d.). Resāalat Akhriju Al-Mushrikeen Min Jazeerat Al-Arab.
- Menbar Al-Tawhīd Wa Aljihad
- Al-Maqdisī. (1419h). Al-risāalah Al-Thalathīniāh fi al-Tahdhīr min Al-Ghulou fi Al-Takf īr. Al-Fajir Islamic Room

## List of References:

### Works cited

- Al-Majlisī (n.d.). BiHār Al-'Anwār. Mu'sasat'IHya Al-Kutub Al-'Islāmiyah. 'Ibn Kathīr (1418AH). Al-Bidāyah wa Al-Nihayah. (1st ed.) (D. `A. `A. Al-Turkyi, Ed.).MaTba`at Hajr.
- Al-NāSir, M. H. (1416AH). Bida` Al-'T'iqād wa AkhTarah `ala Al-Mujtama`at.(n.p.) (1st ed.).
- Al-`Abād, A (2011). Badhl Al-NuSH wa Al-Tadhk īr li Bqāya Al-Maftunīn bi Al-Kufr wa Al-Tafjīr. Tab`at Al-Maktabat Al-Shāmil.
- Al-TwaHīdi, A. (1988). AL-BaSā'ir wa Al-Dhakhā'ir. (1st ed.)(W. Al-QāDHī, Ed.).Beirut: Dār Sādir.
- Al-Zahrāi, F. (n.d). Bin Lādin Mujadid Al-Zamān. Maktabat Khyir 'Umah Al-'Islāmiyah.
- Al-Maqdsi A. TabSeyr Al-`oqala' bi Talbisat Ahl Al-Tajhum w Al-'rja' . Manber Al-TawHeed w Al-Jihad.
- AlSamar'ay, N. A. (1406AH). Al-Takf īr Judhurihi, Asbabihi, Mubriratihi. (2nd ed.) N. P: Al-Manarah LilTiba`ah wa AlNashr.
- Al`ayd, I. Al-Takf īr `ind Jama`at Al-`unif Al-Mu`aSiraH. N.P: Markaz Nama' LilbuHuuth w Al-dīrasat.
- Al-LuH, R. M. (2011) Al-Takf īr `ind Al-Firq wa Al-Jama`at.
- Madkur, R. AlTakfeyr wa AlHejrah Wajh Liwajh. N. P:Maktabat Aldīyn AlQaiym.
- Al-Khw'īy. (2009). Al-TanqīH fi SharH Al-`urwh Al-withiqa. (4th ed.)N. P: Mu'asasat Al-khw'īy.
- Tanzh ī m Al-Duwalh Al-'Islamiyah: Al-Nash'ah, Altatheer, Al-mustaqbal.(2014). N. P: Markaz Al-Jazirah Lidirasat.
- Ibrahim, H. (1999). AlTayarat Al-'Islamiyah wa Qadhīh AlDimuqraTiyah. N. P: Markaz Dirasāt Al-WiHdah Al-`arabiyah.
- Al-QurTubī, (1384AH). Aljame` L'aHkam Al-Qur'an. (2nd ed.) (A. Al-bardonī & I. ATfish Eds). Cairo: Tab`at Dar Al-Kutub Al-MaSriyah.
- Sadeq, H. (1988). Judh ūr Al-Fetnah fi Al-Firq Al-'Islamīh. N. P: Maktabat Madbol ī .

Takfiri Groups: Their Origination and Intellectual Roots  
A Critical Doctrine Study

**Dr. Kamal Abdelaal Tammam Abdelaal**

Assistant Professor

College of Sharia and Islamic Studies

In Al-Ahsa

Imam Muhammad bin Saud Islamic University

**Abstract:**

Takfiri groups have become a real threat to our society, because they strike the community in its essence and power by attracting the youth, leading them astray, luring them to laws of misconduct, and causing them to follow the road to the abyss of Takfir and misguidance. How did these groups arise? And what are the historical roots from which Takfiri groups emerged? What are their most important intellectual origins? And what is the relationship between the Khawarij (non-conforming dissidents) of yesterday and the Khawarij today?

The current research aims to:

- 1) Discover the roots of Takfiri groups, their evolution, their origination, and their spread among the youth.
2. Explore the intellectual foundations adopted by these deviant groups, indicating their gross violations of the traditional Muslim way.
3. Warn against the dangers of these groups, and their negative effects on society in general, and on the youth in particular.

The research has reached a number of findings, the most important of which are: the danger of Takfiri groups, and the misguided thought they spread negatively influencing the individual, society, and the unity and security of the nation.

Keywords: youth, Takfiri groups, Takfiri ideology

الآية الكبرى على ضلال مؤلف حماسة البشرى  
للعلامة أحمد بن إسماعيل البرزنجي (ت ١٣٣٥هـ)  
دراسة وتحقيقاً

د. عبد الملك بن مرشود العتيبي  
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية  
جامعة الملك سعود



## الآية الكبرى على ضلال مؤلف حماسة البشري

للعلامة أحمد بن إسماعيل البرزنجي (ت ١٣٣٥هـ) - دراسة وتحقيقاً

د. عبد الملك بن مرشود العتيبي

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود

تاريخ قبول البحث: ٢١/ ٨/ ١٤٣٩هـ

تاريخ تقديم البحث: ٢٩/ ٥/ ١٤٣٩هـ

### ملخص الدراسة:

من الكتب التي اعتنت بالردّ على ضلالات أحمد القادياني كتابٌ لأحد سادات الشافعية المتأخرين، ومفتيهم المتأخرين، وهو أحد أعلام الحجاز المشهورين، وشيوخ المدينة البارزين.

وكتابه هذا في أصله رد على رسالة بعث بها القادياني إلى أهل مكة يشرح فيها حاله، ويبين فيها حقيقة مذهبه. وقد سئل عنه العلامة أحمد بن إسماعيل البرزنجي (ت ١٣٣٢) وقيل غير ذلك، ورغب إليه الراغبون من أهل مليبار وما حولها في الجواب عن ضلالاته، وكشف شبهاته، ورد أباطيله، وفضح كذبه؛ فأجابهم على عجالة إلى ذلك غير متردد ولا متوان، وكتب هذه الرسالة البديعة، والمكتوب المحرر، والجواب الدقيق.

وجاء مؤلفه هذا في سبعة مطالب وخاتمة: فسّر فيها قوله تعالى: (إذ قال الله يعيسى إني متوفيك)، وقوله تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم)، وبين جواز كون عيسى عُرجَ به إلى السماء حياً بجسده وروحه واستغنائه عن الطعام والشراب، وأورد ما في الباب مما يتعلق بخروج الدجال وصفته وسيرته وفتنته، وما يتعلق بنزول عيسى إلى الأرض وقتله الدجال وسيرته ومدة إقامته ووفاته، وأوضح بطلان الشبه التي تمسك بها القادياني المذكور وتشبث بها في تمويه دعاويه المزخرفة، وذكر بعض شبهاته، وأجاب عنها. ثم ختم رسالته ببيان حكمه وتحقيق حاله. ولما كان هذا الكتاب بهذه المثابة، وفيه من الفوائد واللطائف والتحقيقات ما فيه؛ كان حقيقاً بالإخراج لنصه، وفك قيده من عالم المخطوطات، وقمنا بالدراسة والتحقيق، فيظهر ويرى النور في عالم المطبوعات.

❖ تم دعم هذا البحث من قبل مركز البحوث بكلية التربية - عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود.





## المقدمة:

الحمد لله باعث خير رسله، وأفضل خلقه، بنبوته ختم الله رسالات أنبيائه، وبعثته صارت الساعة قريبة قرب وسطاه من سباحته، فصلّى الله عليه وعلى آله، وسلّم عليه وعليهم تسليماً يبلغ ما بلغت رسالته مبلغ الليل والنهار، ورضي الله عن صحابته الأخيار، ومن تبعهم بالإحسان من الأَطهار.

أما بعد:

فمن معاهد النبوة ومحكمات الرسالة: ختم النبوات نبوة محمد ﷺ، وانتهاء الرسالات برسالته ﷺ، فهو خاتم الأنبياء، وآخر الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠): «ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة»<sup>(١)</sup> اهـ. ويقول الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤): «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من العلماء»<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (١٢١/١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٤٢٨/٦).

ومنها: حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنه، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه، ويقولون: لو تمّ موضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة»<sup>(١)</sup>.

ومن علائم نبوته ودلائل صدق رسالته: إخباره - وأخباره كلها حق وصدق - بخروج كذبة - اختلفت الروايات في تعيين عددهم<sup>(٢)</sup> - يدعون مقام النبوة، ويزعمون أنه يوحى إليهم، ويتسبون للرسول والرسالات زوراً وبهتاناً.

ففي الصحيحين من مسند أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»<sup>(٣)</sup>.

ويؤبّ عليه الإمام البخاري (ت ٢٥٦) في صحيحه: باب علامات النبوة في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - (ت ٨٥٢): «وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة باليمامة والأسود العنسي باليمن ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه وسجاح

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: (٥٨٦/٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) انظر: إرشاد القسطلاني: (٢٠٦/١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام:

(٤) (٢٠٠/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرط الساعة: (٢٢٣٩/٤).

(٤) صحيح البخاري: (٢٠٠/٤).

التميمية في بني تميم... وقُتِلَ الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طلحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، وتُقِلَّ أن سجاح أيضاً تابت، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الإخباريين.

ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة بن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه... ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة. وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً، فإنهم لا يحصون كثرة، غالبهم ينشأ لهم ذلك من جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا، وقد أهلك الله من وقع له ذلك منهم وبقي منهم من يُلجِّقُهُ بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر<sup>(١)</sup> اهـ.

ومن الكذبة: كذابُ أشر، وأفك أثير، ودجالٌ كبير: ميرزا غلام أحمد: فقد بلغت كذباته الآفاق، وعمت فتنه أرجاء الأرض، وتبعه عليها الغوغاء من الناس، فأصبحت له طائفة وأتباع، وعظم أمره، ودهى بلاد الإسلام من داهيته ما دهى، وفشت أباطيله، وراجت شبهاته، وسرت تليساته، وماجت وساوسه كما يموج البحر المتلاطم.

يقول العلامة شرف الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩) - واصفاً لهذه البلية، وشارحاً لهذه الرزية التي رزى بها المسلمون -: «ومن المصائب العظمى والبلايا الكبرى على الإسلام أن رجلاً من الملحدِين الدجَالِين الكذَابِين خرج

(١) فتح الباري: (٦/٦١٧).

من الفنجان من إقليم الهند، وهو مع كونه مدّعياً للإسلام: كذاب الشريعة، وعصى الله ورسوله، وطغى، وآثر الحياة الدنيا، وكان أوّل ما ادّعه أنه مُحدّث وملهم من الله تعالى. ثم كثرت فتنته، وعظمت بليّته، من سنة ست وثلاثمائة وألف إلى السنة الحاضرة، وهي سنة عشرين بعد الألف وثلاثمائة، وألّف الرسائل العديدة، منها توضيح المراد، ومنها إزالة الأوهام، ومنها فتح الإسلام، وغير ذلك من التحريرات في إثبات ما ادّعه من الإلهامات الكاذبة والدعاوى العقلية الواهية، وأقوال أهل الزندقة والإلحاد، وحرّف الكلم والنصوص الظاهرة عن مواضعها، وتفوّه مما تقشعر منه الجلود، وبما لم يجترئ عليه إلا غير أهل الإسلام، أعاذنا الله تعالى والمسلمين من شروره ونفته ونفخه»<sup>(١)</sup> اهـ.

فكان لا بدّ من مواجهته، والرد عليه، وإبطال كيده، وكشف أمره، وتزييف باطله، فقام بذلك علماء الإسلام، ورجال العلم، وسيوف الحق، وأنصار الشرع.

ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بواجبهم، فبيّن ضلالات هذا الرجل، وأبطل مزاعمه، وفنّد أقواله، ورد دعاويه وكشف شبهاته: عالم مدني، وفقه شافعي، وسليل بيت علم وفضل هو: أحمد بن إسماعيل البرزنجي، - من أعلام القرن الثالث عشر-.

فقد ألّف رسالة بديعة محرّرة بيّن فيها ضلال القادياني، وردّ عليه فيها، ووسمها بـ"الآية الكبرى في ضلال مؤلّف حمامة البشرى".

---

(١) عون المعبود مع حاشية ابن القيم: (٣١٢/١١)، وانظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص: ٤١.

إلا أنها بقيت حبيسة لم تر النور، ورهينة في الخزائن لم تظهر؛ فتشوّفت النفس إلى فك قيدها، وإخراجها من أسرها، وحلّ عقدها، فسعت سعياً حثيثاً إلى إبرازها، واستعنت الله على ذلك، وهو وحده المعين، وهو حسبي، لا إله إلا هو، ونعم الوكيل.

### أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتضح أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره من خلال ما يلي:

- ١ - بيان الضلال العظيم الذي كان عليه القادياني، وفضح كذبه، وتعرية حاله.
- ٢ - إيضاح خطر هذه الطائفة التي رزئت بها أمة الإسلام في هذه الأعصار، لاسيما مع كثرة أتباعها، وشيوع أقوالها الإلحادية، وتمدها في عدد من البلدان.
- ٣ - إبراز جهود علماء الإسلام في الرد على هذه الطائفة ولاسيما علماء القرن الثالث عشر، وخاصة علماء القطر الحجازي، وبالتحديد علماء مدينة النبي ﷺ.
- ٤ - حاجة المكتبة الإسلامية إلى إخراج هذا الكتاب محققاً تحقيقاً علمياً بضبط نصه، وتوثيق نقوله؛ وذلك لأهمية موضوعه، وليستفيد منه أهل الإسلام في الرد على شبهات زعيم طائفة القاديانية وأتباعه، وإبطال مذهبهم.

### منهج البحث:

لما كان هذا البحث تحقيقاً ودراسة لرسالة مخطوطة فإن ذلك يقتضي مني

السير على المنهج الآتي:

### أ - تقسيم البحث إلى قسمين:

**قسم أول:** يكون متعلقاً بدراسة المؤلف والمؤلف. فأعرف فيه أولاً بالمؤلف من جهة ما يتعلق بحياته: اسماً وجرراً لنسبه، وذكراً لقبه، ومولده ونشأته، وشيوخه، وتلامذته والآخذين عنه، وتعريفاً بنتاجه وآثاره العلميّة، ووفاته، وأقوال العلماء فيه.

ثم أتبعه بالتعريف بالمؤلف من جهة ما يتعلق باسمه وعنوانه، وثبوت نسبته إلى مصنفه، وبيان سبب تأليفه له، والباعث على كتابته، وعرض مادة الكتاب وفحواه، وذكر موارده فيه، ووصف النسخة.

**وقسم ثان:** في تحقيق النص وضبطه إلى غاية هي: أن يكون الكتاب كما أراد مؤلفه أن يكون عليه.

**ب - اتباع المنهاج الذي ينبغي أن يكون عليه تحقيق النصوص وضبطها؛**

**فكان الآتي:**

- ١ - نسخت المخطوط معتمداً على النسخة التي هي بخط مصنفها وعليها ختمه.
- ٢ - ضبطت نصها على وفق قواعد الإملاء المعروفة وقوانين الكتابة المعلومة.
- ٣ - اتبعت في ضبط الآيات الرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم مع عزوها إلى سورها وذكر أرقامها.
- ٤ - خرّجت الأحاديث والآثار من مظانها، والتزمت إن كان الحديث وارداً في الصحيحين أو أحدهما ألا أجاوزهما، وإن كان خارجاً عنهما أن أقتصر على السنن الأربعة إلا أن يخرّجها المصنف نفسه من كتاب فإني أخرّجه من حيث خرّجه.
- ٥ - وثقت الأقوال والنصوص الواردة في كلام المصنف.
- ٦ - ترجمت للأعلام - غير المشهورين - المذكورين في النص المحقق.

## خطة البحث:

اقتضت خطة البحث اشتماله على مقدمة وقسمين:  
المقدمة: اشتملت على أهميّة البحث وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

### القسم الأول: الدراسة

واشتمل مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسمه، وجرّ نسبه، ولقبه.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلامذته والآخزون عنه.

المطلب الخامس: وظائفه وأعماله.

المطلب السادس: مصنّفاته وتأليفه.

المطلب السابع: وفاته.

المطلب الثامن: ثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وعنوانه.

المطلب الثاني: توثيق نسبه إلى مؤلفه.

المطلب الثالث: سبب تأليفه والباعث عليه.

المطلب الرابع: عرض مادة الكتاب وفحواه.

المطلب الخامس: موارده في الكتاب.

المطلب السادس: وصف النسخة.

## القسم الثاني : النص محققاً

الفهارس : وفيها ثبتُ بالمصادر والمراجع .

وبعدُ : فهذا جهد المقل ، وسعي العاجز ، وسمة بني آدم النقص ، ولا يخرج عن هذا الحكم أحدٌ من الإنس ، وأبى الله الكمال إلا لكتابه ، فإنَّ الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد .  
فمن نظر فوجد عيباً فليسد الخلل ، وليغفر للكاتب الزلل ، فمن الذي ما ساء قط ، ومن له الحسنى فقط . والله أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه ، فإنه خير مسؤول وأكرم مأمول .

\* \* \*



## القسم الأول

### الدراسة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني : التعريف بالمؤلف.

### المبحث الأول

#### التعريف بالمؤلف

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : اسمه ، وجرّ نسبه ، ولقبه.

المطلب الثاني : ولادته ونشأته.

المطلب الثالث : شيوخه.

المطلب الرابع : تلامذته والآخذون عنه.

المطلب الخامس : وظائفه وأعماله.

المطلب السادس : مصنفاته وتأليفه.

المطلب السابع : وفاته.

المطلب الثامن : ثناء العلماء عليه.

## المطلب الأول

اسمه، وجرّ نسبه، ولقبه

هو: أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين<sup>(١)</sup> بن محمد الهادي بن زين بن جعفر بن حسن ابن عبد الكبير<sup>(٢)</sup> البرزنجي<sup>(٣)</sup>، الحسيني نسباً<sup>(٤)</sup>، الشافعي مذهباً، المدني مولداً ووطناً ووفاة.

ولقبه: شهاب الدين<sup>(٥)</sup>.

وكنيته: أبو العباس<sup>(٦)</sup>.

## المطلب الثاني

### ولادته ونشأته

لم يذكر من ترجم له تاريخ مولده، وإن عيّنا موضعه<sup>(٧)</sup>؛ فإنه ولد في المدينة، ونشأ بها حيث كانت تقيم أسرته.

(١) إلى هنا جرّ نسبه في الأعلام: (٩٩/١).

(٢) إلى هنا جرّ نسبه عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين: (١٦٤/١ - ١٦٥).

(٣) نسبة إلى برزنج، وهي قرية بشهرزور من سواد العراق، كما يقول أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤) في أسنى المطالب، ص: ٤٨. وانظر في التعريف بها: معجم البلدان: (٣٨٢/١)، وهي - شهرزور التي برزنج واحدة من قراها - ناحية خرج منها الأجلة والكبراء والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء ما يفوت الحصر عدّه ويعجز عن إحصائه النفس ومدّه.

(٤) فهو من أسرة ترفع نسبها إلى الحسين السبط، كما يقول الزركلي (ت ١٣٩٦) في الأعلام: (٩٩/١). وانظر في الكلام على نسبها: أسنى المطالب، ص: ٤٧.

(٥) انظر: معجم المؤلفين: (١٦٤/١).

(٦) انظر: فهرس الفهارس: (٥١٦/١).

(٧) انظر: الأعلام: (٩٩/١)، معجم المؤلفين: (١٦٤/١ - ١٦٥).

وتعلّم العلم في مدينة رسول الله ﷺ، ودرس على أيدي علمائها، وقرأ على أسيّخها.

فهو من بيت علم، فأبوه وأجداده علماء وفقهاء<sup>(١)</sup>، والمدينة التي وُلِدَ فيها هي الأخرى كانت موئلاً للعلم والعلماء، فحلقات العلم فيها قائمة، ودروس المشايخ فيها عامرة.

ولم ينحصر تعلّمه العلم على مشايخ المدينة، وإنما تعلّم أيضاً بمصر، واستفاد من علماء الجامع الأزهر، فقرأ عليهم<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث

#### شيوخه

أخذ المترجم له عن عدّة من شيوخ زمانه، وعلماء وقته، فقرأ عليهم العلوم، ودرس على أيديهم الفنون، وحصل منهم علماً غزيراً، وإرثاً كبيراً من المعرفة، وخيراً عظيماً، وهم:

١ - والده: السيّد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، فقد كان عالماً فاضلاً، متقلداً لمنصب إفتاء الشافعية بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتحيّة<sup>(٣)</sup>. وله عنه رواية أيضاً<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: أسنى المطالب، ص: ٥١.

(٢) انظر: الأعلام: (١/٩٩). أسنى المطالب، ص: ٥١، أعلام من أرض النبوة، أنس بن يعقوب الكتبي، ص: ٢٤٥.

(٣) انظر: أسنى المطالب، ص: ٥١ - ٥٢.

(٤) انظر: فهرس الفهارس: (١/٩٦).

- ٢ - الشيخ أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، مفتيهم بمكة<sup>(١)</sup>، صاحب التصانيف الشهيرة في السنة والتاريخ والسيرة<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - الشيخ عبد الغني الدهلوي العمري<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي: راوية المغرب، وصاحب رحلة "ماء الموائد" الحافلة بالفوائد: حيث يروي المترجم عنه فهرسة "مسالك الهداية إلى معالم الرواية"<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الرابع

#### تلامذته، والآخرون عنه

- أخذ عن المترجم له جماعة من العلماء الكبار، حيث توافدوا عليه من جميع الأقطار، فكان من جملتهم:
- ١ - الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: الفقيه المحدث المؤرخ، صاحب المؤلفات العديدة والأبحاث والدقائق المفيدة<sup>(٥)</sup>.

(١) حلاه الكتاني (ت ١٣٨٢) بالعلامة المشارك الصالح. انظر: فهرس الفهارس: (١/٣٩٠).

(٢) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: (١/١٨١)، فهرس الفهارس: (١/٣٩٠)، معجم المؤلفين: (١/٢٢٩)، ونفحة الرحمن في مناقب السيد أحمد زيني دحلان، لعثمان شطا الدمياطي.

(٣) فالمترجم له يروي عنه ثبت "حصر الشارد"، والذي تتصل به روايتنا له من جهة الشيخ المسند عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني عن والده عن البرزنجي به. انظر: فهرس الفهارس: (١/٣٦٥، ٢/٧٥٨ - ٧٦١).

(٤) انظر: فهرس الفهارس: (٢/٥٨٦ - ٥٨٨)، الأعلام: (٤/٢٧٣).

(٥) انظر: فهرس الفهارس: (١/٥١٥ - ٥١٧)، الأعلام: (٦/٣٠٠).

٢ - الشيخ محمد بن سالم بن علوي السري باهارون جمل الليل الحسيني الحضرمي: العالم الصالح، ومسند تريم بل اليمن<sup>(١)</sup>.

٣ - الشيخ أحمد بن أبي الخير بن عثمان بن علي جمال العطار المكي الأحمدي الهندي (٢): مسند الشرق، راوية، محدث، رحالة (٣). وله معجم (٤) من أنفس ما ألفه المتأخرون، ترجم فيه لسبعين من مشايخه ممن أجازته إجازة عامة من الحجازيين واليمنيين والهنديين والمصريين والشاميين والمغربيين والبغداديين، فبدأ بحرف الألف، وذكر فيه المترجم له.

٤ - الشيخ عبدالحلي بن عبدالرحمن أبو خضير: فقد أخذ عن المترجم له، التحق بلقفته، ودرس على يديه الفقه الشافعي، ولازمه مدة طويلة حتى نال منه الإجازة (٥).

٥ - الشيخ العلامة الكبير والمحدث الشهير عبد الحلي الكتاني: فقد أخذ عنه، وعدّه في أسماء من روى عنهم في كتابه "فهرس الفهارس"<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: فهرس الفهارس: (٥٧٩/٢ - ٥٨٠).

(٢) انظر: فهرس الفهارس: (٦٩٠/٢ - ٦٩٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) وقف عليه المحدث الشهير الكتاني، ولشدة إعجابه به اختصره. انظر: فهرس الفهارس: (٦٩٢/٢).

(٥) انظر: من أعلام المدينة المنورة، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة سنة ١٣٨٠، أعلام من أرض النبوة، ص: ٣٢١.

(٦) (٥٨/١).

## المطلب الخامس

### وظائفه وأعماله

تولّى المترجم له وظائف وأعمالاً، وتقلّد مناصب، من أهمها<sup>(١)</sup>:

- ١ - إمامة وخطابة المسجد النبوي الشريف.
- ٢ - إفتاء الشافعية بالمدينة: فقد أفتى فيها على عادة ذوي العلم والفضل والصلاح من أسرته التي تداولت هذه المهمة سنين طويلة.
- ٣ - التدريس والإفادة بالحرم: فقد اشتغل به، وعقد لأجل ذلك حلقات بالمسجد النبوي اجتمع عليه فيه الطلاب، وتوافدوا من كل قطر وبلد.
- ٤ - العضوية في مجلس النواب العثماني باسطنبول: حيث انتخب نائباً عن أهل المدينة فيه؛ لما كان يتمتع به من لباقة في الحديث وأخلاق عالية.

## المطلب السادس

### مصنفاته وتأليفه

للمترجم له تصانيف كثيرة، وتأليف عدّة، ورسائل لطيفة<sup>(٢)</sup>، منها:

- ١ - المناقب الصديقية<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - مقاصد الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.

---

(١) انظر: أسنى المطالب، ص: ٤٨، الأعلام: (٩٩/١)، معجم المؤلفين:

(١٦٤/١)، أعلام من أرض النبوة، ص: ٢٤٦.

(٢) انظر: الأعلام: (٩٩/١)، معجم المؤلفين: (١٦٥/١)، أعلام من أرض النبوة،

ص: ٢٤٦- ٢٤٧.

(٣) طبع بتونس سنة ١٣٠٦. انظر: معجم المطبوعات، سركيس: (٥٤٨/١).

(٤) طبع بمطبعة النيل سنة ١٣٢١هـ. انظر: معجم المطبوعات، سركيس: (٥٤٨/١).

- ٤ - النظم البديع في مناقب أهل البقيع<sup>(١)</sup>.
- ٥ - النصيحة العامة للملوك الإسلام والعامة<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - فتكة البراض، بالتركزي المعترض على القاضي عياض<sup>(٣)</sup>.
- ٧ - إصابة الداھي شاکلة إعراب إن لم يجد إلهي<sup>(٤)</sup>.
- ٨ - جواهر الإكليل في مفاخر دولة الخديوي إسماعيل<sup>(٥)</sup>.
- ٩ - التحقيقات الأحمدية في حماية الحقيقة المحمدية<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) رمز له الزركلي (ت ١٣٩٦) في أعلامه: (١/١٩٩) ب "خ" إشارة إلى أنه محفوظ، وعين مكانها بأنها في الرباط، ورقمها (٩٤٥ك).
  - (٢) طبع بمصر، ويقع في اثنين وأربعين صفحة، وهو في مكتبة جامعة القاهرة برقم (١٨٨١٨). انظر في التعريف به: في مصادر التراث السياسي الإسلامي، نصر محمد عارف، ص: ٢٢٦، الحياة العلمية في المدينة المنورة، تهاني الحربي: (٢/٧١٩).
  - (٣) وهو رد على محمد ابن التلاميذ الشنقيطي (ت ١٣٢٢) في أربع وأربعين صفحة، وقد وقفت على طبعته الأولى التي طبعت في حياة المؤلف سنة ١٣١٠ في مطبعة العصر التاسع عشر بمصر. انظر: معجم المطبوعات، سركيس: (١/٥٤٨).
  - (٤) وهي عبارة وقعت في موطأ إمام دار الهجرة -رضي الله عنه-، وقد طبعت بالمطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣١٦، وتقع في واحد وعشرين صفحة، ويلها أجوبة على هذه الجملة لحضرة الأستاذ الفاضل الشيخ سالم أبو حاجب التونسي، وقد وقفت على مصورتها.
  - (٥) طبع بمطبعة الكوكب الشرقي بالإسكندرية سنة ١٢٩١ في اثنين وعشرين صفحة. انظر: معجم المطبوعات، سركيس: (١/٥٤٨).
  - (٦) طبعت بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٦، وتقع في ثمان وثمانين صفحة. انظر: الحياة العلمية في المدينة المنورة: (٢/٧٠٣ - ٧٠٤).

١٠ - إرشاد المجاهد.

وهي كما يلاحظ في علوم متعددة، وفنون مختلفة، فمنها ما هو في التاريخ والسير، ومنها ما هو في العربية، ومنها ما هو في الفضائل والمناقب، ومنها ما هو في النصائح، ومنها ما هو في الردود، ومنها ما هو في أصول الدين.

### المطلب السابع

#### وفاته

اختلف المترجمون له في تعيين موضع وفاته والسنة التي توفي فيها: فمنهم من قال: إنه توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وثلاثمئة وألف<sup>(١)</sup>. ومنهم من قال: إنه توفي بدمشق، حيث استقر فيها أيام الحرب العالمية الأولى، وذلك سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة وألف<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من قال: سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة وألف<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثامن

#### ثناء العلماء عليه

أثنى جماعة من أهل العلم على المترجم له، ومنهم:

١ - جمال الدين القاسمي الدمشقي (ت ١٣٣٢): قال عنه: "فالرجل من أجل علماء المدينة، وأديبها الوحيد"<sup>(٤)</sup>. ا.هـ.

(١) انظر: معجم المؤلفين: (١/١٦٤ - ١٦٥).

(٢) انظر: أعلام من أرض النبوة، ص: ٢٤٧، حيث صحح الكتبي هذا التاريخ وأثبتته في أعلامه على ما أثبتته مؤرخو الشام في أحداث ذلك العام.

(٣) انظر: الأعلام: (١/٩٩).

(٤) رحلتي إلى المدينة المنورة، ص: ٤٠.



- ٢ - عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي (ت ١٣٥٥): قال عنه -أيضاً-:  
 "أحد النبهاء العظام، والرؤساء الذين وصلوا المجد بالاحتشام، فخر الزمان،  
 وجيه الطلعة، كثير الإحسان"<sup>(١)</sup>.أ.هـ.
- ٣ - الكتاني (ت ١٣٨٢): فقد حلاه في غير ما موضع من فهرسته بمفتي  
 الشافعية، وعالم المدينة وفقهها<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٣٨٥): قال: "وكان من أعلام  
 المحدثين، ومن بقاياهم الصالحة"<sup>(٣)</sup>، "وأخذت الجرح والتعديل وأسماء  
 الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجي الشهرودي في داره أيام انقطاعه عن  
 التدريس في الحرم النبوي، وأشهد أنني كنت أسمع منه علماً وتحقيقاً"<sup>(٤)</sup>.
- ٥ - خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦): حيث قال عنه: «أديب، من أعيان  
 المدينة المنورة»<sup>(٥)</sup>.أ.هـ.
- ٦ - عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨): قال عنه -أيضاً- : «عالم مشارك  
 في علوم مختلفة»<sup>(٦)</sup>.أ.هـ.  
 وبالجمله فالرجل شأنه شأن السادة البرزنجيين، وحاله كحالهم علماً وفضلاً  
 وفقهاً.

(١) فيض الملك المتعالي: (٢٠١/١).

(٢) انظر: فهرس الفهارس: (٥٨/١، ٩٦).

(٣) آثار البشير الإبراهيمي: (٢٧٦/٥).

(٤) آثار البشير الإبراهيمي: (٥٤٦/٣).

(٥) الأعلام: (٩٩/١).

(٦) معجم المؤلفين: (١٦٥/١).

يقول أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤): «وبالجمله فأهل هذا البيت كلهم أهل علم وفضل وصلاح نفعنا الله بهم، ووفقهم لكل خير وفلاح»<sup>(١)</sup> ا.هـ.

### المبحث الثاني التعريف بالمؤلف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وعنوانه.

المطلب الثاني: توثيق نسبه إلى مؤلفه.

المطلب الثالث: سبب تأليفه والباعث عليه.

المطلب الرابع: عرض مادة الكتاب وفحواه.

المطلب الخامس: موارده في الكتاب.

المطلب السادس: وصف النسخة.

### المطلب الأول

اسم الكتاب وعنوانه

لم أفق على تسمية للكتاب إلا هذه التسمية، وهي: «الآية الكبرى على ضلال مؤلف حمامة البشرى»؛ حيث إنها جاءت على طرّة المخطوطة، ولم يذكر في صفحة عنوانها غيرها، وهي التي سمّي بها المؤلف كتابه هذا، فقال في مقدمته: «وسميتها الآية الكبرى على ضلال مؤلف حمامة البشرى». وعليه فهو الاسم الذي يجب اعتماده اسماً لهذه الرسالة، وعنواناً لهذه الورقات.

(١) أسنى المطالب، ص: ٥٣.

## المطلب الثاني

### توثيق نسبته إلى مؤلفه

كما تثبت به نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه أحمد بن إسماعيل البرزنجي أمور، منها:

١ - أنه جاء منسوباً إلى المؤلف في مقدمة الرسالة، حيث قال في أولها بعد البسملة: «يقول الفقير إلى عفو ربه المنجي السيد أحمد بن السيد إسماعيل البرزنجي خادم العلم بالحرم النبوي الشريف».

٢ - أنه عند سرده لما ورد من أحاديث في ثبوت خروج الدجال وإثبات نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض وقتله الدجال وصفته وسيرته وفتنته ذكر أنه لخصها من كتاب "الإشاعة في أشرار الساعة"، فقال: «وهذان المطلبان أعني الرابع والخامس قد لخصناها من كتاب الإشاعة في أشرار الساعة تأليف جدنا العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي المدني مجدد القرن الحادي عشر» اهـ. فقله (جدنا) مشعراً بانتساب مؤلف الكتاب إلى السادة البرزنجيين، وأنه متأخر زماناً عن صاحب كتاب الإشاعة، ومتصل به نسباً، وهذا متحقق في المؤلف ومنطبق عليه.

٣ - نسبته إليه في آخر الرسالة، حيث جاء في ختامها نسبتها إليه، فقال: «قال مؤلفه السيد أحمد ابن المرحوم السيد إسماعيل البرزنجي - عفا الله عنه - وقع الفراغ من جمعه لسبع مضين من ذي القعدة الحرام عام ثمانية وعشرين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له كمال العز والشرف ببلدته طيبة الطيبة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين» اهـ.

## المطلب الثالث

### سبب تأليفها والباعث عليه

لا يخفى أن التأليف منها ما يكون تأليفه ابتدائياً من مؤلفه، ومنها ما يكون بعث على تأليفه باعث أنشأ من أجله المؤلف كتابه كسؤال سائل أو غيره من البواعث.

وهذا الكتاب أبان مؤلفه عن سبب تأليفه في أوله، فقال: «فقد رُفِعَ إليّ سؤال من بعض علماء مليبار - أنقذهم الله من شر الأشرار - يشتمل على طلب الكشف عن حال رجل يقال له "غلام أحمد القادياني"<sup>(١)</sup>، وألحوا عليّ

(١) هو: أحد عملاء الاستعمار، وأدعياء النبوة الكبار، ولد في قرية من قرى البنجاب، هي: قاديان، وذلك سنة ١٨٣٩م، ولما بلغ سن التعلم والدراسة قرأ بعضاً من الكتب الأردية والعربية، وشيئاً من القانون - فيما ذكر -، وتوظف في سيالكوت، وكان موصوفاً بالبلاهة التي لا تنتهي لها، والبلاهة التي لا حدَّ لها، مع الجبن الهالع الذي تعجب منه إذا حكى لك بعض أخباره بخلاف عادة أبناء شرفاء زمانه، وأصيب بأمراض مختلفة، وأدواء كثيرة، من أعظمها مرضٌ يشبه الجنون يقال له: "المراق"؛ فوجد المستدمر فيه ضالته - وهو ابن أسرة موالية للاستعمار ومدافعة عنه -، فألبسوه تاج النبوة - كما قيل -، فكان المتنبى هذا نبياً لهم، وهم آلهته، فتحقق لهم مطلوبهم منه، ورجاءهم فيه، ولم يقتصر هذا الأفاك المبين على دعواه الكاذبة للنبوة، وزعمه بكونه مجدداً فحسب، فقد زاد إلى رجسه هذا رجساً بأن أعان المستدمرين على المسلمين ووالاهم، ووقف معهم ضد أبناء الإسلام إذا تظاهروا وخرجوا ضد أولياء نعمته، وبث دعواه الأثمة هذه، ونشر مقالاته الباطلة، وروج لباطله روجاناً عظيماً، وزخرفه بزخرف من القول غروراً حتى تبعه عليه الغوغاء، وفتن به الجماعات، فكوّن فرقة لا زالت قائمة إلى يوم الناس هذا.

أن أجيبهم عن ذلك بالبيان الشافي، والإيضاح الكافي؛ ل يتميز لهم الخطأ عن الصواب، ويرتفع عن وجه الحق الحجاب، فلم أرُ بدءاً من إجابة دعوتهم، وإنجاز طلبتهم؛ لأن من كتم العلم الذي أوتيته استحق الوعيد الشديد الوارد في السنة والكتاب المجيد، فجمعت في هذه الورقات ما يكفي إن شاء الله تعالى - لذلك من النصوص المهمات» اهـ.

فكان الباعث على تأليفه جواباً لسؤال سائلين له عن حال القادياني الذي عظمت فتنته على أهل مليبار وغيرهم مما دعا المؤلف إلى تحقيق مطلوبهم.

وأحسن من يترجم عن حاله، ويحكي قصته، ويبيّن مذهبه: كتبه ورسائله التي ألفها وكتبها؛ فهي خيرٌ من يتحدث عنه، فمن قرأها لا يحتاج إلى مُعرّف يعرفه عن القادياني، ولا حالكٌ يحكي لك قوله ولا من هو؛ فهي الناطقة عنه بلسانه، ومن فمه تدينه، ومن أهمها كتاب "أنجم آثم"، و"إزالة الأوهام"، و"در ثمين"، و"حقيقة الوحي"، و"سفينة نوح"، و"إعجاز أحمدى"، وكذا السيرة التي كتبها عنه ابنه بشير أحمد.

ولهذا أصاب الشيخ إحسان إلهي ظهير (ت ١٤٠٧) حينما درس المذهب القادياني، وكتب عنه فترجم لزعيمه أن اعتمد على كتب رأسهم وقرأها؛ فشرح حاله ونقل مقالاته منها لا من سواها؛ إذ هو مقتضى العدل والإنصاف، فحكى عن الرجل أقواله ومذهبه مما قاله هو لا مما قاله عنه الناس؛ فكان صنيعه هذا محلاً للثقة، وصار كتابه: "القاديانية: دراسات وتحليل" معتمداً عند الباحثين، ومرجعاً محتفى به.

وأصله مقالات نشرها، ثم لما وفد إلى مدينة النبي ﷺ أشار عليه الشيخ عطية محمد سالم (ت ١٤٢٠) جمعها في كتاب، فأجاب إلى ذلك، وطبعه له ونشره الشيخ الكتبي محمد نمكاني (ت ١٣٩٧) في المكتبة العلمية.

وهذا الباعث نفسه هو أيضاً الباعث الذي حَمَلَ عدداً من أهل العلم على تأليف رسائل في الردّ على هذا الأفاك الأثيم، وتسطير كُتُبٍ في فضح حاله وكشف عواره، وبيان فساد دعاويه وبطلان مذهبه وأقواله.

ومن هؤلاء الذين تصدّوا له - وهم كثير - : الإمام المُحدّث محمد أنور شاه الكشميري الهندي (ت ١٣٥٢).

حيث أُلّف رسالة في الرد عليه، وجمع جزء وجيزاً في إبطال أقواله، فيقول تلميذه الشيخ محمد شفيح في بيان الباعث على تأليفها: «وكان الباعث على جمعه وترتيبه: فتنة عمياء، وداهيةً دهياء ظهرت في بلادنا الهنديّة على شكل الفرقة الميرزائية التي ادّعى رئيسها الأوّل (ميرز أغلام أحمد): النبوة بل الأفضليّة على أكثر الأنبياء عليهم السلام!

وتفوّه أنه هو المسيح الذي أخبر رسول الله ﷺ بنزوله في آخر الزمان. ثم دعاه هذا الهوسُ إلى دعاوى باطلة، وأمان عاطلة حتى ساقته هذه الدعاوي إلى إنكار شَطْرٍ من الدين، وردّ كثير من نصوص الإمام المبين، وتكذيب أحاديث النبي الأمين. وذلك لأن النصوص الفرقانية، والأخبار المتواترة الواردة في حياة عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان كانت ردحاً بينه وبين مقاصده الياجوجيّة، فأتى على جُلّها بالإنكار والتحريف، ولم يبال الشقي أن إنكارها وتحريفها: عينُ إنكار رسالة محمد ﷺ، وخروجٌ من الإسلام، ومروقٌ من الدين! نعوذ بالله منه...

وبالجملّة: فمستّ الحاجة إلى تبيين حَيْدِهِ، وكشف كيده، ورفع الستر عن وساوسه التي ألقاها في قلوب المسلمين، وإزاحة الأوهام والشبهات التي اخترعها في الإمام المبين (أي: القرآن الكريم)، فقام لهذا رجالٌ من حزب

الله، فصنفوا فيه رسائل بين وجيز وطويل، ودقيق وجليل، وجاءوا بما فيه كفاية لمن له دراية، وأوتي من الله هداية»<sup>(١)</sup> اهـ.

## المطلب الرابع

### عرض مادة الكتاب وفحواه

بيّنت في المطلب السابق موجب تأليف هذا الكتاب<sup>(٢)</sup>، وهو: ورود سؤال من بعض علماء مليبار على هذا العَلم المدني، والمفتي الشافعي سائلين منه عن حال القادياني، وطالبن الكشف عنه، وملحين عليه بأن يجيبهم جواباً يبيّن شافياً، ويوضح لهم أمره توضيحاً كافياً، وغايتهم من ذلك التمييز بين الخطأ والصواب.

فلم يكن أمام المؤلف بُدٌّ من إجابتهم، ولم يتأخر عن تحقيق رغبتهم؛ خشية الوقوع في إثم كتمان العلم؛ حيث جاء فيه الوعيد الشديد في النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فجمع أوراقاً نقل في أولها صورة السؤال<sup>(٣)</sup>، ثم أجاب عنه جواباً بين الإطناب الممل والإيجاز المخل؛ فتبرأ فيه من هذين العيين، وسلم فيه من هذين الخللين، فلم يكن جوابه جواباً طويلاً مملاً، ولا هو اختصره اختصاراً محلاً، بل كان بين ذلك، معلناً فيه اعتماده على الله، ولزومه الحق والطريق المثلى.

---

(١) مقدمة محمد شفيع - مفتي باكستان - لترتيب وتهذيب التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام الكشميري، ص: ٣٧ - ٤٩.

(٢) انظر: ص ٢٤ - ٢٦.

(٣) انظر: ص ٣٨ - ٣٩.

فقرر في أوله أن رفع عيسى -عليه السلام- بجسده وروحه إلى السماء، ونزوله فيها قرب القيامة حق، وأن الإيمان به واجب<sup>(١)</sup>.  
ثم حرّر سبعة مطالب وخاتمة لإتمام الكلام في ذلك<sup>(٢)</sup>.  
أولها: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾..  
الآية [آل عمران: ٥٥].

حيث نقل فيه أقوال أئمة التفسير في معنى قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾  
وتأويلاتهم في ذلك<sup>(٣)</sup>.  
وثانيها: فسّر فيه قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ...  
الآية [النساء: ١٥٧].

ونقل فيه الأقوال معتمداً فيه على تفسيرين، أولهما: تفسير ابن أبي  
السعود (ت ٩٨٢)، وتفسير نظام الدين النيسابوري (ت بعد ٨٥٠)، ولم  
يكتف المؤلف فيه بالنقل عنهما والاختصار فحسب، بل رجّح وتعقب<sup>(٤)</sup>.  
وثالثها: لبيان جواز كونه عُرج به إلى السماء بروحه وجسده واستغناؤه  
عن الطعام والشراب، فنقل فيه كلام أبي طاهر القزويني في الباب الثامن  
والعشرين من كتابه "سراج العقول"<sup>(٥)</sup>، وعلّق على بعض ما فيه وتعقبه<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ص ٤٠.

(٢) انظر: ص ٤٠.

(٣) انظر: ص ٤٢.

(٤) انظر: ص ٤٧.

(٥) انظر: ص ٥٣.

(٦) انظر: ص ٥٣-٥٨.



ورابع هذه المطالب: عقده المؤلف لما ورد في خروج الدجال وصفته وسيرته وفتنته، فذكر فيه مقداراً كافياً، وإلا أخبار الدجال - كما ذكر - تحتل مجلداً<sup>(١)</sup>.

وغرضه من إيراده وذكره إبطال ما زعمه القادياني من أن الدجال عبارة عن الكفرة الذين استولوا على بلاد الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ثم عقبه مطلباً خامساً في نزول عيسى إلى الأرض وقتله الدجال، وفي سيرته ومدة إقامته ووفاته، فأورد الآيات في هذا الباب، وذكر الأحاديث الشاهدة على ذلك<sup>(٣)</sup>.

فأبطل زعم القادياني أن عيسى - عليه السلام - مات، وأن المراد من عيسى في الأحاديث الواردة في نزوله رجلاً مثيل عيسى، وأنه هو ذلك الرجل. وقد لخص هذا المطلب والمطلب الذي قبله من كتاب جدّه العلامة السيّد محمد رسول البرزنجي المدني (١١٠٣)، الموسوم بـ"الإشاعة في أشراف الساعة"<sup>(٤)</sup>.

ثم أوضح في المطلب السادس بطلان الشبه التي تمسّك بها أحمد القادياني المذكور، وتشبث بها في تمويه دعاويه المزخرفة المذكورة في السؤال<sup>(٥)</sup>، وهي:  
- زعمه أن عيسى قد مات ودفن في الأرض، ولم يرفع بجسده إلى

(١) انظر: ص ٥٩.

(٢) انظر: ص ٦٣.

(٣) انظر: ص ٦٤ - ٧١.

(٤) انظر: ص ٢٣٦ - ٢٤٥، ص ٢٦٩ - ٢٧١ من الكتاب المذكور.

(٥) انظر: ص ٧٣.

السماء ، فلا ينزل قرب الساعة إلى الأرض ، واستدلّ على ذلك بآيتين ، هما قوله تعالى : ﴿لِعِيسَىٰ إِنِّي مُؤَفِّيكُ﴾ ، وقول حكاية عنه : ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتِي﴾ ، وأجاب عنهما .

ومن شبهه التي أجاب عنها أيضاً :

-استدلّاه بقوله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران : ١٤٤

والذي فيه الإخبار عن موت جميع الرسل .

-واستدلّاه بحديث : «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا

اتباعي» .

-واستدلّاه بحديثين عن عائشة -رضي الله عنها- أن عيسى عاش مئة

وعشرين سنة .

-واستدلّاه بحديث فاطمة -رضي الله عنها- مرفوعاً أن عيسى مكث في

بني إسرائيل أربعين سنة .

-ونقله عن مالك أن عيسى -عليه السلام- مات ، وقوله : إن الأئمة

الثلاثة لم يثبت عنهم مخالفته .

-وتأويله قوله تعالى : ﴿وَرَأَيْكَ إِلَى﴾ برفعة عمله .

-وتأويله نزول عيسى بأن المراد به مجددٌ مثيله .

-وزعمه أنه مجددٌ مثيله .

وغيرها من الإشكالات التي أوضحها ، والمزاعم التي أبطلها ،

والتمويهات التي كشف زيغها .

وقال بعد إيرادها : "وإذا تدبرت أيها اللبيب البصير تحقق لديك بلا ريب

أن ما ذكرناه من الأحاديث النبوية الواردة في نزول عيسى -عليه السلام-

ووفاته بعد نزوله، دالٌ دلالة قطعية على أن عيسى قد رُفِعَ إلى السماء حياً بجسده وروحه، وأنه باق على حياته إلى أن ينزل عند قرب يوم القيامة إلى الأرض، ويقتل الدجال، ويمكث في الأرض خمساً وأربعين سنة إماماً وحكماً عادلاً، ثم يتوفاه الله، ويدفن عند نبينا عليهما الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>. أ.هـ.

ثم ذكر في المطلب السابع أمهات إشكالات القادياني ومقالاته التي أوردها في رسالته: "حمامة البشرية"<sup>(٢)</sup>، ولم تذكر في السؤال<sup>(٣)</sup>، وأوردها بعض تلامذته<sup>(١)</sup> في رسالته: "إيقاظ الناس"<sup>(٢)</sup>، وأقرها القادياني، والجواب عنها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: ص ٧٢.

(٢) وهي الرسالة اللطيفة المشتملة على معارف القرآن ودقائقه، والمسماة بحمامة البشرية إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى، وقد طبعت في مطابع غلام القادر السالكوتي في شهر رجب سنة ١٣٣٠.

فالكتاب في أصله مكتوب لأهل مكة يعرفهم فيه القادياني بحاله بعد أن وصله من مكة من بعض أحبائه من يريد منه ذلك؛ فرتبه على هيئة رسالة، وأشاعه بعد أن طبعه، فقال في الجواب: واني أرى أن أذكر لهذا الفتى النجيب قليلاً من حالتي، ومما أنا عليه من هداية ربي، وأكشف له عما منّ الله به عليّ، وأعرّفه من بعض سوانحي؛ لعله يزيد معرفة في أمري، ولعله يتفكر ويعلم ما أراد الله رب العالمين... إلخ: ص ٢-٣.

(٣) هذا من تمام نصحه، وحسن تعليمه حيث أجاب السائلين زيادة على سؤالهم، وأكثر مما طلبوا مما يتطلبه المقام، ويكون مظنة لحاجتهم، ومحلاً للسؤال لو ابتغوا الزيادة؛ ولهذا أصلٌ في السنة، فقد زاد ﷺ عن القدر الذي سئل عنه، كما في الحديث المشهور: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». أخرجه أحمد في مسنده: (١٧١/١٢ - ١٧٢)، وأبو داود في سننه (٨٣)، والترمذي في جامعه (٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح،

ومنها: استشكال ما وقع في مسلم في قصة تميم الداري من أن هذا إخبار بالغيب، وما يقتضيه هذا الحديث من وجود الدجال في عصر النبي ﷺ مع بقاءه إلى أن يخرج في آخر الزمان، وقد ورد أن النبي ﷺ قال: «لا يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

ومنها: استشكال حديث رؤيا النبي ﷺ للدجال واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت بأن ذلك يقتضي أن يكون الدجال مسلماً مؤمناً.

---

والنسائي في سننه (٥٩)، وابن ماجه في سننه (٣٨٦)، وصححه ابن خزيمة (١١١)، وابن حبان (١٢٤٣)، والحاكم (١٤٠/١ - ١٤١).

فإنهم سألوه عن حكم الوضوء بماء البحر وطهارته، فزادهم النبي ﷺ في الجواب حكم ميته، ومثله لما رفعت له المرأة صبياً فسألته عن صحة حجه، فأجابها عن ذلك، وزادها بثبوت الأجر لها في ذلك. والحديث في مسلم (١٣٣٦). انظر: شرح الإمام بأحاديث الأحكام: (١٣٩/١)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: (٣٥٤/٢٣).

(١) وهو: محمد السعيد الطرابلسي الشافعي، من أتباع القادياني، والمؤيد له، قال عنه رشيد رضا (ت ١٣٥٤) في مجلة المنار: (٦٦٠/٣): (وإننا نعرف هذا الشاب، ونعرف أنه كان ذهب هائماً إلى الهند قبل الدخول في سنة العسكرية ثم شاع عنه في طرابلس أنه تشيع أو دخل في مذهب جديد) هـ.

(٢) طبعت في مطبعة رياض الهند في شهر رجب سنة ١٣١١، وقد وقفت عليها منسوبة إليه، وحلّي مؤلفها بعمدة الزاهدين وخلاصة الفقهاء والمحدثين العالم الفاضل السيد الكامل، وأثبت على غلافها أبيات من مقول المؤلف، يقول في مطلعها:

أيها الناظر في هذه الرسالة \* \* \* دع التعصب والتعدي والجدالة

وأمعن بها بعين فكر \* \* \* ترى فيها الصحيح والإصابة!!!

(٣) انظر: ص ٨٨ - ٩٤.

ومنها: استشكال صحة نزول عيسى بأنه من الأمور العظيمة، ولو كان حقاً لذكره الله في القرآن وفصله، كما قصَّ على نبيه قصص يوسف وأهل الكهف.

ومنها: استشكال نزول عيسى في آخر الزمان بأنه يترتب عليه أن يكون بعد نبينا ﷺ نبيٌ يوحى إليه؛ فلا يكون خاتم النبيين؛ بل يلزم على ذلك أن يكون عيسى هو خاتم النبيين، وبأن عيسى إذا نزل ووضع الجزية كان ذلك ناسخاً لبعض الشريعة المحمّديّة؛ لأنها أمره بأخذ الجزية.

ومنها: قوله: "فكان الواجب أن ينزل في هذا الوقت، فإن الأمم قد هلكت بمكائد النصرارى، والقيود على السماوات مع ضلالة أهل الأرض وفساد أمته شيءٌ عجيب... إلخ.

فأجاب عنها المؤلف -رحمه الله- وأوضح الأمر، وكشف اللبس، وأبطل المزاعم<sup>(١)</sup>.

ثم ختم رسالته التي حقق فيها أحوال القادياني مبيناً حكمه<sup>(٢)</sup>، وحاصله -بعد أن نقل عبارات له وأقوال في رسالته المذكورة من مواضع متعددة-<sup>(٣)</sup>: أنه إن تحققت فيه هذه الأمور المكفرة كان كافراً، وإلا فهو مبتدع ضال<sup>(٤)</sup>.

وقال -رحمه الله- عنه: فما مثله فيما ادّعاه في رسالته "الحمامة" إلا مثل مسيلمة الكذاب باليمامة، وأمره بين البدعة والكفر يصبح ويمسي، واستحكم

(١) انظر: ص ٩٤.

(٢) انظر: ص ٩٥.

(٣) انظر: ص ٩٦.

(٤) انظر: ص ١٠٢.

فيه الضلال كما استحکم في الأسود العنسي، أولى له فأولى...<sup>(١)</sup> أ.هـ.

## المطلب الخامس

### موارده في الكتاب

استقى المؤلف كتابه هذا من عدد من الكتب<sup>(٢)</sup>، ومنها:

- ١ - جامع البيان، لابن جرير الطبري.
- ٢ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.
- ٣ - تفسير نظام الدين النيسابوري.
- ٤ - تفسير الإمام القشيري.
- ٥ - تفسير الإمام ابن كثير.
- ٦ - تفسير الإمام البيضاوي.
- ٧ - تفسير الجلالين.
- ٨ - تفسير أبي السعود.
- ٩ - تفسير الإمام البغوي.
- ١٠ - صحيح الإمام البخاري.
- ١١ - صحيح الإمام مسلم.
- ١٢ - سنن الإمام أبي داود.
- ١٣ - سنن الإمام الترمذي.
- ١٤ - مسند الإمام أحمد.
- ١٥ - صحيح ابن حبان.

---

(١) انظر: ص ٩٥.

(٢) رتبها بحسب ورودها في الكتاب نفسه.

- ١٦ - مستدرك الحاكم.
- ١٧ - معجم الطبراني الكبير.
- ١٨ - معجم الطبراني الأوسط.
- ١٩ - مسند أبي يعلى.
- ٢٠ - مصنف ابن أبي شيبة.
- ٢١ - تاريخ دمشق، لابن عساكر.
- ٢٢ - الزهد للإمام أحمد.
- ٢٣ - التاريخ للإمام البخاري.
- ٢٤ - تذكرة الإمام القرطبي.
- ٢٥ - الإشاعة في أشراف الساعة، تأليف العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي المدني.

- ٢٦ - سر الروح، للبقاعي.
- ٢٧ - تلخيص المستدرك، للذهبي.
- ٢٨ - تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ السيوطي.
- ٢٩ - شرح صحيح البخاري للقسطلاني.
- ٣٠ - السيرة الحلبية.
- ٣١ - مجمع البحار.
- ٣٢ - سراج العقول، لأبي طاهر القزويني.
- ٣٣ - فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.
- ٣٤ - الأعلام، لابن حجر الهيتمي.
- ٣٥ - فتاوى ابن حجر الهيتمي الحديثية.

## المطلب السادس

### وصف المخطوطة

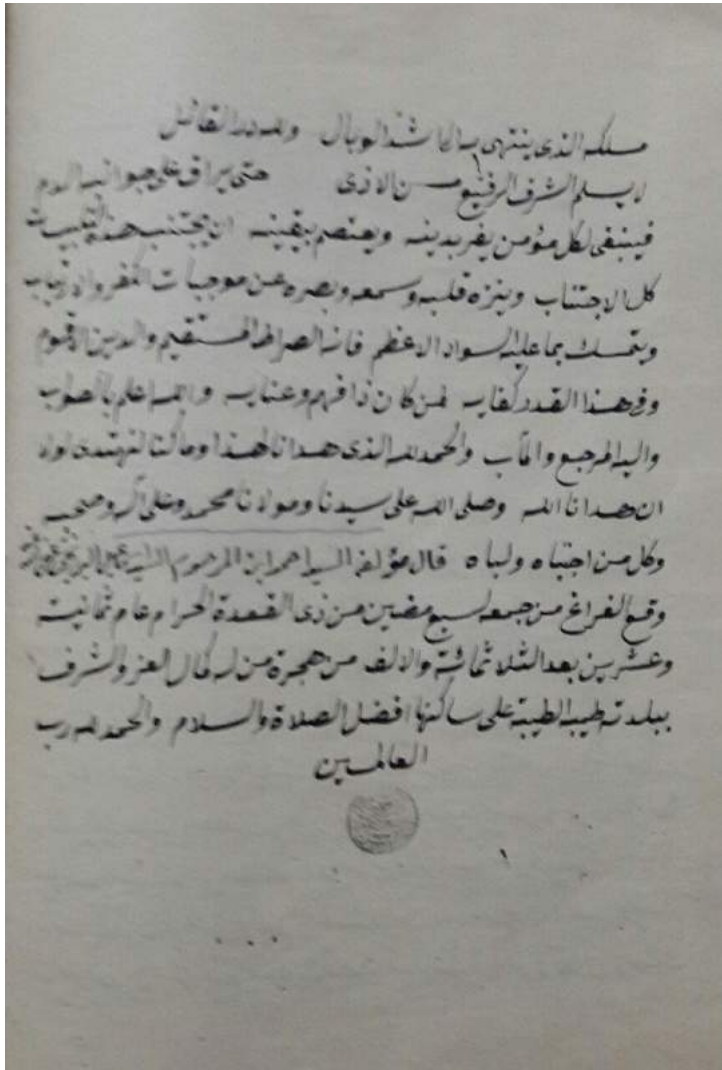
ليس للكتاب - بعد البحث والتقصي - سوى نسخة يتيمة كتبت في حياة مصنفها، وفي آخرها خطه، وعليها ختمه؛ فهي نسخة فريدة لا ثاني لها في علمي القاصر؛ حيث وُجِدَت محفوظةً في مكتبة خاصة من مكاتب الرياض العامرة، وهي مكتبة الأخ الفضال، والأستاذ الكريم: محمد بن عبدالله العلياني جزاه الله خيراً وبارك فيه؛ حيث وصلني به أخي الأديب الأريب - خبير المخطوطات والعارف بها - : الشيخ عبدالصمد بن عبدالقدوس نذير؛ فجاد متكرماً بها، وسمحت نفسه ببذلها، وسحت يده بالإعطاء دون مقابل إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، والرغبة في نشر العلم، والطمع في بثه، والحرص على تعميم النفع بها، فاللسان خطأً ونطقاً لهما ذاكران وشاكران، وعليهما مثنيان، واليدان مرفوعة لهما تدعوان بأن يثيبهما الله أحسن الثواب وأجزاه. والمخطوطة المذكورة تقع في ثلاثين ورقة من القطع الصغير، وفي كل ورقة من أوراقها سبعة عشر سطرًا.

والخط الذي كتبت به هو خط الرقعة المعروف، وتاريخ كتابتها في القرن الرابع عشر الهجري من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام. وفي آخرها خط المصنف وختمه كما سبق.



١  
الآية الكبرى على ضلال مؤلف  
حمامة البشرية  
تأليف  
علامة الزمان وقيامته الاوان  
مولانا الهمام السيد احمد فهد  
البرزنجي مفتي السادة  
الشافعية سابقا في  
بلد خير الانام

صورة صفحة العنوان من الأصل المخطوط



صورة الصفحة الأخيرة من الأصل المخطوط

## القسم الثاني النص المحقق

[٢/أ] بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفقير إلى عفوريه المنجي السيد أحمد بن السيد إسماعيل البرزنجي  
خادم العلم بالحرم الشريف النبوي:

الحمد لله الذي أعلى دين الإسلام على سائر الأديان، وحفظه من التبديل  
والتغيير على ممر الأزمان، حتى أشرقت الآفاق بأنواره إشراق شمس  
الظهير، وتبين الحق من الباطل والرشد من الغي لكل ذي بصيرة، وفاز من  
اعتصم بحبل الله المتين، وخسر من اتبع هواه ووساوس الشياطين.  
ونحمده سبحانه وتعالى أن قيض في كل عصرٍ وزمان من ينصر الحق،  
ويذبُّ عنه باللسان والسنان؛ فكلما ظهر شيطانٌ للجماعة مفارقٌ، قذفوه  
بشهاب الحق فإذا هوزاهقٌ.

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وهادياً للمتقين،  
فهدى الأمة وكشف الغمّة، ونصب أعلام الهداية، وهدم قواعد الضلال  
والغواية، وحثَّ على التمسك بسنته وسنة الراشدين من خلفائه، وحثَّ عن  
محدثات الأمور؛ لأنها توقع من أتبعها في هوة شقائه، وعلى آله الطيبين  
الطاهرين، وأصحابه الذين اهتدوا بهديه إلى أن أتاهم اليقين.  
أما بعد: فقد رُفِعَ إليَّ سؤالٌ من بعض علماء مليبار<sup>(١)</sup> -أنقذهم الله من  
شر الأشرار- يشتمل [٢/ب] على طلب الكشف عن حال رجل يقال

---

(١) إقليم كبير من أقاليم الهند العظيمة، ويقع في وسطها، ويشتمل على مدن كثيرة،  
منها: فاكثور ومبخور ودهسل، ويتصل عمله بأعمال فولتان. انظر: معجم البلدان:

له: «غلام أحمد القادياني»، وألحوا عليّ أن أجيبهم عن ذلك بالبيان الشافي، والإيضاح الكافي؛ لتمييز لهم الخطأ عن الصواب، ويرتفع عن وجه الحقّ الحجاب، فلم أرُ بدءاً من إجابة دعوتهم، وإنجاز طلبتهم؛ لأنّ من كتم العلم الذي أوتيه استحق الوعيد الشديد الوارد في السنة والكتاب المجيد، فجمعت في هذه الورقات ما يكفي -[إن شاء] الله تعالى- لذلك من النصوص المهمات، وسَمَّيتها:

### «الآية الكبرى على ضلال مؤلف حماسة البشرية».

وأرجو من الله تعالى أن يكافئني عن ذلك بالثواب الجزيل، والأجر الجميل، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

**صورة السؤال:** ما قولكم -أدام الله فضلكم، ونفع المسلمين بعلومكم-

في رجل ظهر في الهند يسمى: «غلام أحمد القادياني» يزعم أنّ سيدنا عيسى عليه السلام قد مات ودفن في الأرض، ولم يرفع بجسده إلى السماء، فلا ينزل قرب الساعة إلى الأرض.

أما أنه مات فيشهد له قوله تعالى: ﴿يَلْعَسَىٰ إِنَّيَ مُتَوَفِّيكَ﴾، وقوله تعالى حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، ولا وجه لترك معنى الوفاة الحقيقي وإرادة معناها المجازي، وقد أخبر الله بقوله: ﴿فَدَخَلْتَ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُلُ﴾ عن موت جميع الرسل عن آخرهم، وآخرهم عيسى عليه السلام، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

(١٩٦/٥)، آثار البلاد وأخبار العباد، ص: ١٢٣، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع، صفى الدين القطيعي: (٣/١٣١٠).

(١) هذا هو الصواب، وفي (الأصل): «إنشاء».

وفيا الحديث المنقول [أ/٣] من «تفسير ابن كثير» مرفوعاً: «لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي».

و[في] <sup>(١)</sup> «معجم الطبراني» و«المستدرک» عن عائشة: «أنَّ عيسى بن مريم عاش مئة وعشرين سنة».

وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة: «إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة، وإنَّه عارضني القرآن العام مرتين، فأخبرني أنه لم يكن نبياً إلا عاش نصف الذي قبله، وأخبرني أنَّ عيسى بن مريم عاش مئة وعشرين سنة، ولا أراني إلا ذاهباً على رأس ستين».

وروى أبو يعلى عن فاطمة مرفوعاً: «أنَّ عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة».

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعاً: «تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الآية، فأول من يكسى إبراهيم، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول أصحابي، فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الآية.

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه: «رفع صلى الله عليه وسلم كما رفع عيسى عليه السلام»، وقرره أبو بكر رضي الله عنه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وسلمه الصحابة. وفي مجمع البحار: والأكثر أن عيسى لم يموت.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وقال مالك: مات. ومن المعلوم أن الأئمة الثلاثة مع [٣/ب] كون بعضهم تلميذ بعض قد خالفوا مالكاً في مسائل الحلال والحرام، ولم يثبت مخالفتهم له في هذه المسألة، ولو كان لهم خلافٌ لأظهموه، كما أظهموه في تلك المسائل؛ فثبت بالقرآن والحديث وإجماع الصحابة واتفاق الأئمة الأربعة أن عيسى عليه السلام مات.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَيْنَا﴾ رفعة عمله، أو رفعة منزلته، أو رفع روحه، كرفع أرواح سائر الأنبياء، ومنه قول عمر رضي الله عنه: «رفع صلى الله عليه وسلم، كما رفع عيسى»، وقرره أبو بكر وسلمه الصحابة. وأما دفنه فلحديث «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فإذا ثبت موت عيسى عليه السلام ودفنه في الأرض، ولم يرفع بجسده إلى السماء، فكيف ينزل في آخر الزمان، فيجب تأويل نزول عيسى عليه السلام، والمراد مجدد مثيله.

ويزعم القادياني أنه مجددٌ مثيله، وهو المسيح بن مريم الموعود، وقد فصل ما ذكر في رسالته «حمامة البشرية»، تعرفون منها حقيقة مذهبه، فهل عيسى عليه السلام مات أو لم يميت؟ وهل دفن في القبر كسائر الأنبياء أم لا؟ وكيف هذا الرجل في دعواه؟ فإن علماء الهند إذا ردّوا عليه يقول: إنهم أعدائي، فנסأل علماء العرب عسى الله أن يهدي القوم الضالين.

أقول: إني أعتمد -[إن شاء]<sup>(١)</sup> الله تعالى- في الجواب عن هذه المسألة وحل [٤/أ] هذه المشكلة، الطريقة المثلى ولزوم الحق الذي يعلو ولا يعلى، بين

(١) هذا هو الصواب، وفي (الأصل): «إنشاء».

الإطناب الممل والإيجاز المخل، فاسلك بنا ربناً سبيل الرشاد، واهدنا الصراط المستقيم، فسبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

**واعلم أن إتمام الكلام في ذلك يتوقف على تحرير سبعة مطالب وخاتمة.**

وقبل الشروع في المطالب المذكورة ينبغي لك أن تعلم أن رفع عيسى عليه السلام بجسده وروحه إلى السماء ونزوله منها قرب القيامة حق، وأن الإيمان به واجبٌ قد نصَّ على ذلك غير واحد من علماء الإسلام وأئمة الكلام، ولم ينكر ذلك إلا المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى؛ فيجب عليك اتباع أئمة الإسلام والعلماء الأعلام، في اعتقاد أن عيسى حيٌّ في سمائه، وأنه ينزل قرب الساعة لإعلاء دين الإسلام وإحيائه، ولا تغتر بسفاسف أحمد المذكور المشوّهة، وزخارفه المموّهة، وسيتضح لك -[إن شاء] الله تعالى- أن ما افتراه على المسيح عيسى باطلٌ وذاهبٌ كسحر المدائن حين ألقى موسى.

**المطلب الأول:** في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيْنِي﴾ الآية [آل عمران: 155].

**المطلب الثاني:** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَهِيدًا﴾ [النساء: 157-159].

**المطلب الثالث:** في بيان جواز كونه عرج به إلى السماء حياً بجسده وروحه، واستغنائه [ب/ ٤] عن الطعام والشراب.

**المطلب الرابع:** في الأحاديث الواردة في خروج الدجال وصفته وأحواله.

**المطلب الخامس:** في نزول عيسى عليه السلام قرب الساعة إلى الأرض.

(١) هذا هو الصواب، وفي (الأصل): «إنشاء».

**المطلب السادس:** في إيضاح بطلان الشبه التي تمسك بها غلام أحمد القادياني المذكور، وتشبث بها في تمويه دعاويه المزخرفة المذكورة.

**المطلب السابع:** في ذكر بعض إشكالات أوردتها القادياني في رسالته «حمامة البشرية»، ولم تذكر في السؤال.

**الخاتمة:** في بيان حكم القادياني.

### المطلب الأول

**في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ﴾ الآية [آل عمران: ٥٥]**

قال الإمام ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى، مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم؛ إذ قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ف«إذ» صلة من قوله: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فتوفاه ورفعاه إليه»، اهـ<sup>(١)</sup>.

ولأئمة التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ تأويلات، فقيل: متوفيك<sup>(٢)</sup> أي: متمم عمرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار الآن، بل أرفعك إلى سمائي، وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك، وقيل: متوفيك أي: ميمتك؛ كيلا<sup>(٣)</sup> يصل [أ/٥] أعداؤك من اليهود إلى قتلك، ثم أرفعك إليّ،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٤٤٧/٥).

(٢) ذكره ابن جرير عن مطر الوراق والحسن وابن جريج وكعب الأحبار ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن زيد. انظر: جامع البيان: (٤٤٧/٥).

(٣) هكذا في (الأصل): «كيلا»، ووجه آخر: تكتب منفصلة، انظر: أدب الكاتب، ص: ١٧٤، ودرة الغواص، ص: ٢٧٧، وهمع الهوامع: (٣٢٣/٦)، والمطالع النصرية، ص: ١٥١.



وهذا القول مروى عن ابن عباس في رواية<sup>(١)</sup>.

[وعن<sup>(٢)</sup> محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup>، ثم قال وهب: «توفي ثلاث ساعات، ثم رفع وأحيي»<sup>(٤)</sup>، وقال محمد بن إسحاق: «توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفعه»<sup>(٥)</sup>، وقال الربيع بن أنس: «إنه نومه ورفعه إلى السماء نائمًا؛ حتى لا يلحقه خوف ورعب»<sup>(٦)</sup>، أخذه من قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقيل: التوفي أخذ الشيء وافياً، أي: آخذك بروحك وبجسدك جميعاً، فرافعك إليّ؛ دفعاً لوهم من يتوهم أنه أخذ بروحه دون جسده<sup>(٧)</sup>، وقيل: متوفيك: قابضك من الأرض، من توفيت مالي على فلان، أي: استوفيته، لا يقال: إن التوفي على هذين الاحتمالين عين الرفع، فيكون تكراراً؛ لأننا

---

(١) عن علي بن أبي طلحة عنه: رواها ابن جرير: (٤٤٧/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٦٦١/٢)، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٢٤/٢).

(٢) زيادة اقتضاها السياق.

(٣) رواه عنه ابن جرير في جامعه: (٤٤٧/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٦٢٢/٢). وانظر: تفسير ابن كثير: (٤٧/٢).

(٤) رواه ابن جرير عنه كما في جامع البيان: (٤٤٧/٥). قال القرطبي (ت ٦٧١): «وهذا فيه بُعد، فإنه صح في الأخبار عن النبي ﷺ نزوله وقتله الدجال». اهـ. انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩٩/٤).

(٥) رواه ابن جرير عنه كما في جامع البيان: (٤٤٧/٥).

(٦) انظر: تفسير الثعلبي: (٨١/٣)، الهداية إلى بلوغ الغاية: (١٠٣٢/١)، النكت والعيون، للماوردي: (٣٩٧/١)، التفسير البسيط، للواحدى: (٣٠٢/٥).

(٧) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (٢٥٩/١)، تفسير الرازي: (٢٣٨/٨).

نقول التوفي جنس تحته أنواع ؛ فإنه يكون تارةً بالموت ، وتارةً بالرفع جسداً وروحاً ، وتارةً بغير ذلك .

فقوله بعده: ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾ تعيينٌ للنوع ، فلا تكرار<sup>(١)</sup> ، وقيل : أجمعك كالتوفي ؛ لأنه إذا رفع إلى السماء انقطع خبره وأثره عن الأرض ؛ فيكون من باب إطلاق الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته<sup>(٢)</sup> .

وقيل : المضاف محذوف ، أي : متوفي عملك ورافع طاعتك ، فكأنه بشره بقبول طاعته ، وأن ما وصل إليه من المتاعب في تمشية دينه وإظهار شريعته فهو لا يضيع أجره ، فهذا [٥/ب] كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقيل : في نسق الكلام تقديم وتأخير<sup>(٤)</sup> ؛ فإن الواو لا تقتضي الترتيب<sup>(٥)</sup> ، والمعنى : إني رافعك إليّ ومتوفيك بعد إنزالك إلى الدنيا<sup>(٦)</sup> ، ويؤيده ما ورد في الخبر: «إنه سينزل ويقتل الدجال ، ثم إنه تعالى

(١) انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : (٢٥٩/١) ، تفسير الرازي : (٢٣٨/٨) .

(٢) انظر : تفسير الرازي : (٢٣٧/٨) .

(٣) انظر : تفسير الرازي : (٢٣٨/٨) .

(٤) هو قول قتادة (ت ١١٨) ، والفرار (ت ٢٠٧) . انظر : تفسير ابن أبي حاتم : (٦٦١/٢) ، وتفسير الراغب الأصفهاني : (٥٩١/٢) ، وتفسير الرازي : (٢٣٨/٨) ، ونسبه الزجاج (ت ٣١١) في معاني القرآن وإعرابه : (٤٢٠/١) إلى النحويين .

(٥) كقوله : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرِزْقِكَ لَزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾<sup>(١٦٩)</sup> طه : ١٢٩ ، والتقدير : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً . انظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩٩/٤) .

(٦) هو قول قتادة فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه : (٦٦١/٢) ، ونسبه القرطبي (ت ٦٧١) في جامعه : (٩٩/٤) إلى جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفرء .

يتوفاه بعد ذلك»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن جرير: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة - اختلفت الرواية في مبلغها - ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: «والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم، كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما»<sup>(٣)</sup>.

ومراده بالوفاة من قوله: «من غير وفاة ولا نوم»: موته ساعات من الزمان ثم إحياءه، كما هو أحد التأويلات، أي: الصحيح أن الله رفعه بدون أن يميته تلك الساعات، فتنبه.

وهذه التأويلات كلها بعينها جارية في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فحكمها واحد، فعُلمَ من هذه التأويلات كلها أنَّ جميع من عليه التعويل في التفسير والتأويل [٦/١] متفقٌ على أنَّ عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حياً، وأنه باقٍ كذلك إلى نزوله في آخر الزمان، وأنه لا دلالة في الآيتين المذكورتين على موت عيسى عليه السلام موتاً حقيقياً، وبالله التوفيق.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) جامع البيان: (٤٥٠/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩٩/٤).

ومعنى قوله: ﴿وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ رافعك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي، كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصفات: ٢٩٩]، وإنما ذهب من العراق إلى الشام؛ لأن الدلائل القاطعة دالة على أن الله سبحانه وتعالى متعالٍ عن الحيز والجهة<sup>(١)</sup>.

(١) هذان لفظان من الألفاظ المجملة المبهمة الموهمة التي لم تأت في الشرع، ولم تنطق بها الرسل - عليهم السلام - ولا الكتب المنزلة؛ فحكمها - كما هو معلوم - الاستفصال في معناها؛ فإن أُريد بها المعنى الحق؛ فهي حق، وإن أُريد بها المعنى الباطل؛ فهي باطل. ولو عبر المؤلف - رحمه الله - بالألفاظ الكتاب والسنة لكان خيراً له وأقوم وأهدى سبيلاً إلى العقائد الحقة والمعاني الصحيحة، وأبعد له عن العقائد الباطلة والمعاني الفاسدة. يقول أبو عبدالله القرطبي (ت ٦٧١) في تفسيره الكبير: (٢١٩/٧): "وقد كان السلف الأول - رضي الله عنهم - لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت رسله" الخ كلامه رحمه الله. انظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ص: ١٧٦ - ١٨٠؛ بيان تلبيس الجهمية: (١٥٨/١ - ١٦٦)، العلو، للذهبي، ص: ٢٦٧، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية: (٢٦٣/٢).

ولشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين - رحمه الله - تقريرٌ وتقعيدٌ لهذه المسألة في رسالته التدمرية، ص: ٦٥ - ٦٨ يقول فيه: "وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً ردّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقاً ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك.

فلفظ «الجهة» قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم.

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ «الجهة» ولا نفيه، كما فيه إثبات «العلو» و«الاستواء» و«الفوقية» و«العروج إليه» ونحو ذلك.

وقد عُلم أن ما ثمّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مبين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلاً في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل.

وكذلك لفظ «المتحيز»، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض».

وفي حديث آخر: «وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة»، وفي حديث ابن عباس: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي مبين لها، منفصل عنها ليس حالاً فيها. فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه".

ثم إنَّه كما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه عبرَ لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير، فقال: ﴿وَمَطَّهْرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من خبث جوارهم وسوء عشرتهم، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليس هذا فوقية المكان بالاتفاق؛ فالمراد إما الفوقية بالحجة والدليل، وإما الفوقية بالقهر والاستيلاء، وفيه إخبارٌ عن ذل اليهود ومسكنتهم إلى يوم القيامة، ولعمري إنه كذلك، فلا يرى ملكٌ يهوديٌّ في الدنيا ولا بلد لهم مستقلٌّ، بخلاف النصارى.

على أننا نقول: المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده، فصدّقوه في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع، دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى.

وإذا [٦/ب] قلنا: إن المراد بالذين اتبعوه هم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، أو المسلمون كما مرّ - وهو الحق - لا ينافيه ما هو مشهود الآن من تغلب النصارى على أكثر بلاد الإسلام، واستيلائهم عليها، وقهرهم من بها من المسلمين؛ لأننا ذكرنا للفوقية معنيين فوقية بالحجة والدليل، وفوقية بالاستيلاء، فالمسلمون المتبعون للمسيح حقيقة فوق من لم يتبعه من اليهود والنصارى في بعض البلاد، بالقهر والاستيلاء والحجة والدليل، وفي بعضها بالحجة والدليل فقط، فهم فوقهم معنىً على كلِّ حال.

---

انظر أيضاً كلامه في: الفتاوى الكبرى: (٦/٣٢٤)، درء تعارض العقل والنقل: (١٠/٣٠٢)، مجموع الفتاوى: (٥/٢٩٨، ٣٠٥)، الجواب الصحيح: (٤/٣١٨).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ أي: إلى الله أيها المختلفون في عيسى، مرجعكم، يعني: مصيركم يوم القيامة، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: فأقضي حينئذ بين جميعكم في أمر عيسى بالحق، ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

### المطلب الثاني

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية [النساء: ١٥٧]

ف نقول: قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا﴾ معطوفٌ على قوله فيما سبق: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] والباء متعلقة بفعل محذوف، أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، وما عطف عليه فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم، أو على أعقابهم.

وجعل وصفهم عيسى عليه السلام بأنه المسيح عيسى بن مريم رسول الله من جنایاتهم التي نعت [٧/أ] عليهم، ليس لمجرد كونه على خلاف معتقدهم، بل لتضمُّنه؛ لابتهاجهم بقتل النبي عليه السلام والاستهزاء به؛ فإن وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة، إنما هو بطريق التهكم به عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

أو لإنبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح، على ما قيل من أن ذلك وضعٌ للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح، وقيل: هو نعتٌ له - عليه الصلاة والسلام - من جهته تعالى مدحاً له، ورفعاً لمحلّه - عليه

السلام-، وإظهاراً لغاية جراتهم في تصديهم لقتله، ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ حالٌ أو اعتراض، رُوي: «أن رهطاً من اليهود سبّوه عليه السلام وأمه، فدعا عليهم، فمسخهم الله قردة وخنزير، فأجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيكم يرضى بأن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة، فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «كان رجل ينافق عيسى- عليه السلام-<sup>(٢)</sup> فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيت عيسى عليه السلام، فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه، وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: «إن ططيانوس اليهودي دخل بيتاً كان هو [٧/ب] فيه، فلم يجده وألقى الله تعالى عليه شبهه، فلما خرج ظنَّ أنه عيسى عليه السلام فأخذ وقتل»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى: (١١٥٢٧)، والضياء المقدسي في المختارة: (٣٧٧/١٠).

(٢) أي: يظهر له الإسلام ويخفي الكفر. انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشمس الشربيني: (٣٤٣/١).

(٣) روي هذا القول عن وهب بن منبه، وهو أحد قوليهِ في الآية، رواه عنه عبدالصمد بن معقل، أخرجه ابن جرير في جامع البيان: (٣٦٨/٩) وصوّبه، وقال عنه ابن كثير (ت ٧٧٤) في تفسيره: (٤٥١/٢): سياق غريب جداً

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (٣٥٤/١)، تفسير الثعلبي: (٤٠٩/٣)، تفسير البغوي: (٤٤/٢)، تفسير الخازن: (٢٥١/١)، روح البيان: (٣١٧/٢).



وقيل: «إن اليهود لما همّوا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى إلى السماء، خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم، فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه، ولبسوا على الناس، وأظهروا لهم أنه هو المسيح، وما كانوا يعرفونه إلا بالاسم؛ لعدم مخالطته عليه السلام لهم إلا قليلاً.

﴿شَيْءَ﴾ مسنداً إلى الجار والمجرور، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول، أو في الأمر على قول من قال: لم يقتل أحدٌ، ولكن أُرِجِفَ بقتله، فشاع بين الناس، أو إلى ضمير المقتول؛ لدلالة ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ على أن ثمّ مقتولاً.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في شأن عيسى عليه السلام، فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس، فقال بعض اليهود: إنه كان كاذباً فقتلناه حتماً، وتردّد آخرون فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا<sup>(٢)</sup>، وقال من سمع منه عليه السلام: إن الله يرفعني إلى السماء، إنه رفع إلى السماء. وقال قوم: صلب الناسوت ورفع اللاهوت.

﴿لَفِي شَكِّ مَنَّهُ﴾ أي: لفي تردد منه، والشكُّ كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد، وعلى ما يقابل العلم؛ ولذلك أكّد

---

(١) وتامه: وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ - يعنون الذي دُخِلَ في طلبه - هذا قول السدي. انظر: زاد المسير: (٤٩٥/١).

(٢) ذكره ابن السائب. انظر: زاد المسير: (٤٩٥/١). وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره.

بقوله تعالى: ﴿مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، أي: لكنهم [٨/أ] يتبعون الظن.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: قتلاً يقيناً، كما زعموا بقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ردٌّ وإنكارٌ لقتله، وإثباتٌ لرفعه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغالب فيما يريد، ﴿حَكِيمًا﴾ في جميع أفعاله،

فيدخل فيها تدبيراته تعالى في أمر عيسى عليه السلام دخولاً أولياً<sup>(١)</sup>.

والضمير في قوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ عائدٌ إلى عيسى عليه السلام جسداً

وروحاً، كما هو الظاهر والحقيقة، ولا يعدل إلى خلاف الظاهر ولا إلى

المجاز، إلا لقريئة تحمل على ذلك، وهي مفقودة؛ فهو دليلٌ واضحٌ على كونه

عليه السلام باقياً على حياته إلى الآن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: من اليهود والنصارى،

﴿[إِلَّا] لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ جملةٌ قسمية وقعت صفة لموصوف

مخدوف، إليه يرجع الضمير الثاني، والأول لعيسى عليه السلام، أي: وما

من أهل الكتاب أحدٌ إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن تزهر روحه بأنه

عبد الله ورسوله، ولات حين إيمان؛ لانقطاع وقت التكليف<sup>(٣)</sup>.

وإيضاح ذلك: أن من يموت من اليهود والنصارى تنكشف له حقيقة

عيسى قبل خروج روحه، حتى يعلم أنه عبد الله ورسوله، ويظهر لليهودي

(١) انظر: تفسير ابن أبي السعود: (٢/٢٥١ - ٢٥٢).

(٢) ليست في (الأصل).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي السعود: (٢/٢٥٢).

أنه كان مخطئاً في تكذيبه، وللنصراني أنه كان مخطئاً في دعواه أن عيسى هو الله، أو أنه ابن الله؛ فيؤمن كل منهما بأنه عبد الله ورسوله، ولكن لا ينفعهم ذلك في وقت الغرغرة؛ لأنه ليس وقت تكليف<sup>(١)</sup>.

وقيل: كلا الضميرين [٨/ب] لعيسى، والمعنى: وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام أحدٌ إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى بأنه عبد الله ورسوله<sup>(٢)</sup>، وإلى هذا المعنى الثاني ذهب أبو هريرة رضي الله تعالى عنه حيث قال عند روايته حديث نزول عيسى في آخر الزمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾».

والآية محتملة للمعنيين، ولا تنافي بينهما؛ فتصح إرادة كل واحد منهما من الآية، فتكون في الآية إشارة إلى نزوله في آخر الزمان أيضاً.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ أي: عيسى عليه السلام، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الكتاب، ﴿شَهِيدًا﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصراني بأنهم دعوه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر لي بعد كتابتي هذا وجه واضح في ترجيح الاحتمال الثاني الذي ذهب إليه أبو هريرة، مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ لأنه يدل على أن عيسى عليه السلام اعترف بعدم رقابته واطلاعه على أحوال من كان من أهل الكتاب من اليهود

(١) انظر: تفسير القرطبي: (١٠/٦)، تفسير ابن جزي: (٢١٦/١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي السعود: (٢٥١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي السعود: (٢٥٣/٢).

والنصارى من زمن رفعه إلى وقت نزوله ؛ فيقتضي هذا أنه لا يكون شهيداً على من ذكر، وآية «النساء» تدل على أنه يكون شهيداً على من يؤمن به منهم، فتعين أن المراد من يؤمن به عند نزوله وقبل موته -عليه السلام- ؛ لأنهم الذين يكون عليهم شهيداً يوم [٩/أ] القيامة، والله أعلم.

قال العلامة نظام الدين النيسابوري في «تفسيره» بعد أن ذكر المعاني التي أوردناها في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في سورة «آل عمران»: «واعلم أن نص القرآن دلَّ على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره، قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، فأورد بعض الملحده عليه إشكالات :

**الأول:** أنه يوجب ارتفاع الأمان عن المحسوسات، فإني إذا رأيت ولدي ثم رأيتَه ثانياً، فحينئذٍ أجوز أن هذا الذي رأيتَه ثانياً ليس ولدي، بل هو إنسانٌ آخر ألقى شبهه عليه، وكذا الصحابة الذين رأوا محمداً يأمرهم وينهاهم احتمال أن يكون محمداً إنساناً آخر ألقى شبهه عليه، وأنه يفضي إلى سقوط الشرائع، وكذا إلى إبطال التواتر؛ لأن مدار الأمر في الأخبار المتواترة على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن محسوسٍ، وأنتم جوّزتم وقوع الغلط في المبصرات؛ ففتح هذا الباب أوله سفسطة، وآخره إبطال النبوات.

**الثاني:** أن جبريل كان معه حيث سار، ثم إن طرف جناح منه يكفي لأهل الأرض، فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء، وإلقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له.

**الثالث:** أنه تعالى كان قادراً على تخليصه من الأعداء بأن رفعه إلى السماء، فما الفائدة في إلقاء شبهه على الغير؟ وهل [٩/ب] فيه إلا إيقاع مسكين في القتل من غير فائدة؟ مع أن ذلك يوجب تلبيس الأمر عليهم، حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى، وإنه لم يكن عيسى، والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى.

**الرابع:** أن النصارى على كثرتهم في المشارق والمغرب وإفراطهم في محبة عيسى، أخبروا أنهم شاهدوه مصلوباً؛ فإنكار ذلك إنكار المتواتر، والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الأنبياء.

**الخامس:** ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حياً زمناً طويلاً، فلو كان هو غير عيسى؛ لأظهر الجزع وعرف نفسه، ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر. **والجواب عن الأول:** أن كل من أثبت القادر المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد، وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد؛ فكذا فيما ذكرتم.

**وعن الثاني والثالث:** أن ذلك يفضي إلى بلوغ الإعجاز حد الإلجاء، وأنه ينافي التكليف، والتلبيس المذكور قد أزاله تلامذة عيسى الحاضرون معه العالمون بالواقعة.

**وعن الرابع:** أنه تواتر منقطع الأول؛ لأنهم كانوا قليلين في ذلك الوقت، فلا يفيد العلم؛ إذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط.

**وعن الخامس:** ما روي: أن الذي ألقى عليه الشبه كان من خواص أصحابه؛ فلهذا صبر، على أننا نقول: قد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق

محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عنه ؛ فهذه الاحتمالات تمتنع أن  
تصير[١٠/أ] معارضة للنص القاطع ، والله ولي الهداية»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث

في بيان جواز كونه عُرج به إلى السماء حياً بجسده وروحه

واستغنائه عن الطعام والشراب

قال الإمام أبو طاهر القزويني في الباب الثامن والعشرين من كتابه «سراج  
العقول»<sup>(٢)</sup>: «اعلم أن ارتفاع عيسى عليه السلام بجسده إلى السماء ونزوله  
منها وقت القيامة حقٌّ، والإيمان به واجب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ  
إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وأنكرت المعتزلة<sup>(٣)</sup> واليهود والنصارى عروجه<sup>(٤)</sup>  
بجسده، وزعمت النصارى أن ناسوته صُلب، ولاهوته رُفِعَ.

أما كيف<sup>(٥)</sup> ارتفاعه ونزوله، وكيفية<sup>(٦)</sup> مكثه هناك إلى هذه المدة<sup>(٧)</sup> من غير  
طعام ولا شراب؛ فمما يتقاصر عن دركه العقول<sup>(٨)</sup>، ولا سبيل إليه<sup>(٩)</sup> إلا

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري: (١٧٢/٢ - ١٧٣)،  
انظر: تفسير الرازي: (٢٣٩/٨ - ٢٤٠).

(٢) ص: ٢٢٧ أ - ٢٣٠ ب، والكتاب لم أقف عليه إلا مخطوطاً في ٣٠١ ورقة، كتبت  
سنة ٥٧٦ هـ، والذي كتبها هو: عبدالغفار بن أحمد المقدسي، وهي محفوظة في مكتبة  
أياصوفيا برقم: ١٨٤٨.

(٣) بعده في «سراج العقول»: «والفلاسفة».

(٤) في «سراج العقول»: «عن وجه». تصحيف.

(٥) في «سراج العقول»: «كيفية».

(٦) في «سراج العقول»: «فكيفيته». تصحيف.

(٧) في «سراج العقول»: «الغاية».

(٨) في «سراج العقول»: «العقل».

(٩) «إليه» ليست في «سراج العقول».

الإيمان به ، والتسليم إلى سعة قدرة الله تعالى ؛ فإنَّ من الأرض إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، ثم من كل سماء إلى سماء هكذا ، وغلظ كل سماء هكذا مسيرة خمسمائة عام<sup>(١)</sup> إلى الرابعة التي هو عليها ، وأجرام السماوات صلبة شديدة<sup>(٢)</sup> قال الله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾<sup>(٣)</sup> [النبأ: ١٢]، وهي ينطبق<sup>(٤)</sup> بعضها على بعض ، لقوله<sup>(٥)</sup>: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٦].

فإن قيل: هب<sup>(٦)</sup> أنا عجزنا عن معرفة<sup>(٧)</sup> كيفية ذلك ، فمن ادعى استحالته فما الدليل على جوازه؟

الجواب: أما العروج<sup>(٨)</sup> والارتفاع ؛ فيحتمل أن تحمله الملائكة وعرجوا به إلى السماء ، أما ما ورد في قصة المعراج أن جبريل كان يستفتح من كل سماء بابها [١٠/ب] حتى يدخلها الرسول ، فالظاهر أنه لا يصح ، وإن صح فلا يستحيل في العقل أن يكون هناك أبواب يليق بها ، يمكن نفوذ رسول الله فيها ، كما قال تعالى: ﴿لَا تَفْذُونَ إِلَّا لِأَسْطِنِ﴾<sup>(٩)</sup> [الرحمن: ٣٣].

(١) قوله: «ثم من كل سماء...» إلى هنا ، سقط من «سراج العقول».

(٢) في «سراج العقول»: «صلبة غليظة شديدة».

(٣) في «سراج العقول»: «وجعلنا فوقكم سبعا شدادا».

(٤) في «سراج العقول»: «تنطبق».

(٥) في «سراج العقول»: «كقوله».

(٦) «هب» ليست في «سراج العقول».

(٧) في «سراج العقول»: «معرضة».

(٨) في «سراج العقول»: «العروج إليها».

وأما قوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩] يعني: نقضت وهدمت في القيامة، فتصير محرقة كالثوب الخلق؛ لقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]، وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١]، في التفسير<sup>(١)</sup>: السماء هاهنا السحاب<sup>(٢)</sup>؛ فإن الملائكة أجسام لطيفة، وذو<sup>(٣)</sup> قوى شداد، ونحن نرى العاصفات مع لطافتها تطلع الدوحة<sup>(٤)</sup> العظيمة عن أصلها، فلا عجب أن حمل بعض ملائكة الله المسيح فرفعه إلى السماء، ومن لم ير قط ارتفاع الحديد إلى المغناطيس<sup>(٥)</sup> كان إنكاره لذلك أشد من إنكاره لارتفاع جسد عيسى وإدريس عليهما السلام، ولعله<sup>(٦)</sup> تقرب حاله من حال<sup>(٧)</sup> الملائكة في اللطافة والعروج في السماوات.

ذكر<sup>(٨)</sup> القشيري في «تفسيره»<sup>(٩)</sup> عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾: «أي: إني<sup>(١٠)</sup> متوفيك عن شهواتك<sup>(١١)</sup>؛ لأنه لما رُفِعَ صار حاله

(١) انظر: تفسير الخازن: (٢١٨/٤)، تفسير ابن كثير: (٤٧٦/٧)، الدر المنثور:

(٦٧٥/٧)، تفسير القاسمي: (٩١/٩).

(٢) من قوله: «أما ما ورد في قصة المعراج...» إلى هنا، ليس في «سراج العقول».

(٣) كذا في (الأصل)، وفي سراج العقول: «لطيفة ذوي». ولعل الصواب: «ذوو».

(٤) في «سراج العقول»: «تقطع الدرجة».

(٥) في «سراج العقول»: «حجر المغناطيس».

(٦) في «سراج العقول»: «أو لعله».

(٧) في «سراج العقول»: «يقرب حاله حالة».

(٨) في «سراج العقول»: «ذكره».

(٩) (٢٤٥/١).

(١٠) «إني» ليست في «سراج العقول».

(١١) تشبه في «سراج العقول»: «سوائك».



كحال الملائكة، فالله سبحانه قادرٌ على أن يلفظ الكثيف ويكتف اللطيف، ألا ترى كيف كتَّف<sup>(١)</sup> الماء اللطيف حتى يصير جمداً كالحجر، ثم كيف يلفظه بالإذابة فيصير ماءً، ثم يبالغ في تلطيفه فيجعله بخاراً صاعداً في الهواء، لا يدركه البصر للطفاته، وهو بعينه ذلك الجمد الحجري المائي<sup>(٢)</sup>، ولللطيف<sup>(٣)</sup> سلطانٌ في النفوذ كالنور [١١/أ] يدخل في الزجاج، وهو جسم لطيف عند بعض العلماء<sup>(٤)</sup>، فيتصور نفوذ جسد عيسى عليه السلام عند عروجه، وكذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم عند معراجهِ<sup>(٥)</sup> في أجرام السماوات. وأطال في ذلك إلى أن قال: «فعلى هذا صح أن ينفذ جسد عيسى ومحمد عليهما السلام في أجرام السماوات، بعد ما لطفه<sup>(٦)</sup> الله تعالى، وقد ذكرنا أن للطف سلطاناً في النفوذ في الأشياء حتى السماوات، قال الله تعالى<sup>(٧)</sup>: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٣].

(١) في «سراج العقول»: «يكتف».

(٢) في «سراج العقول»: «المرئي».

(٣) في «سراج العقول»: «واللطيف».

(٤) في «سراج العقول»: «عند بعضهم».

(٥) قوله: «وكذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم عند معراجهِ» ليس في «سراج العقول».

(٦) في «سراج العقول»: «لطفهم».

(٧) قوله: «وقد ذكرنا...» إلى هنا، ليس في «سراج العقول».

فكان عيسى عليه السلام يمكن إذا بلغ السماء الأولى تتضام<sup>(١)</sup> أجزاء ممرة منها وتتقلص، حتى ينفذ فيها، ولعل ذلك هو المعبر عنه<sup>(٢)</sup> بفتح باب السماء في أحاديث المعراج وغيره<sup>(٣)</sup>، ثم لا تزال تتراد تلك الأجزاء منبسطة من قدامه إلى ما جاوزه من خلفه، حتى يبلغه الله ما شاء<sup>(٤)</sup> منها، وكذلك الحكم في معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن بلغ ما بلغ.

**فإن قيل:** فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب إلى هذه المدة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَهُمْ جَسَدًا أَلْيَا كُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]؟  
**قلت:** أما الطعام فهو قوت من يعيش في الأرض مسلطاً عليه هذا الهواء الحار والبارد، فينحل<sup>(٥)</sup> الأبدان<sup>(٦)</sup> أبداً ويعوضها الله بالغذاء<sup>(٧)</sup>، إجراء لعادته في هذه الحطة الغبراء، كما قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَهُمْ جَسَدًا أَلْيَا كُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨].

أما من لطفه الله بلطفه وقدرته ورفعته [١١/ب] عن الأرض إلى سمائه؛ فسوف يغنيه عن الطعام والشراب غنى<sup>(٨)</sup> الملائكة عنهما، فيكون حينئذ طعامه التسبيح والتهليل، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أبيت عند ربي

(١) في «سراج العقول»: «يمكن أنه إذا بلغ ينضام».

(٢) في «سراج العقول»: «حتى ينفذ فيه وهو الذي يعبر عنه».

(٣) في حديث المعراج وغيره «ليس في «سراج العقول».

(٤) في «سراج العقول»: «إلى ما شاء».

(٥) تشبه في «سراج العقول»: «فيهلك» أو «فيملك».

(٦) في «سراج العقول»: «أبدانه».

(٧) في «سراج العقول»: «ويعوضها بالغذاء».

(٨) في «سراج العقول»: «إغناء».

يطعمني ويسقيني»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في حديث أسماء بنت زيد قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي، فذكر الدجال فقال: إن بين يديه ثلاث سنين، سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، وفي الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، وفي الثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فقلت: يا رسول الله، إنا لنعجن عجياً فما نخبزه»<sup>(٢)</sup> حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسييح والتقدیس»<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد شاهدنا رجلاً في زماننا أمسك عن الطعام قريباً من ثلاث وعشرين سنة، يقال له: خليفة الخراط كان من قروين ومقامه بأبهر ونواحيه<sup>(٤)</sup>، وكان يعبد الله ليلاً ونهاراً بلا ضعف، وكذلك<sup>(٥)</sup> لا يبعد أن يكون قوت عيسى عليه السلام التسييح والتهليل، والله أعلم. اهـ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣٧/٣) في كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: ليس في الليل صيام، ومسلم في صحيحه: (٧٧٤/٢) في كتاب الصيام.

(٢) في «سراج العقول»: «لنعجن عجيتنا فما نخبزها».

(٣) رواه معمر بن راشد في جامعه: (٣٩١/١١)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير: (١٥٨/٢٤ - ١٥٩)، وفي سننه شهر بن حوشب الأشعري، شامي. ضعفه، فكان يحيى القطان لا يحدث عنه. قال عنه ابن حبان: (كان ممن يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات). اهـ. وقال عنه ابن عدي: (ضعيف جداً). اهـ.

انظر: المجروحين لابن حبان: (٣٦١/١)، الكامل في ضعفاء الرجال: (٨/٧).

والحديث ضعفه الألباني كما في تخريجه على مشكاة المصابيح: (١٥١٦/٣).

(٤) في «سراج العقول»: «ونواحيها».

(٥) في «سراج العقول»: «فكذلك».

قوله: «في حق السماوات: «وهي ينطبق بعضها على بعض»، ليس مراده أنها متلاصقة، كما زعمت الفلاسفة؛ فلا ينافي أن بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، كما وردت به الأحاديث.

وقوله: «أما ما ورد في قصة المعراج أن جبريل كان يستفتح من كل سماء بابها حتى يدخلها الرسول، فالظاهر أنه لا يصح»، هذا منه محمول على أنه لم يقف [١٢/أ] على الأحاديث الصحيحة الواردة بذلك، وحيث صح الحديث بذلك، تعيّن حمله على أنّ للسماوات أبواباً تليق بها، ويكون منها عروج عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقوله: «إلى الرابعة التي هو -أي: عيسى- عليها»، يقتضي أن عيسى على السماء الرابعة، وهو خلاف ما في الصحيح، من أنه على السماء الثانية مع يحيى عليهما السلام، والله أعلم.

### المطلب الرابع

#### فيما ورد في خروج الدجال وصفته وسيرته وفتنته

اعلم أنّ أخبار الدجال تحتمل مجلداً أفردتها غير واحد من الأئمة بالتأليف، ونحن نقتصر منها على ذكر المقدار الكافي في هذه العجالة.

فعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم

(١) في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٤/٢٢٦٦).

تكن آمنت من قبل: الدجال؛ والدابة؛ وطلوع الشمس من مغربها»، رواه الترمذي وصححه<sup>(١)</sup>.

ومن دعواته صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»<sup>(٢)</sup>.

ووقع في «تفسير البغوي»<sup>(٣)</sup> أن الدجال المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وأن المراد بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض.

وفي «صحيح البخاري»<sup>(٤)</sup>: «ما من نبي إلا وقد أئذره قومه»، زاد في رواية معمر: «لقد أئذره نوح قومه»<sup>(٥)</sup>.

وعند أبي داود<sup>(٦)</sup> والترمذي<sup>(٧)</sup> [١٢/ب] وحسنه عن أبي عبيدة: «لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أئذره قومه الدجال».

---

(١) كما في جامعه: (٣٠٧٢)، والحديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان: (١٣٧/١).

(٢) كما جاء في صحيح البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام:

(١٦٦/١)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: (٤١٢/١).

(٣) (١٥٣/٧).

(٤) في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال: (٦٠/٩).

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي: (٧١/٤).

(٦) في سننه: (٤٧٥٦)، والحديث سنده ضعيف، من أجل جهالة عبدالله بن سُرَاقَة، فإنه لم يرو عنه غير عبدالله بن شقيق، وللانقطاع فيه أيضاً، فإنه لا يُعرف له سماع من أبي عبيدة، كما قال البخاري في تاريخه: (٩٧/٥).

(٧) في جامعه: (٢٢٣٤)، وحكم عليه الألباني بالضعف، كما في ضعيف سنن

وعند أحمد<sup>(١)</sup>: «لقد أئذره نوح أمته والنيون من بعده»، وأخرجه<sup>(٢)</sup> من وجه آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما صفته<sup>(٣)</sup>: فقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنه «رجل»<sup>(٤)</sup> «شاب»<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: «شيخ»<sup>(٦)</sup>، وسندهما صحيح، «جسيم أحمر»<sup>(٧)</sup>، وفي رواية:

- 
- الترمذي، ص: ٢٥١، وكما في تحريجه لمشكاة المصابيح: (١٥١٥/٣).
- (١) في مسنده: (٣٢٧/١٠)، وإسناده على شرط الصحيحين كما قال محققو المسند.
- (٢) في مسنده أيضاً: (٤٣٣/١٠).
- (٣) يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١) في التذكرة: (١٢٧٩/٣): (وصف النبي ﷺ الدجال وصفاً لم يبق معه لذي لب إشكال، وتلك الأوصاف كلها ذميمة، تبين لكل ذي حاسة سليمة، لكن من قضي عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة، وحرّم اتباع الحق ونور التلاوة).هـ.
- (٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال: (٦٠/٩)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان: (١٥٦/١).
- (٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة: (٢٢٥٠/٤).
- (٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٣٤٩/٣٣)، ورجاله رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد (هكذا في نسخة المجمع، وصوابه عباد بكسر العين وفتح الباء وتخفيفهما، وقيل: بفتح العين والباء المشددة، كما سيأتي) وثقه ابن حبان كما قال الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد: (٣٤١/٧)، وثعلبة بن عباد مجهول، لا يدري من هو، وورد في التابعين، ولم يوثقه غير ابن حبان - كما سبق -، فإسناده ضعيف كما قال محققو المسند. انظر: الثقات، للعجلي: (ص: ٢٦١)، الثقات، لابن حبان: (٩٨/٤)، تهذيب الكمال: (٣٩٥/٤)، ميزان الاعتدال: (٣٧١/١)، تهذيب التهذيب: (٢٤/٢).
- (٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال: (٦٠/٩)، وصحيح

«أبيض أمهق»<sup>(١)</sup>، وفي حديث ابن مغفل عند الطبراني<sup>(٢)</sup>: «أنه آدم»<sup>(٣)</sup>، قال في «فتح الباري»<sup>(٤)</sup>: «يمكن أن تكون أذمته صافية، وقد يوصف ذلك بالحُمْرة؛ لأن كثيراً من الأدم قد تحمُرُ وجنته».

«جعد الرأس قطط، أعور العين اليمني، كأنها عنبه طافية»<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: «أعور العين اليسرى»<sup>(٦)</sup>، ووقع في حديث سمرة عند الطبراني<sup>(٧)</sup> وصححه ابن حبان<sup>(٨)</sup> والحاكم<sup>(٩)</sup>: «ممسوح العين اليسرى»، ومعنى طافية بغير همز - كما هو الأشهر في الرواية - أنها ناتئة نتوء العنبه<sup>(١٠)</sup>.

---

مسلم، كتاب الإيمان: (١٥٦/١).

(١) الأمهق: الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة، وليس بنير، ولكن كلون الحصى ونحوه. انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي: (٣٨٧/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٣٧٤/٤).

(٢) في معجمه الأوسط: (٢٧/٥)، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف لا يضر كما قال الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع: (٣٣٥/٧).

(٣) كذا في (الأصل)، والصواب: «إنه» كما في المصدر المنقول منه.

(٤) (٩٧/١٣).

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: الجعد: (١٦١/٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان: (١٥٤/١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة: (٢٢٤٨/٤).

(٧) في معجمه الكبير: (١٨٩/٧ - ١٩١).

(٨) في صحيحه: (١٠١/٧).

(٩) في المستدرک: (٤٨٧/١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(١٠) انظر: مشارق الأنوار: (٣٢٦/١)، فتح الباري: (٩٧/١٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر: (١٣٠/٣).

ومن حليته: أنه «قصير أفحج»<sup>(١)</sup> بفاء ساكنة وجيم آخره من الفحج، وهو: تباعد ما بين الساقين، وورد أنه «جفال الشعر»<sup>(٢)</sup> بضم الجيم وتخفيف الفاء، أي: كثيره، «ضخم فيلماني»<sup>(٣)</sup> بفتح الفاء، وسكون التحتية، أي: عظيم الجثة، «مكتوب بين عينيه كفر»<sup>(٤)</sup> -حروفاً متقطعة- يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ولا يقرؤها الكفار.

«ولا يولد له، ولا يدخل المدينة ومكة»<sup>(٥)</sup>، «تتبعه أقوام كأنّ وجوههم المجان المطرقة»<sup>(٦)</sup>، «وسبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالة»<sup>(٧)</sup>، «له حمار أهب»<sup>(٨)</sup>، أي: كثير الهلب، وهو: الشعر الغليظ، «ما بين أذنيه [١٣/أ] أربعون ذراعاً»<sup>(٩)</sup>، يضع خطوه عند منتهى طرفه.

- 
- (١) انظر: سنن أبي داود: (١١٦/٤)، وفي سنده بقية بن الوليد، مدلس.  
(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٢٤٨/٤).  
(٣) انظر: المعجم الأوسط: (١٨٠/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣٣٧/٧):  
إسناده ضعيف.  
(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: التلبية إذا انحدر في الوادي:  
(١٣٩/٢)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٢٤٩/٤).  
(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٢٤١/٤).  
(٦) انظر: سنن الترمذي: (٥٠٩/٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب.  
(٧) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٢٦٦/٤).  
(٨) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٢٤٩/٤).  
(٩) انظر: مسند الإمام أحمد: (٢١١/٢٣)، وقال الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد: (٣٤٤/٧)، رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح.



**وأما سيرته:** فإنه يخرج أولاً فيدعي الإيمان والصلاح، ويدعو إلى الدين، فيُتبع ويظهر، فلا يزال حتى يقدم الكوفة، فيظهر الدين ويعمل به، فيتبع ويحب على ذلك، ثم يدعي أنه نبي، فيفزع من ذلك كلُّ ذي لب ويفارقه، ثم يمكث بعد ذلك أياماً، ثم يدعي الإلهية، ويقول: أنا الله، فتغشى عينه، وتقطع أذنه، ويفارقه كلُّ أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان.

**ومن فنتته:** أنه يسير معه جبلان: أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه دخان ونار، يقول: هذه الجنة وهذه النار، وأن معه رجالاً يقتلهم ثم يحييهم، أي: فيما يظهر للناس ويخيل إليهم، وهم من الشياطين، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء، والناس في جهد إلا من اتبعه، وفي رواية: «معه نهران أنا أعلم بهما منه: نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة»<sup>(١)</sup>.

**ومنها:** أنه تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، ويسيح الأرض كلها في أربعين يوماً، إلا مكة والمدينة، إلى غير ذلك من الفتن العظيمة. وسيأتي أنه يقتله عيسى عليه السلام.

فإذا تأملت هذا كله علمت علماً يقيناً أن الدجال رجل معلومٌ بعينه، موصوف بهذه الصفات، وأحواله مما ذكر، وأنه يظهر آخر الزمان عند قُرب الساعة، فبطل ما زعمه أحمد القادياني من أن [١٣/ب] الدجال عبارة عن الكفرة الذين استولوا على بلاد الإسلام.

---

(١) أخرجها الإمام أحمد في مسنده: (٢١٢/٢٣) بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح كما تقدّم.

## المطلب الخامس

### في نزول عيسى إلى الأرض وقتله الدجال

#### وفي سيرته ومدة إقامته ووفاته

اعلم أن نزول عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض من أشراف الساعة القريبة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159]، وقد تقدم وجه دلالة هذه الآية على نزول عيسى-عليه السلام-.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلُّ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، وقرئ في الشواذ: «وإنه لعلم» بفتح العين واللام بمعنى العلامة.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية...» الحديث، رواه الشيخان<sup>(١)</sup>. وفي رواية مسلم عنه: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب» بنحوه<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: «فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة»، رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام: (١٦٨/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٣٥/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٣٦/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٣٧/١).

وأما **حليته** : فعند البخاري من حديث عقيل بن خالد: «أنه أحمر، جعد، عريض الصدر»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، سبَّط الشعر ينطف»<sup>(٢)</sup> أي: بكسر الطاء المهملة، أي: يقطر ماء، زاد في رواية: «له لَمَّةٌ-بكسر اللام وتشديد الميم- كأحسن [أ/١٤] ما أنت راء من اللُّمِّم قدرجَّلها»<sup>(٣)</sup>، أي: بتشديد الجيم: سرحها. وفي رواية: «لَمَّةٌ بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماءً»<sup>(٤)</sup>، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبَّط الرأس»<sup>(٥)</sup>، زاد في حديث أبي هريرة بنحوه: «كأنما خرج من ديماس»<sup>(٦)</sup> يعني: الحَمَّام، ولا منافاة بين الحمرة والأدمة؛ لجواز أن تكون أدمته صافية.

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.. الآية: (١٦٥/٤).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال: (٦٠/٩).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: الجعد: (١٦١/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٥٤/١).
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.. الآية: (١٦٦/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٥٥/١).
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه: (١١٦/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٥١/١).
- (٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.. الآية: (١٦٦/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٥٤/١).

«لا يجد ريح نفسه -بفتح الفاء- كافرٌ إلا مات»<sup>(١)</sup>، «عليه مهرودتان»<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك.

**وأما سيرته:** فإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير والقردة، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يُعبد إلا الله، ويترك الصدقة -أي: الزكاة- لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه، ولا يرغب في اقتناء المال، - أي: للعلم بقرب الساعة-، ويرفع الشحناء والتباغض، -أي: لفقد أسبابهما غالباً-، وينزع سُم كل ذي سُم، حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم.

ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها، ويملاً الأرض سلماً، وينعدم القتال، وتُنبئ الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وترخص الخيل؛ لعدم القتال، ويغلو الثور؛ لأن الأرض تحرث كلها.

ويكون مقررّاً للشريعة النبوية لا رسولاً إلى هذه الأمة، ويكون قد علم بأمر الله تعالى في السماء قبل أن ينزل وهو نبي، ومع ذلك فهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وصحابي؛ لأنه اجتمع به صلى الله عليه وسلم ليلة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة: (٤/٢٢٥٠).

(٢) المصدر السابق. وأما المهرودتان فرويت بالبدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور. ومعناه: لابس مهرودتين أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، والشقة: نصف المائة. انظر: شرح النووي على مسلم: (٦٧/١٨).

الإسراء [١٤/ب] في بيت المقدس، وحينئذ فهو أفضل الصحابة، وقد أُلغز التاج السبكي حيث يقول<sup>(١)</sup>:

مَنْ بَاتَّفَاقَ جَمِيعَ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ \* \* خَيْرِ<sup>(٢)</sup> الصَّحَابِ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ  
وَمِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ فَتَى \* \* مِنْ أُمَّةِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مَنْ

**وأما وقت نزوله:** «فإنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»<sup>(٣)</sup>، أي:

وهي موجودة، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق، ويقعد على المنبر، فيدخل المسلمون المسجد، وكذا النصارى واليهود، وكلهم يرجونه، حتى لو أُلقيت شيئاً لم يُصب إلا رأس إنسان من كثرتهم.

ويأتي مؤذن المسلمين، وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى، فيقترعون؛ فلا يخرج إلا سهم المسلمين، وحينئذ يؤذن مؤذنتهم، ويخرج

---

(١) في قصيدته التي في أواخر القواعد الموسومة بالأشبه والنظائر: (٣٤٤/٢) والتي يقول عنها وعن ناظمها بعض قضاة الشافعية: فإن بعض أكابر السادة المعروفين بزيادة التحقيق وكثرة الإفادة وضع سبع عشرة مسألة من المعاني المحكمة بالسؤالات المشككة، وجعلها نظماً لتكون أعسر فهماً تحار فيها عقول أولي الأبواب، ويعجزون عن أن يأتوا لها بجواب. ١.هـ، ومن نقلها عنه: السخاوي (ت ٩٠٢) في فتح المغيث: (١١٤/٤)، والجلال السيوطي (ت ٩١١) في الحاوي: (٣٢٥/٢)، والبرزنجي (ت ١١٠٣) في الإشاعة لأشراط الساعة: (ص: ١٤٤)، والسفارييني (ت ١١٨٨) في البحور الزاخرة في علوم الآخرة: (٥١٤/١).

(٢) الذي في المطبوع: شيخ، والمثبت موافق لمن نقل القصيدة عن المؤلف كما تقدم.

(٣) المصدر السابق.

اليهود والنصارى من المسجد، ويصلي بالمسلمين صلاة العصر<sup>(١)</sup>.  
ولا ينافي هذا ما تقدّم من أن أمير المسلمين -وهو المهديّ- يقول لعيسى  
عند نزوله: «تعال صلّ لنا»، فيقول: «لا، إن بعضكم على بعض أمراء»<sup>(٢)</sup>؛  
لأن ما تقدّم يكون في الصلاة الأولى، والظاهر أنها صلاة الظهر، فيمتنع  
عيسى عليه السلام من الإمامة فيها؛ لإعلام الناس باستمرار الشريعة المحمديّة  
على حكمها، وأن المهدي هو الخليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأمر المؤمنين وإمامهم، وما هنا يكون في صلاة العصر، وتقدّم عيسى [١٥/أ]  
عليه السلام للإمامة فيها بتعيين المهديّ له؛ لأنه أفضل.

ثم يخرج عيسى عليه السلام بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال،  
ويمشي وعليه السكينة، والأرض تقبض له، وما أدرك نفسه من كافر قتله،  
ويدرك نفسه حيثما أدرك بصره، حتى يدرك بصره ما في حصونهم وقريّاتهم،  
إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجده مغلقاً قد حصره الدجال، فيصادف ذلك  
صلاة الصبح؛ فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق  
هارباً، فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لدّ  
الشرقي فيقتله.

(١) هذا حاصل الجمع بين الروايات في محل نزوله، وفي وقته. انظر: الإشاعة في أشراف  
الساعة، ص: ٢٧١.

(٢) تقدم تخريجه.

وأما مدة إقامته ووفاته: فقد ورد في حديث عند الطبراني<sup>(١)</sup> وابن  
عساكر<sup>(٢)</sup>، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل  
عيسى بن مريم، فيمكث في الناس أربعين سنة». وفي لفظ للطبراني<sup>(٣)</sup>: «يخرج الدجال، فينزل عيسى بن مريم فيقتله، ثم  
يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً».

---

(١) في معجمه الأوسط: (٣٣١/٥)، ورجاله ثقات، كما قال أبو الحسن الهيثمي (ت  
٨٠٧) في مجمع: (٢٠٥/٨).  
(٢) في تاريخ دمشق: (٥٢٢/٤٧).  
(٣) لم أجده بهذا اللفظ عنده، وهو عند أحمد في مسنده: (١٥/٤١ - ١٦)، وابن  
حبان في صحيحه: (٢٣٥/١٥)، وإسناده لا بأس به، ورجاله ثقات غير الحضرمي بن  
لاحق. انظر: مجمع الزوائد: (٣٣٨/٧).

وعند ابن أبي شيبة<sup>(١)</sup> وأحمد<sup>(٢)</sup> وأبي داود<sup>(٣)</sup> وابن جرير<sup>(١)</sup> وابن

(١) في مصنفه: (٤٩٩/٧).

(٢) في مسنده: (١٥٤/١٥).

والحديث أُعلِّبَ بعلتين: الأولى: عبدالرحمن بن آدم البصري - مولى أم بُرثن - المعروف بصاحب السقاية. قال فيه ابن معين - لما سأله عنه عثمان بن سعيد كيف هو؟ - لا أعرفه. وهي مدفوعة بما حكاه ابن أبي حاتم عن عثمان الدارمي - أيضاً - عن ابن معين قال: لا بأس به. وبتوثيق ابن حبان له، ولهذا قال فيه الذهبي في كاشفه: وثق. وحكم عليه ابن حجر في تقريبه بأنه صدوق من الثالثة. وهو من رجال مسلم، فقد روى له حديثاً في الفضائل متابعه.

والثانية: الانقطاع، فقد روي عن ابن معين: أن قتادة لم يسمع من عبدالرحمن مولى أم بُرثن. وهي مدفوعة بإثبات من أثبت روايته عنه. قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: روى عنه قتادة وسليمان التيمي.

انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: (٢٠٩/٥)، الثقات، لابن حبان: (٨٣/٥)، المؤلف والمختلف، للدارقطني: (١٨٧/١)، رجال صحيح مسلم، لابن منجويه: (٤٠٤/١)، تهذيب الكمال: (٥٠٥/١٦)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص: ٢٥٥، الكاشف، للذهبي، ص: ٦٢٠، تهذيب التهذيب: (١٣٤/٦)، تقريب التهذيب، ص: ٣٣٦.

وممن صحح إسناده هذا الحديث: ابن كثير (ت ٧٧٤) كما في البداية والنهاية: (٢٢٤/١٩)، وابن حجر (ت ٨٥٢) في الفتح: (٤٩٣/٦)، ومحققو المسند: (١٥٤/١٥).

(٣) في سننه: (١١٧/٤)، وصحح إسناده ابن حجر في الفتح: (٤٩٣/٦).



حبان<sup>(٢)</sup>؛ عنه: «أنه يمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون ويدفونونه عند نبينا صلى الله عليه وسلم».

وأخرج ابن أبي شيبة، والحاكم في «المستدرک»<sup>(٣)</sup>، عن ابن مسعود: «وينزل عيسى فيقتله -أي: الدجال لعنه الله- فيتمتعون أربعين سنة، لا يموت أحد ولا يمرض...» الحديث.

---

(١) في تفسيره: (٤٥١/٥)، (٦٧٤/٧) من طريقين: أما أحدهما فعن ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن الحسن بن دينار. والأخرى عن بشر بن معاذ، قال: حدثني يزيد، قال: حدثنا سعيد -وهو ابن أبي عروبة - وكلاهما عن قتادة عن عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه - به.

فأما الطريق الأولى فهي معلولة بالحسن بن دينار، فإنه متروك عندهم. قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: تركه يحيى وابن مهدي ووكيع وابن المبارك. انظر: الطبقات، لابن سعد: (٢٧٩/٧)، تاريخ ابن معين برواية الدوري: (٢٤١/٤)، التاريخ الكبير، للبخاري: (٢٩٢/٢).

وأما الطريق الأخرى، فقال عنها الحافظ ابن كثير في تفسيره: (٢٢٤/١٩): وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) في صحيحه: (٢٣٤/١٥)، قال عنه محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبدالرحمن بن آدم فمن رجال مسلم.

(٣) (٥٦٦/٤)، وقال: (محمد بن ثابت بن أسلم البُناني من أعزّ البصريين وأولاد التابعين، إلا أن عبدالوهاب بن الحسين مجهول). اهـ. وعلّق الذهبي عليه بقوله: (ذا موضوع والسلام).

وأخرج أحمد<sup>(١)</sup> وأبو يعلى<sup>(٢)</sup> وابن عساكر<sup>(٣)</sup>، عن عائشة رضي الله عنها، [١٥/ب] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً».

وأخرج أحمد في «الزهد»<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة قال: «يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة، لو يقول للبطحاء: سييلي عسلاً، لسالت». وفي رواية<sup>(٥)</sup>: «خمسة وأربعين سنة»، والقليل لا ينافي الكثير، ولعل روايات «الأربعين» وردت بإلغاء الكسر.

---

(١) في مسنده: (١٦/٤١)، وقال الهيثمي في مجمع: (٣٣٨/٧): (رواه احمد، ورجاله رال الصحيح، غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة).

(٢) في مسنده: (١١٠/١٢)، وفي سنده علتان: ضعف الحسن بن علي الأسود، قال أحمد: لا أعرفه، وسئل عنه أبو حاتم، فقال: صدوق، وقال ابن عدي: يسرق الحديث، وأحاديثه لا يتابع عليها، وقال الأزدي: ضعيف جداً يتكلمون في حديثه، ووثقه ابن حبان. وانقطاع، فإن يحيى بن جعدة لم يدرك فاطمة. انظر: الثقات، لابن حبان: (١٩٠/٩)، الكامل في ضعفاء الرجال: (٢٤٥/٣)، تهذيب الكمال: (٣٩١/٦)، تهذيب التهذيب: (٣٤٣/٢).

(٣) في تاريخ دمشق: (٤٧/٤٩٨).

(٤) عزاه المصنف إليه - تبعاً لمن نقل عنهم، ولم أجده - بعد البحث - عنده، وهو مُخرَج في الفتن، لنعيم بن حماد: (٥٨٠/٢)، وكتاب العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد: (٢/٩٩، ٢٠٧)، وإسناده لا مطعن فيه إلا أن يكون تدليس قتادة.

(٥) أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: (٤٣٣/٢) بسنده، وقال: "هنا حديث لا يصح، والإفريقي ضعيف بمرّة". أ.هـ، ونقلها القرطبي (ت ٦٧١)

وفي رواية مسلم<sup>(١)</sup> وابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>، عن أبي هريرة: «لِيَهْلَنَّ عَيْسَىٰ بِنَ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ بِالْحَجِّ أَوِ الْعَمْرَةِ، أَوْ لِيَشْنِيَهُمَا جَمِيعًا»، الفج: الطريق، والروحاء: مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة.

وأخرج الحاكم<sup>(٣)</sup> وصححه وابن عساكر<sup>(٤)</sup> عنه: «لِيَهْبَطْنَ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مَقْسُطًا، وَلِيَسْلُكَنَّ فَجًّا حَاجِبًا أَوْ مَعْتَمِرًا، وَلِيَأْتِيَنَّ قَبْرِي حَتَّىٰ يَسْلَمَ عَلَيَّ، وَلَأُرَدَّنَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ».

وأخرج الحاكم<sup>(٥)</sup> عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من أدرك منكم عيسى ابن مريم، فليقرئه مني السلام».

وأخرج الترمذي<sup>(٦)</sup> وحسنه، وابن عساكر<sup>(١)</sup> عن عبدالله بن سلام قال: «مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وعيسى بن مريم يُدفن معه».

---

في تذكرته، ص: ٧٦٢ عن أبي حفص المايثي، انظر: تحفة الأحوزي: (٦٢/١٠)، ومرقاة المفاتيح: (١٢٩/٨).

(١) في صحيحه، كتاب الحج: (٩١٥/٢).

(٢) في مصنفه: (٤٩٤/٧).

(٣) في مستدرکه: (٦٥١/٢)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة)١. وعلق عليه الذهبي بقوله: (صحيح).

(٤) في تاريخ دمشق: (٤٩٣/٤٧).

(٥) في مستدرکه: (٥٨٧/٤)، وقال: (إسماعيل هذا أظنه ابن عياش ولم يحتج به)١. هـ

(٦) في جامعه: (٥٨٨/٥)، وقال: (هذا حديث حسن غريب).

وأخرج البخاري في «تاريخه»<sup>(٢)</sup>، والطبراني<sup>(٣)</sup> وابن عساكر<sup>(٤)</sup>؛ عنه قال: «يُدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فيكون قبره رابعاً».

وذكر البقاعي في «سر الروح»<sup>(٥)</sup>: «أن ابن المراغي قال في «تاريخ المدينة»، وفي «المنتظم» لابن الجوزي: عن عبدالله [١٦/أ] بن عمر مرفوعاً: «ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، فيمكث خمساً وأربعين سنة، ثم يموت، فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر»، وعن القرطبي في آخر «تذكرته» إلى أبي حفص الميانشي «اهـ. وهذا المطلبان - أعني: الرابع والخامس - قد لخصناهما من كتاب «الإشاعة في أشراف الساعة»<sup>(٦)</sup> تأليف جدنا العلامة السيد محمد بن رسول

(١) في تاريخه: (٥٢٣/٤٧).

(٢) الكبير: (٢٦٣/١)، وفيه عثمان بن الضحاك، وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود، كما في مجمع الزوائد: (٢٠٦/٨).

(٣) في معجمه الكبير: (١٥٨/١٣).

(٤) في تاريخه: (٥٢٤/٤٧).

(٥) ص: ٨٧. وهذا الكتاب اختصر فيه مؤلفه كتاب الروح لابن قيم الجوزية، وزاد عليه شيئاً مميّزه بقوله: قلت، ورتبه - حسب قوله - أحسن من ترتيبه، وبالغ جهده في تهذيبه، فجاء في نصفه، وكان يظن أنه يكون بعد الزيادة والتحرير في نحو ثلثه، والثلث كثير، ولم يخل بشيء من مختاره، ولا حذف صحيحاً من حديثه وأخباره. انظر: مقدمته، ص: ٢ - ٣.

(٦) انظر: (ص: ٢٣٦ - ٢٤٥)، و (ص: ٢٦٩ - ٢٧١)، والبحور الزاخرة في علم الآخرة، للسفاريني: (٤٧١/١)، (٥١١).

البرزنجي المدني مجدد القرن الحادي عشر.

وإذا تدبّرت أيها اللبيب البصير تحقق لديك بلا ريب أن ما ذكرناه من الأحاديث النبوية الواردة في نزول عيسى عليه السلام ووفاته بعد نزوله، دالٌّ دلالة قطعية على أن عيسى قد رُفِعَ إلى السماء حياً بجسده وروحه، وأنه باقٍ على حياته إلى أن ينزل عند قرب يوم القيامة إلى الأرض، ويقتل الدجال، ويمكث في الأرض خمساً وأربعين سنة إماماً وحكماً عدلاً، ثم يتوفاه الله، ويدفن عند نبينا عليهما الصلاة والسلام.

فكيف يصح مع هذه الأحاديث المتواترة ما زعمه أحمد القادياني الضالُّ المضلُّ أن عيسى عليه السلام مات، وأن المراد من عيسى في الأحاديث الواردة في نزوله رجلٌ مثلُ عيسى، وأنه هو ذلك الرجل<sup>(١)</sup> سبحانه هذا بهتان عظيم؟!.

## المطلب السادس

في إيضاح بطلان الشبه التي تمسك بها أحمد القادياني [١٦/ب] المذكور

وتشبت بها في تمويه دعاويه المزخرفة المذكورة في السؤال

فقول: دُكِرَ في السؤال أن أحمد القادياني المذكور يزعم أن عيسى قد مات ودفن في الأرض، ولم يرفع بجسده إلى السماء، فلا ينزل قرب الساعة إلى الأرض؛ أما أنه قد مات فيشهد له قوله تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَدِ افْتَرَيْنَاهُ قَوْلَ الْكَافِرِينَ إِذْ قَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عِندَ رَبِّنَا إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَجُلٍ ثَمُودَ إِذْ وَفَّىٰ ذُنُوبَهُ قَدْ أَفْرَدَ كَلِمَاتٍ لَا لِلَّهِ مُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَوْكَبُ إِنَّهٗ لَكَلِمَاتُ الْكَافِرِينَ﴾، وقوله حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي﴾، ولا وجه لترك معنى الوفاة الحقيقي وإرادة معناها المجازي.

أقول: استدلاله بالآيتين الكريمتين باطلٌ لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه؛ لما ذكرناه ووضحناه نقلاً عن أئمة التفسير والتأويل الذين عليهم في فهم معنى

(١) انظر: حماسة البشرية، ص: ٢٩.

كتاب الله عز وجل التعويل ؛ لأنهم كلهم -حتى من قال منهم: إنه تُوفِّيَ ساعات من الزمان- اتفقوا وأجمعوا على أنه لم يرفع إلى السماء إلا حياً، فرفعه الله بروحه وجسده.

والذي حملهم على هذا التأويل ما تلوناه عليك من الأحاديث المتواترة الدالة دلالة قطعية على أنه لم يزل حياً، وأنه ينزل إلى الأرض بعينه الموصوفة، بأوصافه المعروفة، وبذاته المقدسة الشريفة، فيمكث في الأرض مدة طويلة إماماً وحكماً عدلاً بشريعة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وأنه بعد ذلك يتوفاه الله.

فهذا هو الداعي لهم الذي لا بد من إجابته إلى حمل معنى الوفاة في الآيتين الكريمتين على غير معناها الظاهر، وتأويلها بأحد المعاني التي ذكروها، عملاً بالقاعدة الأصولية المشهورة عند كل خبير بعلم الدين، وهي: «أن نصوص الشارع [١٧/أ] القطعية من الكتاب والسنة إذا تعارضت ظواهرها لا بد من الجمع بينها والتوفيق بين معانيها ؛ لاستحالة الاختلاف والتناقض بينها».

ولما لم يمكن الجمع بين تلك النصوص الواردة في حق عيسى عليه السلام إلا بتأويل الوفاة المذكورة بمعنى مما ذكروه، أجمعوا كلهم على تأويلها كذلك ؛ فبطل قول القادياني: «إنه لا وجه لترك معنى الوفاة الحقيقي وإرادة معناها المجازي» ؛ لأن جمعهم هو الوجه البيّن والواجب المتعيّن.

وقوله: «وقد أخبر الله بقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران: ١٤٤ عن موت جميع الرسل»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: حمامة البشرى، ص: ٢٦.

**أقول:** معنى «خلت»: مضت فمن أين أخذ القادياني معنى موت جميع الرسل من هذه الآية الكريمة!!؛ فإنها إنما تدل على أنّ سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى عباد الله، كما أن من قبله من الأنبياء رسلٌ إلى عباد الله، وأن المقصود من إرسال الرسل التبليغ وإلزام الحجّة، لا بقاؤهم بين أظهر أممهم أبداً.

فإذا انقضى أجله صلى الله عليه وسلم مات، كما أنّ الرسل الذين خلوا قبله مات منهم من انقضى أجله؛ لأنه بشر لا يستحيل عليه الموت، كما أنّ الرسل الذين خلوا قبله بشرٌ مثله لا يستحيل عليهم الموت، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ومن كان ذا عقلٍ مستقيم وفهم غير سقيم يعلم أن بيان عدم استحالة الموت على شخص لا يلزم منه موته بالفعل عند ذلك، [١٧/ب] وأن موت من انقضى أجله من الرسل الذين خلوا قبله لا يستلزم موت جميعهم، ويؤيد هذا أنّ الآية الكريمة نزلت في حال حياته صلى الله عليه وسلم، وقد عاش صلى الله عليه وسلم بعد نزولها مدة طويلة؛ لأنها نزلت في واقعة أحد. فاتضح أن الآية الكريمة لا تدل على موت الرسل الذين خلوا قبله جميعهم، ولا على موته بالفعل، ولا يُعلم موت من مات منهم بالفعل أو حياته، إلا من أدلة خارجة عن ذلك؛ فعُلم أنّ استدلاله بما فهمه من الآية على موت جميع الأنبياء بالفعل، إنما هو تمسكٌ بجمال العنكبوت وبوساوس ألقاها إليه الطاغوت.

**وقوله:** وفي الحديث المنقول من تفسير ابن كثير<sup>(١)</sup>: «لو كان موسى وعيسى حينئذٍ لما وسعهما إلا اتباعي».

**أقول:** إن هذا حديثٌ مجهول الصحة والحسن، ولا يحتجُّ بمثله على حكم من الحلال والحرام، فضلاً عن معتقدات الدين، وعلى فرض صحته أو حسنه؛ فيكون معناه: لو كان موسى وعيسى حينئذٍ، أي: موجودين في الأرض وحاضرين لديّ لما وسعهما إلا اتباعي، لكنهما ليسا كذلك.

أمّا موسى فقد توفاه الله الوفاة الحقيقية، كما هو معلوم بالضرورة والتواتر، وأمّا عيسى فقد قبضه الله من الأرض ورفعَه إلى السماء، فكان بذلك كالمُتوفى؛ لأنه إذا رُفِعَ إلى السماء انقطع خبره وأثره عن الأرض، فيكون من باب إطلاق اللفظ على ما يشابه معناه [١٨/أ] في أكثر خواصه وصفاته، كما هو أحد التأويلات في معنى وفاته المذكورة في الآيتين؛ فحجّته داحضة ودعواه واهيةٌ غير ناهضة.

**وقوله:** وفي «معجم الطبراني»<sup>(٢)</sup> و«المستدرک»<sup>(٣)</sup> عن عائشة: «أن عيسى

(١) (٦٨/٢، ١٨٧/٥).

(٢) أخرجه في الكبير: (٤١٧/٢٢) بإسناد ضعيف، كما قال أبو الحسن الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد: (٢٣/٩)، وانظر جواباً للسخاوي (ت ٩٠٢) عن سنن عيسى حين رُفِعَ في الأجوبة المرضية عما سُئِلَ عنه من الأحاديث النبوية: (١٤٨/٢).

(٣) (٦١٣/٣) من مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

وفيه كامل، إن كان هو ابن طلحة الجحدري، فقد سئل عنه أبو داود، فقال: رُميت بكتبه. انظر: تهذيب الكمال: (٩٥/٢٤)، المغني في الضعفاء: (٥٢٩/٢)، تهذيب التهذيب: (٤٠٨/٨)، وإن كان السعدي، فقد قال عنه ابن حبان (ت ٣٥٤) في



بن مريم عاش مئة وعشرين سنة»<sup>(١)</sup>، وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة: «إن جبرائيل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني القرآن العام مرتين، فأخبرني أنه لم يكن نبيًّا إلا عاش نصف الذي قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش مئة وعشرين سنة، ولا أراني ذاهبًا إلا على رأس ستين سنة»<sup>(٢)</sup>.

**أقول:** هذان الحديثان ضعيفان، لا يصح الاحتجاج بهما لما تقدم؛ لأنهما معارضان بالأحاديث المتواترة الدالة على نزول عيسى في آخر الزمان ووفاته بعد ذلك كما تقدم<sup>(٣)</sup>، وبما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَكْمُرُ اللَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾ [آل عمران: ٤٦]، فقد قال الإمام الرازي: «السؤال الثالث: نقل أن عُمر عيسى عليه السلام إلى أن رُفِعَ كان ثلاثًا وثلاثين سنة وستة أشهر، وعلى هذا التقدير فهو [ما]بالغ<sup>(٤)</sup> الكهولة. الكهولة. والجواب من وجهين:

---

المجروحين: (١٢٦/٢): كان ممن يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل من حيث لا يدري، فلما فحش ذلك من أمثاله بطل الاحتجاج بأخباره. ا.هـ. انظر: ميزان الاعتدال: (٤٠٠/٣)، المغني في الضعفاء: (٧٩٩/٢)، تهذيب التهذيب: (٤٠٩/٨).

(١) انظر: حماسة بشرى، ص: ٢٦.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير: (٣٦٧/٩).

(٤) كذا في الأصل، والذي في تفسير الفخر الرازي: (بلغ).

الأول: بيّن أنّ الكهل في أصل اللغة عبارة عن الكامل التام، وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين؛ فصَحَّ وصفه بكونه كهلاً في هذا الوقت.

والثاني: هو قول الحسين بن الفضل البجلي: إن المراد بقوله: ﴿وَكَهَلًا﴾: أن يكون كهلاً [١٨/ب] بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان، ويكلم الناس، ويقتل الدجال.

قال الحسين بن الفضل: «وفي هذه الآية نصٌّ في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض»<sup>(١)</sup>، وقال الإمام نظام الدين النيسابوري: ﴿وَكَهَلًا﴾ عطفٌ على الظرف، أي: يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة. والكهل في اللغة: الذي اجتمع قوته وكمل شبابه، من قولهم: اكتهل النبات، أي: قوي. روي أن عمره بلغ ثلاثاً وثلاثين، ثم رُفِعَ إلى السماء. ولا ريب أن أكمل أحوال الإنسان ما بين الثلاثين والأربعين؛ فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة.

وعن الحسين بن الفضل: المراد: أن يكون كهلاً بعد نزوله من السماء، وأنه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال»<sup>(٢)</sup>، ومثل ذلك في ابن جرير<sup>(٣)</sup> والبيضاوي<sup>(٤)</sup> والجلالين<sup>(٥)</sup> والخطيب الشربيني<sup>(١)</sup> وأبي السعود<sup>(٢)</sup>.

(١) التفسير الكبير: (٢٢٥/٨).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٦٣/٢).

(٣) انظر: جامع البيان: (٤١١/٥ - ٤١٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (١٧/٢).

(٥) ص: ٧٢.

فلو كان الحديثان المذكوران صحيحين، لكان عيسى بالغاً سن الشيخوخة، فضلاً عن الكهولة، ولما ورد هذا الإشكال حتى يحتاج المفسرون إلى الجواب عنه بالوجهين المذكورين، ولا يلزم من أن الحديث الأول في المستدرك للحاكم القطع بصحته؛ لأن أئمة الحديث نصُّوا على أنه متساهلٌ في التصحيح<sup>(٣)</sup>، وقد لخص الذهبي مستدركه وتعقَّب كثيراً منه بالضعف والنكارة، وجمع جزءاً فيه الأحاديث التي فيه وهي موضوعة، فذكر نحو مئة حديث<sup>(٤)</sup>، كما في «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» للحافظ السيوطي<sup>(٥)</sup>.

ولأنه لو صح ما في الحديث الثاني [١٩/أ] عن عائشة من «أن كل نبي

(١) انظر: السراج المنير: (٢١٥/١).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (٣٧/٢).

(٣) يقول الحافظ ابن الصلاح (ت ٦٤٣) في المقدمة، ص: ٢٢ عن الحاكم: (وهو واسع الخطو في شرط الصحيح، متساهلٌ في القضاء به). اهـ. وانظر -أيضاً- في نقد العلماء لتساهله: إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق، للنووي: (١٢٣/١ - ١٢٤)، التقييد والإيضاح، العراقي، ص: ٣٠، وشرحه على ألفيته: (١٢١/١)، والنكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر: (٣١٢/١ - ٣٢١)، والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لأبي الحسنات اللكنوي مع تعليقات عبدالفتاح أبو غدة عليه، ص: ٨٠ - ٨٦.

(٤) يقول الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (١٧٥/١٧) - (١٧٦): (وفي غضون ذلك أحاديث نحو المئة يشهد القلب ببطانها، كنت قد أفردت منها جزءاً... وبكل حال فهو كتاب مفيد قد اختصرته، ويعوز عملاً وتحريراً). اهـ. وفي تذكرة الحفاظ، له: (١٦٤/٣): (ولا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديث موضوعة شأن المستدرك بإخراجها فيه. وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف... وأما حديث: "من كنت مولاه... فله طرق جيدة، وقد أفردت ذلك أيضاً). اهـ.

(٥) (١١٢/١).

يعيش نصف الذي قبله»، للزم أن يكون موسى عاش أكثر من ألف سنة؛ لأن بين موسى وعيسى أنبياء لا يعلم عددهم إلا الله. وعلى فرض أنه عاش ألف سنة؛ للزم أن يكون يوسف عاش ألفي سنة لأنه قبله، وأن يكون يعقوب عاش أربعة آلاف سنة، وإسحاق ثمانية آلاف سنة، وإبراهيم ستة عشر ألف سنة، وصالح اثنين وثلاثين ألف سنة، وهود أربعة وستين ألف سنة، ونوح مئة وثمانية وعشرين ألف سنة، وادم مائتين وستة وخمسين ألف سنة، وهذا أمر لا يقول به ضعفة العقول، فضلاً عن كمل العقلاء، فضلاً عن سيّد الأنبياء. فكيف يصح أن يكون ذلك حديثاً مروياً عنه؟! حاشاه من ذلك.

وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، وغاية ما ذكره المؤرخون أنه عاش ألفاً وسبعمائة سنة، فأين هذا من مئة ألف وثمانية وعشرين ألفاً؟! وهذا كله على سبيل التقريب، فلو حفظنا تاريخ الأنبياء جميعهم وعرفنا أعدادهم؛ للزم من ذلك بلوغ عمر آدم بل نوح إلى أضعاف ذلك.

وليس مرادنا من الطعن في الحديث الثاني عن عائشة الطعن في الحديث كله؛ لأن بعضه ثابت في الصحيح، وهو معارضة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم القرآن في السنة الأخيرة مرتين، وفهمه صلى الله عليه وسلم من ذلك قرب أجله، فهذا القدر ثابت في [١٩/ب] الصحيح، والمطعون فيه زيادة: «فأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف الذي قبله...» إلخ. ويؤيد ما ذكرناه في بطلان الزيادة المذكورة في الحديث ما رواه الحاكم في

«مستدرکه»<sup>(١)</sup> من: «أن كُلاً من موسى وهارون عاش مئة وعشرين سنة»، وفيه: عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: «اختن إبراهيم بعد عشرين ومئة سنة بالقدوم، ومات صلى الله عليه وسلم وهو ابن مائتي سنة»<sup>(٢)</sup>.

وفيه عن أبي هريرة: «لما خلق آدم...» الحديث، وفيه قال: «فهذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: يا رب كم جعلت عمره، قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة»، وسكت عليه الذهبي.

**وقوله:** وروى أبو يعلى<sup>(٣)</sup> عن فاطمة مرفوعاً: «أن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة»<sup>(٤)</sup>.

**أقول:** هذا الحديث مع معارضته لما نقلناه عن المفسرين، من أن عيسى عليه السلام رفع وعمره ثلاث وثلاثون سنة مناقضاً لما ذكره أولاً من أنه عاش مئة وعشرين سنة، على أن الإخبار بأنه عليه السلام مكث في بني إسرائيل أربعين سنة لا يدلُّ على أنه مات بعد ذلك؛ لاحتمال أن يكون معناه أن الله رفعه إلى السماء بعد ذلك، كما هو واضح، فلا حجة فيه لمُدَّعاه أصلاً.

(١) (٦٣٢/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: (٦٠٠/٢). والقدوم - بالتخفيف -: آلة النجار معروفة، وبالتشديد: اسم موضع، وقيل: هو بالتخفيف أيضاً. انظر: جامع الأصول: (٧٧٦/٤).

(٣) في مسنده: (١١٠/١٢).

(٤) انظر: حمامة البشرى: (ص: ١٠).

**وقوله:** وفي صحيح البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن عباس مرفوعاً: «تحشرون حفاة [٢٠/أ]أعراة غرلاً...» إلخ.

**أقول:** قد تقدم الجواب عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، فلا حاجة إلى إعادة الكلام.

**وقوله:** «ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه: رفع صلى الله عليه وسلم، كما رفع عيسى عليه السلام... إلى قوله: وسلمه الصحابة»<sup>(٢)</sup>.

في البخاري<sup>(٣)</sup> في «باب مرضه صلى الله عليه وسلم ووفاته»، عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرسٍ من مسكنه بالسُّنْحِ<sup>(٤)</sup>، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مُعَشَّى بثوب حَبْرَة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها».

---

(١) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾... الآية: (١٦٨/٤).

(٢) انظر: حماسة بشرى، ص: ٥٠ - ٥١.

(٣) (١٣/٦).

(٤) بضم السين المهملة وسكون النون بعدها حاء مهملة، وضبطه بعضهم بضم النون: ناحية من نواحي المدينة، من عوايلها من منازل بني الحارث، بينه وبين منزل النبي ﷺ ميل، انظر: مطالع الأنوار: (٥٨٨/٥)، كشف المشكل من الصحيحين: (٤٤/١)، الكوكب الدراري من شرح صحيح البخاري: (٢١٠/١٤)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح: (٢٦٥/٢٠)، عمدة القاري: (١٨٥/١٦).

قال الزهري: وحدثني أبو سلمة، عن عبد الله بن عباس: «أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يُكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، إلى قوله: ﴿الشُّكْرِينَ﴾ آل عمران: [١٤٤]، وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، [٢٠/ب] فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها».

فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فَعُفِّرَتْ حتى ما تُقَلِّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات».

وذكر شارحه القسطلاني<sup>(١)</sup> عند قوله: «وعمر يكلم الناس يقول لهم: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم».

(وعند ابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>): «أن أبا بكر مرَّ بعمر، وهو يقول: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين، قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم») اهـ.

وفي «السيرة الحلبية»<sup>(٣)</sup>: «ونقل عنه -أي: عن عمر رضي الله عنه- أنه قال: «إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات، ولكن ما مات، ولكن ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ثم رجع إلى قومه بعد أربعين ليلة بعد أن قيل قد مات، والله

(١) في إرشاد الساري: (٦/٤٧٠).

(٢) في مصنفه: (٧/٤٢٧).

(٣) (٣/٥٠٠).

ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران عليه السلام، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم»، ولا زال رضي الله عنه يتوعد المنافقين حتى أزيد شداقه، فقام أبو بكر رضي الله عنه وصعد المنبر، وقال كلاماً بليغاً<sup>(١)</sup>هـ. مثلما تقدم في حديث البخاري [هـ]<sup>(١)</sup>.

فهذا هو المعروف من كلام عمر رضي الله عنه وحاله في كتب الحديث والسير، وبه تحقق أن عمر أنكر موته صلى الله عليه وسلم، وأنه شبه حالته تلك بحالة موسى حين [٢١/أ]أذهب إلى ربه في الطور ورجع إلى قومه، لا بحالة عيسى حين رُفِعَ إلى السماء، وأنَّ أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يوافقته على ما قال، وخطب الناس بما حقق به موته صلى الله عليه وسلم، وأقبل الناس عليه وتلقوا قوله بالقبول حتى عمر.

فكيف يصح بعد هذا ما زعمه القادياني من أن عمر قال: «رفعه الله إليه، كما رفع عيسى»، مريداً أنه مات كما مات عيسى، وأن الصحابة سلموا له ذلك؟! مع أن عمر كان منكرًا لموته أولاً، وأن أبا بكر كان معترفاً بموته، ثم رجع عمر وسائر الصحابة إلى رأي أبي بكر.

وكيف يكون في ذلك حجةً للقادياني على موت عيسى موتاً حقيقياً مع أن عيسى لم يجر له ذكر بين الصحابة أصلاً؟! فما زعمه زورٌ وبهتان، والله المستعان.

**وأما قوله:** وفي «مجمع البحار»: «والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: «مات»، إلى قوله: «ثبت بالقرآن والحديث وإجماع الصحابة واتفاق الأئمة الأربعة أن عيسى عليه السلام مات».

(١) كذا في (الأصل)، ولعل الصواب: «ا هـ».



**أقول:** إن هذا منه يدل على كمال جهالته وحماقته وضلالته، حيث نقل عن «مجمع البحار»<sup>(١)</sup>: «أَنَّ الأكثر على أن عيسى ما مات، فكيف يصح معه الإجماع، ثم ما نسبه إلى «مجمع البحار»<sup>(٢)</sup> من أن مالكا قال بموت عيسى لا تصح روايته عن مالك. وقوله: «إن الأئمة الثلاثة لم يثبت مخالفتهم لمالك» لا حجة فيه أصلاً؛ لأن الأئمة الثلاثة كمالك إنما كانوا بصدد تحقيق مسائل الحلال والحرام لا مسائل المعتقدات؛ فعدم [٢١١/ب] أثبت شيء عنهم في ذلك لا يدل على موافقتهم إياه على موت عيسى على فرض صحة رواية ذلك عن مالك.

وقد علمت أن رواية ذلك عنه لم تصح. ولو سلمنا جدلاً أن الأئمة الأربعة اتفقوا على ذلك لم يكن في ذلك دليلٌ قطعيٌّ على مُدَّعى القادياني، مع مخالفته الجمهور واتفاق الأئمة الأربعة، وإن كان له وقعٌ عظيم في مسائل الدين كلها، ليس بمنزلة إجماع الأمة في كونه حجةً في الظنِّيات والقطعيَّات التي منها مسألة عيسى عليه السلام.

وأيضاً على صحة رواية: أن مالكا يقول بموت عيسى، يحمل على أن معناه أنه مات ساعات من الزمان، ثم أحياه الله ورفعته، كالقول الذي حكي عن ابن عباس -في رواية-، وعن محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup>؛ لأنه لو كان مالك قال

(١) (١/٥٥٢).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) قال القرطبي (ت ٦٧١) في "الجامع": (٤/١٠٠): (وهذا فيه بُعْدٌ، فإنه صح في الأخبار عن النبي ﷺ نزوله وقتله الدجال على ما بيَّناه في التذكرة، وفي هذا الكتاب ...

بموت عيسى موتاً مستمراً حقيقياً لاشتهر هذا القول عنه، وحكاه المفسرون، مع أن أحداً منهم لم يحك ذلك عنه، وبهذا أو بما تقدم تحقق أن لا دليل له على مُدَّعاه، لا في القرآن ولا في الحديث، وأن لا إجماع للصحابة ولا اتفاق للأئمة على ذلك؛ فبطل قوله: «فثبت...» إلخ.

**وقوله:** «والمراد بقوله تعالى: ﴿وَرَأَعُكَ إِلَىٰ﴾ رفعة عمله»، إلى قوله: «وسلمه الصحابة».

قد اتضح لديك بطلانه، وأنه كلام من كان في غاية حماقة والضلالة، فلا داعي إلى إعادة الكلام، إلا أننا نريد هنا أن لو سلمنا أن معنى رفع [٢٢٦/أ] عيسى رفع عمله فقط؛ لأدّى ذلك إلى الخلل في نظم القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٥٧) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**؛ لعدم حسن الإضراب في ذلك حينئذ؛ إذ يكون المعنى: وما قتلوه يقيناً بل رفع الله عمله؛ لوضوح أن رفع عمله ليس مستلزماً لبطلان قتله، حتى يكون إضراباً إبطالياً عنه، فتنبه.

**وقوله:** وأما دفنه، فلحديث: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

**أقول:** قال القسطلاني -في شرح الحديث المذكور<sup>(١)</sup>-: «فإن قلت: إن النصارى ليس لهم إلا نبي واحد، وليس له قبر؟

أجيب: بأن الجمع بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، فإن اليهود لهم أنبياء، أو المراد الأنبياء وكبار أتباعهم، فاكتفى بذكر الأنبياء، وفي مسلم ما

---

والصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس. اهـ

(١) عمدة القاري: (١/٤٣٥).

يؤيد ذلك حيث قال في طريق جندب: «كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد»، أو أنهم كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول، أو الضمير راجع إلى اليهود فقط، أو المراد من أمروا بالإيمان بهم كنوح وإبراهيم وغيرهما» اهـ.

وبتأمل هذه العبارة وما اشتملت عليه من الاحتمالات يظهر لك أن لا دلالة في الحديث على أن لعيسى عليه السلام قبراً دفن فيه في الأرض أصلاً وقطعاً، ويؤيد هذا أنه لا يعرف بين النصارى لعيسى قبر مع إفراطهم في محبته وتحرّيبهم لمآثره كما هو معلوم. [٢٢٦/ب].

**وقوله:** فإذا ثبت موت عيسى عليه السلام ودفنه في الأرض، ولم يرفع بجسده إلى السماء، فكيف ينزل في آخر الزمان؟ فيجب تأويل نزول عيسى، والمراد مجدّد مثيله<sup>(١)</sup>.

**أقول:** قد علمت ممّا ذكرناه من البيان الشافي في بطلان تزويره وتمويهه في مدعاه هذا، أنه لم يثبت موت عيسى عليه السلام، بل تحقق وثبت أنه رفع إلى السماء بروحه وجسده، فكيف يجب تأويل نزول عيسى بأن المراد مجدّد مثيله؟! بل الذي يجب اعتقاده أن عيسى عليه السلام حيٌّ وينزل في آخر الزمان بعينه، كما تقدم مراراً.

**وقول السائل:** ويزعم القادياني أنّه مجدّد مثيله، وهو المسيح بن مريم الموعود<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: انظر: حمامة البشري، ص: ٢٩.

(٢) ومن نقل عنه هذا الادّعاء أبو عبدالرحمن شرف الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩) في عون المعبود: (٣٢/١١) حيث قال: (وادّعى أن عيسى المسيح الموعود في الشريعة

**أقول للقادياني:** إن كان الأمر كما تزعم، فهل عند ظهورك كسرت الصليب وقتلت الخنزير والقردة مع كثرتها في الهند؟ وهل وضعت الجزية<sup>(١)</sup> وقتلت الدجال؟ وهل اتحد الدين في زمانك، ولم يعبد إلا الله؟ وهل فاض المال في زمانك حتى لا يوجد من يقبل الصدقة؟ وهل نزع من الحيات والعقارب السم حتى لعبت بها الصبيان ولم تضرهم؟ وهل رعى الشاة مع الذئب ولم يضرها؟<sup>(٢)</sup>.

بل الذي كان من حالك أنك خضعت لعباد الصليب تحت قهرهم وأنت مريبٌ، ونصبت حبال [٢٣/أ] الاحتيال لجلب الأموال، ونشرت في العباد سمَّ الضلال والفساد، ولم تضع الجزية، بل أتيت بكل فريةٍ ومريةٍ، وصرت كالدئب في الاغتيال لمعالم دين الله المتعال.

---

المحمدية والخارج آخر الزمان لقتل الدجال ليس هو عيسى ابن مريم الذي توفي بل المسيح الموعود مثيله وهو أنا الذي أنزلني الله في القاديان، وأنا هو الذي جاء به القرآن العظيم ونطقت به السنة النبوية، وأما عيسى بن مريم فليس بحي في السماء. اهـ.

(١) يقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري (ت ١٣٥٢) في "العرف الشذي شرح سنن الترمذي": (٤٢٢/٣): (قوله: "يضع الجزية" حكم وضع الجزية لعيسى من النبي ﷺ، وفي الأحاديث الصحاح أن نزول عيسى في المغرب، فما حال الملعون القادياني يدعي أنه ابن مريم؟ والحال أن الملعون ابن وهل هو دجال خرج من المشرق). اهـ.

(٢) يقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري (ت ١٣٥٢) أيضاً في "فيض الباري على صحيح البخاري": (٤٩٠/٣): (وأما لعين القاديان الشقي المتنبئ الكاذب، فلم يوجد فيه شيء من ذلك، لم يحكم بين اليهود والنصارى بشيء، بل أكفر المسلمين، وأعان الصليب، وجمع المال حتى ذاق طينة الخبال. فكيف يدعي أنه عيسى؟!). اهـ.

فكان الأليق بحالك أن تزعم أنك مثل المسيح الدجال؛ فإنك شبيهٌ به في كثير من الخصال؛ إذ لم تنزل في حياتك تتقلب كالحرباء في شؤونك وحالاتك، وأخرجت نصوص الكتاب الجليّة والسنة النبوية عن ظواهرها بالتأويلات الباطلة والتمويهات العاطلة، كدأب أهل الإلحاد والباطنية، الذين هم من أعظم الفتن على البرية، فكما أراح الله منك البلاد والعباد، عاملك بما تستحق يوم التناد.

**وقول السائل:** فهل عيسى عليه السلام مات أو لم يميت؟ وهل دفن في القبر كسائر الأنبياء أم لا؟

**أقول:** قد ذكرنا مراراً فيما سلف من الكلام في هذا الغرض، والمرام أنه قد وقع إجماع أهل السنة من الأئمة<sup>(١)</sup>، المؤيد بنصوص الكتاب وحديث نبي

---

(١) يقول الشيخ أحمد شاکر (ت ١٣٧٧) -رحمه الله- في حاشية له على تفسير الطبري: (٤٥٩/٦): (نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون؛ لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره) اهـ. وانظر -فيمن حكى هذا مذهباً لأهل السنة، ونقله إجماعاً عنهم - : الإمام أحمد (ت ٢٤١) في أصول السنة، ص: ٣٤، ونقلها عنه أبو الحسين بن أبي يعلى (ت ٥٢٦) في طبقاته: (٢٤٣/١)، والطحاوي (ت ٣٢١) في عقيدته كما في شرح ابن أبي العز (ت ٧٩٢): (٧٥٤/٢)، والأشعري (ت ٣٢٤) في مقالات الإسلاميين: (٢٩٥/١)، والقاضي عياض (ت ٥٤٤) في إكمال المعلم على مسلم: (٤٩٢/٨)، ونقله عنه النووي (ت ٦٧٦) في شرحه على مسلم: (٧٥/١٨)، وزين الدين المناوي (ت ١٠٣١) في فيض القدير: (٣٩٩/٥)، وشرف الحق العظيم آبادي (كان حياً قبل ١٣٢٣) في عون المعبود: (٣٠٧/١١)، وعبدالله الصديق الغماري (ت ١٤١٣) في عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام، ص: ١٢، وحمود بن

خير أمة، على أن عيسى عليه السلام رفعه الله إلى السماء بروحه وجسده، ولم يزل حياً حتى ينزل إلى الأرض، ويحيي الإسلام ويمده بمدده، فتمسك بهذا الاعتقاد، وعضَّ عليه بالنواجذ، واتخذ قول القادياني ظهرياً؛ فإنه منابذ.

وما أحسن ما [٢٣/ب] ذكره الإمام أبو طاهر القزويني في «سراج العقول»<sup>(١)</sup> في آخر مبحث «نزول عيسى» حيث قال: «سبحان من رفع المسيح بقدرته إلى السماء، وأغناه عن الطعام وشرب الماء، ثم جعله علماً للساعة، فينزله إلى الأرض الغبراء، مكلفاً بالطاعة فيما بين أهل السنة والجماعة، فَيُسِكِّنُ فتنة الدجال، ويبسط العدل في الرجال، إلى نفخ الصور وانشقاق القبور، إلهي أسبغ علينا سربال الإيمان، وأمناً من نوائب الحدثنان، واحفظنا من فتن آخر الزمان، الأمان يا رحمن».

### المطلب السابع

في ذكر بعض إشكالات أوردتها القادياني في رسالته "حمامة البشرية" ولم تذكر في السؤال، وأوردتها بعض تلامذته في رسالته "إيقاظ الناس" وأقرها القادياني والجواب عنها

فمن ذلك: استشكال ما وقع في الحديث الذي رواه مسلم<sup>(٢)</sup> في قصة تميم الداري رضي الله تعالى عنه ورؤيته للدجال في جزيرة، وسؤال الدجال عن نخل بيسان وبجيرة طبرية وغيرهما، وإخباره بأن نخل بيسان توشك أن لا

---

عبدالله التويجري (ت ١٤١٣) في إقامة البرهان في الرد على من أنكروا خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، ص: ٧.

(١) ص: ٢٣٠ ب من المخطوط.

(٢) في صحيحه، كتاب الفتن وأشرط الساعة: (٤/٢٢٦٥).

تثمر، وعن بحيرة طبرية أن ماءها يوشك أن يذهب، وبأن أموراً أخرى تقع منه ومن غيره في مستقبل الزمان، بأن هذا إخبارٌ بالغيب.

وقد قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿الآية [الجن: ٢٦-٢٧]، واستشكال ما يقتضيه هذا الحديث [٢٤/أ] من وجود الدجال في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، مع بقائه إلى أن يخرج في آخر الزمان، وقد ورد في «الصحيحين»<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

**والجواب عن الإشكال:** أنه قال الله تعالى في حق الشيطان: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١١٨) وَلَا أُضِلَّهُمْ وَلَا أَمْتِيَنَّهُمْ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلَئِمَّتْ كُنَّ عَازَاتِ الْأَنْعَمِ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلَئِمَّتْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿النساء: ١١٨-١١٩﴾، وقال تعالى حكاية عنه أيضاً: ﴿قَالَ فِيمَا آَعُوَيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَأَنْتَبَهُنَّ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿الأعراف: ١٦-١٧﴾، فدلَّت الآيات على أن إبليس أخبر بما يقع في مستقبل الزمان، وقد وقع كما أخبر، وهو غيبٌ.

ولا ريب أن إبليس كان موجوداً في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وهو نفسٌ منفوسةٌ بلا ريب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: السمر في الفقه والخير بعد العشاء: (١٢٣/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: (٤/١٩٦٧)، واللفظ له.

يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، ولا شك أن إبليس باقٍ إلى يوم البعث، فما يجيب به القادياني عن الأمرين المذكورين في شأن إبليس فهو جوابنا عنهما في شأن الدجال.

وأجيب عن مسألة البقاء بجواب آخر<sup>(١)</sup>، كما أجاب به من قال بأن الخضر نبيٌّ معمرٌ محبوبٌ عن الأبصار، وأنه باقٍ إلى يوم القيامة؛ لشربه من ماء الحياة، كما هو الصحيح، وعليه الجماهير واتفاق [٢٤/ب] الصوفية وإجماع كثير من الصالحين<sup>(٢)</sup>؛ فإنهم أجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مئة سنة ممن هو عليها اليوم أحد»، بأن عمومه مخصوصٌ بالخضر<sup>(٣)</sup>، وأجابوا بغير ذلك، فأقول: إن الحديث المذكور عمومه مخصوصٌ بالدجال وأمثاله.

**ومنها:** استشكل حديث «رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للدجال واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت»، بأن ذلك يقتضي أن

---

(١) لو أعرض عنه رحمه الله لكان أولى؛ لأنه غير سالم من الاعتراض، ولاندفاع الإشكال بالجواب الأول، والمؤلف معذور في إيراده؛ لأنه في مقام محاجة ومناظرة، فيورد ما استطاع إليه سبيلاً من أجوبة قوية وضعيفة لأجل الدفع والرد.

(٢) وممن أظن في هذا المعنى: أبو بكر النقاش (ت ٣٥١)، انظر: المحرر الوجيز: (٣/٥٣٧)، وصححه القرطبي (ت ٦٧١) في تفسيره: (١١/٤١)، وذهب إليه النووي (ت ٦٧٦) في شرحه على مسلم: (١٥/١٣٥، ١٦/٩٠، ١٨/٧٢)، وحكاه مذهباً لجمهور العلماء، ونقل اتفاق الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة عليه.

(٣) كما في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١/٤٢)، وانظر في إسقاط كلامه رداً للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣) في أضواء البيان: (٣/٣٣٣).



يكون الدّجال مسلماً مؤمناً.

**أقول في الجواب عن هذا:** إن القادياني وتلميذه قد غفلا عن قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وعن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»<sup>(١)</sup>، فما المانع أن يكون الدّجال في أول أمره مؤمناً، ثم يضلّه الله فيدّعي النبوة، ثم يزداد ضلالاً فيدّعي الربوبية؟!

وقد ورد في الأحاديث الواردة في قصته عند ظهوره أنه يظهر أولاً الإيمان والتقوى، ثم بعد ذلك يدّعي النبوة، ثم يدّعي الربوبية، كما مر ذكره. **ومنها:** استشكال صحة نزول عيسى بأنه من الأمور العظيمة، ولو كان حقاً لذكره الله تعالى في القرآن وفصله، كما قصّ على نبيه قصص ٢٥١/أ[يوسف وأهل الكهف<sup>(٢)</sup>].

**والجواب عن ذلك:** بأن هذه الملازمة غير صحيحة؛ إذ لو كان كذلك لزم أن يكون في القرآن ذكر كل أمر عظيم وقع فيما مضى، أو يقع في مستقبل الزمان، مع أننا نجد أموراً عظيمة شتى وقعت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وليس في القرآن ذكرها وتفصيلها، كالفتن العظيمة التي وقعت في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكفتنة التتار التي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يقول فلان شهيد:

(٣٧/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١٠٦/١).

(٢) انظر: حمامة البشرى، ص: ٢٨ - ٢٩.

لا نظير لها في العظم، من لدن آدم إلى يومنا هذا، وكوقعة الصليب التي وقعت في زمن السلطان صلاح الدين بن أيوب، وهي من أعظم الوقائع، وغير ذلك، فطلت الملازمة.

وسبب ذكر قصة يوسف وأهل الكهف في القرآن سؤال السائلين عنهما، كما هو معلوم في أسباب النزول، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

على أن الكتاب العزيز والسنة النبوية توأمان؛ لأن السنة النبوية وحي من الله أيضاً، وإنما الفرق بينهما: أن الكتاب العزيز وحي باللفظ والمعنى، والسنة النبوية وحي بالمعنى فقط، وهو صلى الله عليه وسلم يعبر عنه بجوامع كلمه التي أوتيها، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة بنزول عيسى، وما [٢٥/ب] يقع عند ذلك من الأمور العظام، وفي ذلك كفاية.

مع أنه تقدم فيما سلف من كلامنا، أن المفسرين قالوا إن قوله تعالى: ﴿وَاتَّعَتْهُ لِعَالَمٍ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] إشارة إلى نزوله في آخر الزمان<sup>(١)</sup>،

---

(١) انظر: جامع البيان: (٦٣١/٢٠ - ٦٣٣)، تفسير ابن أبي حاتم: (٣٢٨٥/١٠)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (٣٤١/٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره: (٦٦٨٦/١٠)، تفسير القرآن، للسمعاني: (١١٢/٥)، معالم التنزيل، للبغوي: (٢٩١/٧)، زاد المسير: (٨٢/٤)، الجامع لأحكام القرآن: (١٠٥/١٦)، تفسير ابن كثير: (٤٦٥/٢)، الدر المنثور في التفسير بالمشهور: (٣٨٧- ٣٨٥/٧).

ونقلوا أيضاً عن الحسين بن الفضل البجلي أن قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] نصٌّ في نزوله<sup>(١)</sup>، وتقدّم أيضاً أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أن المراد أنهم يؤمنون به بعد نزوله وقبل موته كما ذهب إليه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره من المفسرين<sup>(٢)</sup>، ومر بيان ترجيحه، وبالله التوفيق.

**ومنها:** استشكال نزول عيسى في آخر الزمان، بأنه يترتب عليه أن يكون بعد نبينا صلى الله عليه وسلم نبيُّ يوحى إليه، فلا يكون خاتم النبيين؛ بل يلزم على ذلك أن يكون عيسى هو خاتم النبيين، وبأن عيسى إذا نزل ووضع الجزية -أي: لم يأخذها- كان ذلك ناسخاً لبعض الشريعة المحمدية؛ لأنها أمرة بأخذ الجزية<sup>(٣)</sup>.

**والجواب عن الشق الأول:** بأن المنفي وجود نبيٍّ بعده صلى الله عليه وسلم لم يكن نبياً قبله صلى الله عليه وسلم ومحيء نبيٍّ من الأنبياء السابقين برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بشرعه صلى الله عليه وسلم، فهذان الأمران منفيان، لا يكونان لأحد بعده، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نبيَّ بعدي»<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(١) نقله عنه: أبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧) في الكشف والبيان: (٦٧/٣)، وأبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨) في البسيط: (٢٦٣/٥)، وأبو محمد البغوي (ت ٥١٦) في معالم التنزيل: (٣٨/٢).

(٢) كمجاهد، والحسن، وقتادة، وغيرهم. انظر: جامع البيان: (٦٦٣/٧ - ٦٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم: (١١١٤/٤)، تفسير السمعاني: (٥٠٠/١)، معالم التنزيل: (٣٠٨/٢)، تفسير ابن كثير: (٤٧/٢).

(٣) انظر: حماسة البشري، ص: ١٩ - ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (١٦٩/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة: (١٤٧١/٣).

والمثبت هو وجود نبي اتصف بالنبوة قبل مبعثه، وتقررت [٢٦/أ] له، فهو مستمرٌ على صفة النبوة التي أنعم الله بها عليه، لا ينسلخ عنها لا في الدنيا ولا في الآخرة، غير أنه لا يتجدد له وحيٌّ بأمرٍ أو نهيٍّ جديد، وإنما غاية أمره أن يتبع شرع خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا شأن عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله؛ فلا يلزم من ذلك كون عيسى خاتم النبيين.

**والجواب عن الشق الثاني:** بأنه صلى الله عليه وسلم قد بينَ فيما صحَّ

عنه: «أن عيسى عليه السلام عند نزوله يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»، وقرر ذلك ولم ينكره فعلمَ من ذلك أن وجوب أخذ الجزية في شريعته صلى الله عليه وسلم غاية نزول عيسى عليه السلام، وأنه بعد ذلك لا يجب أخذها.

فوضع عيسى للجزية من شرعه صلى الله عليه وسلم لا ناسخ له، وقد تقرّر في قواعد الأصول: «أن كل ما أطلع عليه صلى الله عليه وسلم وأقرّه ولم ينكره كان شرعاً له»، كما لا يخفي على الحبير بذلك؛ فأتضح أنّ عيسى عليه السلام لا يُحدِثُ أمراً جديداً يكمل به الإسلام، فالإسلام قد كمل في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم، وما يفعله عيسى فهو من ذلك الإسلام الكامل.

وصدق قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وبطل

قول القادياني: «أولا ينظرون إلى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ولا يتفكرون أنه لو كانت لتكميل دين الإسلام حالة منتظرة يرجى ظهورها بعد

انقضاء ألوف من [٢٦ب/السنوات، لفسد معنى إكمال الدين...] إلخ ما قال من السفسطة والهديان<sup>(١)</sup>.

**ومنها:** قوله: «فكان الواجب أن ينزل في هذا الوقت، فإن الأمم قد هلكت بمكائد النصرارى، والقعود على السموات مع ضلالة أهل الأرض وفساد أمته شيءٌ عجيب...» إلخ<sup>(٢)</sup>.

**والجواب عنه:** أن هذا محض تحكّم على البارى-سبحانه وتعالى-الذي لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ألا يرى القاديانى صبر الله تعالى على قوم نوح، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الإيمان وهم يصرون على كفرهم إصراراً، ويؤذونه أشدّ الأذى، ويسخرون منه، ويستهنئون به، إلى أن جاء أمر الله وفار التنور فأغرقهم أجمعين بدعوته.

وصبره تعالى على بنى إسرائيل قروناً طويلة، نحواً من ألف وثمانمائة سنة وهم يؤذون الأنبياء ويقتلونهم بغير حق، ثم انتقامه منهم، بتسليط بختنصر وجنوده عليهم، وصبره على قريش وأذاهم له صلى الله عليه وسلم، أو لا يدري أن لكلّ أجلٍ كتاباً، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]!

ولو فرضنا أن القاديانى -كما زعم- هو المسيح الموعود به، فأبى عزة كانت للإسلام؟! وأبى ذلة كانت للكفر؟! وأبى فتنة محابها؟! وأبى فساد أزاله،

(١) انظر: حمامة البشرى، ص: ٢٠ - ٢١.

(٢) حمامة البشرى، ص: ٢٧.

وكانت علامة [٢٧/أ]الصدقه عند ظهوره؟! بل كان الأمر بعكس ذلك، كما  
تقدم إيضاحه.

هذه أمهات إشكالاته المزخرفة ومقالاته المحرفة، فمن اطلع على أجوبتنا  
عنها هاهنا، سهل عليه الجواب عمّا عداها، وبالله المستعان.

\* \* \*

## خاتمة

### في بيان حكم القادياني الذي جمعنا لأجل السؤال عنه هذه العجالة وحققنا بها أحواله

اعلم أنني قد تأملتُ ودققتُ النظر في أحواله ، وفيما يأتي ويذر من أقواله وأفعاله ؛ فوجدته يتلَوُّ نفيما يفعل ويقول ، كما تتلَوُّ في ثيابها الغول ، وأهدى من القطا إذا سلك سبل الضلالة وخطا ، وأضلُّ في الحسنى من الغراب ، وأكذب من لوامع السراب ، ويزخرف في خطابه القول ، ويعظم على السامع الهول ، بعبارات سقيمة ، ومقدمات عقيمة ، فتسمع جعجعةً ولا ترى طحناً ، وقععةً ولا تبصر ضرباً ولا طعناً.

ويجلو أكاذيبه المخلوقة في حلال من التمويهات ، مخروقة كالبعر المفضض ، والكنيف المبيض ، ولا يدري أن الناقد بصير ، وأن الزيف والبهرج لا يروجان عند الخبير ، ويمشي مكباً على وجهه ، ويظن أنه على صراط مستقيم ، ويتبع شيطانه وهواه وهما يهديانه إلى سواء الجحيم.

يقول تارة : إنه مجددٌ للدين أصوله وفروعه ، وأخرى : إنَّ الله سمَّاه المسيح بن مريم ، [٢٧/ب] وإنه نفث في روعه ، وإنه يحدِّثه ويكلِّمه ويرشده ويعلمه ، ويخرج نصوص الكتاب والسنة عن ظواهرها ، ويحوِّل معانيهما عن مواردها ومصادرها ، ويرمي من خالفه بأنهم كاليهود والنصارى ، ولا يشعر أنه ممن استهوتهم الشياطين حيارى.

إنه ما ربح تجارته ، وعظمت خسارته ، فما مثله فيما ادَّعاه في رسالته «الحمامة» ، إلا مثل مسيلمة الكذاب باليمامة ، وأمره بين البدعة والكفر يصبغ ويمسي ، واستحكم فيه الضلال كما استحكم في الأسود العنسي ، أولى

له فأولى، ما أجدره بقول كعب بن زهير وأولى<sup>(١)</sup> :  
 فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا \* \* كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْيَابِهَا الْغُولُ  
 وَلَا تَمَسُّكَ بِالْوَعْدِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي زَعَمْتَ \* \* إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَايِلُ  
 وأنا أنقل لك أولاً عباراتٍ له في رسالته المذكورة، من مواضع متعددة  
 تدلُّ على صدق ما ادّعيناه فيه، فمنها: قوله: «نفث في روعي»<sup>(٣)</sup>، وقوله:  
 «وأتاني من لدنه العلوم الإلهية والمعارف والنكات، وشفعها الآيات»<sup>(٤)</sup>،  
 وقوله: «إن ربي قد تجلّى عليّ لتأييد الإسلام وتجديده بأخصّ التجليات»<sup>(٥)</sup>.  
 وقوله: «فألهمني ربي مبشراً بفضله من عنده، وقال: إنك من  
 المنصورين»<sup>(٦)</sup>، وقال: «يا أحمد بارك الله فيك، ما رميت إذ رميت  
 [٢٨/أ]ولكن الله رمى، لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل  
 المجرمين»<sup>(٧)</sup>.

وقال: «قل إن افتريته فعلي إجرامي، هو الذي أرسل رسوله بالهدى  
 ودين الحق ليظهره على الدين كله، لا مبدل لكلمات الله، وإنا كفييناك

(١) كما في ديوانه برواية أبي سعيد السكري، ص: ٨.

(٢) ويروى: "بالعهد". انظر: شرح ديوان كعب بن زهير، ص: ٨.

(٣) انظر: حماسة البشرى، ص: ١.

(٤) المصدر السابق، ص: ٥.

(٥) المصدر السابق، ص: ٧.

(٦) المصدر السابق، ص: ٧.

(٧) المصدر السابق، ص: ٧.



المستهزئين»<sup>(١)</sup>، وقال: «أنت على بينة من ربك، رحمةً من عنده، وما أنت بفضلته من مجانين، ويخوفونك من دونه، إنك بأعيننا، سميتك المتوكل يحمذك الله من عرشه، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، فأدخل الله سبحانه معشر علماء الإسلام الذين تشابه الأمر عليهم كاليهود»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وكنت أظن بعد هذه التسمية أن المسيح الموعود به خارج، وما كنت أظن أنه أنا حتى ظهر السرُّ المخفي الذي أخفاه الله على كثيرٍ من عباده؛ ابتلاء من عنده، وسماني ربي: عيسى بن مريم في إلهام من عنده، وقال: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، إنا جعلناك عيسى بن مريم، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق، وأنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، وإنك اليوم لدينا مكين أمين»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «ومن جعلتها إلهام آخر خاطبني ربي فيه، وقال: إني خلقتك من جوهر عيسى، أو إنك وعيسى من [٢٨/ب] جوهر واحدٍ كشيء واحد، ومن جعلتها إلهامٌ سمى فيه كلٌّ من خالفني من العلماء اليهود والنصارى»<sup>(٤)</sup>.

**ومنها:** حكمه بسخافة الرأي على من اعتقد أن عيسى ما مات، وأنه

(١) المصدر السابق، ص: ٧ - ٨.

(٢) المصدر السابق، ص: ٨.

(٣) انظر: حماسة البشرى، ص: ٨.

(٤) المصدر السابق، ص: ١٤، الطبعة الحديثة.

يموت بعد نزوله<sup>(١)</sup>.

**ومنها:** قوله: «وقد فتحت علي أبواب إلهاماته، وأنا يومئذ ابن أربعين، فما تركني ولا ودعني وما أضاعني، بل خصصني بالتحديث والمكاملة، وأمرني لأتم حجته على المتنصرين»<sup>(٢)</sup>.  
هذا آخر ما أردنا نقله عن رسالته.

وبعد هذا نقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية [الأنعام: ١١٣]، قال الإمام ابن جرير في «تفسيره»<sup>(٣)</sup>: «يعني جل ذكره بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ومن أخطأ قولاً وأجهل فعلاً، مِمَّنْ افترى على الله كذباً [يعني: <sup>(٤)</sup> مِمَّنْ اختلق على الله كذباً، فادّعى عليه أن بعثه نبياً وأرسله نذيراً، وهو في دعواه مبطلٌ، وفي قيله كاذب».

وقال العلامة النيسابوري<sup>(٥)</sup>: «قال المفسرون: نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني، فأوحى الله إلي أن

(١) المصدر السابق، ص: ١٣.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٧.

(٣) (٤٠٤/٩).

(٤) زيادة ساقطة من المصدر.

(٥) مستدلاً بهذه الآية على الوعيد على من ادّعى النبوة وإنزال الكتاب عليه فرية وامتراء. انظر: غرائب القرآن وورغائب الفرقان: (١٢١/٣).

أنفخهما فنفختهما فطارا عني، فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما، كذاب اليمامة مسيلمة، وكذاب صنعاء الأسود العنسي». أو قال: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، كان مسيلمة يقول: [٢٩/أ] «محمد صلى الله عليه وآله رسول الله في بني قريش، وأنا رسول الله في بني حنيفة».

واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من نسب إلى الله تعالى ما هو بريء منه، إما في الذات، وإما في الصفات، وإما في الأفعال كان داخلاً تحت عموم هذا الوعيد: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، قال المفسرون: «هو النضر بن الحارث، كان يدعي معارضة القرآن، وهو قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَفُكِّنَّا مِثْلَ هَذَا﴾»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال العلامة ابن حجر في «الإعلام»<sup>(٢)</sup> نقلاً عن «الروضة»<sup>(٣)</sup>، عن القاضي عياض<sup>(٤)</sup>: «أو ادعى أنه يوحي إليه، وإن لم يدع النبوة، أو ادعى أنه يدخل الجنة، ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور، فهو كافرٌ بالإجماع قطعاً، وأن من دافع نص الكتاب والسنة المقطوع المحمول على ظاهره، فهو كافرٌ بالإجماع».

(١) المصدر السابق.

(٢) ص: ١٦٤.

(٣) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي: (٧٠/١٠)، فإنه نقله عن شفاء القاضي عياض (ت ٥٤٤) من محال متعددة، وإلا فصاحب الشفاء لم يسقه كذلك، وهو كلام نفيسٌ مشتمل على فوائد كما قال ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) في أعلامه، ص: ١٦٥.

(٤) انظر: الشفاء: (٢/٢٨٥-٢٩١).

وقال ابن حجر بعد ذلك: «ومحلُّه ما إذا زعم أنه [أنه]<sup>(١)</sup> يوحى إليه بنزول ملك عليه، وإلا فالذي ينبغي أنه لا يكفر، والظاهر أيضاً أن معنى قوله: «المحمول على ظاهره»، أي: بالإجماع<sup>(٢)</sup>، ونقل عن «الأنوار»<sup>(٣)</sup>: أن من المكفرات قول من قال: إنه يرى الله عياناً في الدنيا ويكلمه شفاهاً<sup>(٤)</sup>.

وذكر بعد ذلك أنه لا يشترط في كفر من زعم أنه يرى الله عياناً في الدنيا ويكلمه شفاهاً اجتماع هذين، خلافاً لما توهمه عبارة «الأنوار»، بل يكفر زاعم أحدهما.

ثم رأيت الكواشي<sup>(٥)</sup> صرَّح في «تفسيره» بكفر معتقد الرؤية بالعين، وهو

(١) زيادة ساقطة من المصدر.

(٢) انظر: الأعلام، ص: ١٦٧ "بتصرف من المؤلف في النقل".

(٣) الأنوار لأعمال الأبرار، يوسف بن إبراهيم الأردبيلي: (٢٨٢/٣)، ونصه: «ولو قال إنني أرى الله عياناً في الدنيا ويكلمني شفاهاً كفر» ١هـ.

(٤) انظر: الأعلام، ص: ٢٠٤.

(٥) هو موفق الدين، أبو العباس، أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، الكواشي، الموصلية، الشافعية، إمام مقرئ ومفسر، وفقهه، ومحدث. قرأ على والده والسخاوي. يقول عنه ابن العديم (ت ٦٦٠) -وهو من أعرف الناس به، حيث زاره غير مرة بالموصل ورآه واستجازه -: (رجل من الصالحين الأخيار، والأولياء الأبرار، عالم فاضل، فقيه كامل، عارف بالنحو والتفسير، وسمع الحديث اليسير) ١هـ.

وله من التصانيف: التفسير الكبير، والصغير، جوّد فيه الإعراب، وحرّر الوقوف، وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤) في تفسيره، والسيوطي (ت ٩١١) أيضاً في تكملته، ونقل منه ابن عاشور (ت ١٣٩٤) في تفسيره. مات سنة ثمانين وستمائة.

صريحاً فيما ذكرته<sup>(١)</sup>، ونقل [٢٩١/ب] فيه أيضاً عن بعض الحنفية<sup>(٢)</sup> أن من المكفرات من قال: فلان في عيني كيهودي في عين الله، أو قال: يد الله وعنى الجارحة، أو قال: الله تعالى في السماء عالم، أو على العرش، وعنى به المكان، أو قال: ينظر إلينا ويبصرنا من العرش<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «وما ذكره فيمن قال: فلان في عيني... إلخ، من أنه كفر اتفاقاً، فيه نظر، وكذا في إطلاق الكفر-أي: على من ذكر بعد ذلك- لأنه إنما يأتي بناءً على تكفير الجسمة والجهوية، ومر ما فيه من الخلاف والتفصيل<sup>(٤)</sup>.

---

انظر ترجمته في: بغية الطلب في تاريخ حلب: (١٢٦١/٣)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، لابن الفوطي: (٥٩٣/٦)، المعين في طبقات المحدثين، ص: ٢١٦٠، تاريخ الإسلام: (٣٨٥/١٥)، تذكرة الحفاظ: (١٧١/٤)، معرفة القراء الكبار: (٣٦٨/١)، المنهل الصافي: (١٧٧/١)، بغية الوعاة: (٤٠١/١)، الأعلام: (٢٧٤/١).

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٢٠٤- ٢٠٥.

(٢) وفي كتبهم اعتناء تام بتفصيل الأقوال والأفعال المقتضية للكفر كما في الأعلام، ص: ١١٠.

(٣) انظر: الأعلام، ص: ١٣٨ "بتصرف".

(٤) انظر: الأعلام، ص: ١٣٨ "بتصرف".

ذكر في نصه هذا مُسمَّيان، هما: "المجسِّمة" و"الجهويَّة"، ولا يخفى أنهما نيزان ينبز نفاة الصفات بهما من أثبت شيئاً منها، ويُقالان عندهم في حق مثبتيهما، وشحنوا بهما كتبهم، انظر: بيان تلبس الجهميَّة: (٣٩٤/٥)، درء تعارض العقل والنقل: (٢٤٩/١، ٢٥٠/١٠)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: (٨٦/١).

وقال ابن حجر أيضاً في «فتاواه الحديثية»<sup>(١)</sup>، في جواب سؤال عن قوم يعتقدون في رجل مات منذ أربعين سنة أنه المهدي الموعود بظهوره آخر الزمان، وأن من أنكر كونه المهدي المذكور فقد كفر، قال: «إن هذا اعتقادٌ باطلٌ، وضلالةٌ قبيحةٌ، وجهالةٌ شنيعةٌ، أما الأول فلمخالفته لصريح الأحاديث التي كادت تتواتر بخلافه كما ستملى عليك، وأما الثاني؛ فلأنه يترتب عليه تكفير الأئمة المصرّحين في كتبهم بما يُكذّب هؤلاء في زعمهم، وأن هذا الميّت ليس المهدي المذكور، ومن كفر مسلماً لدينه، فهو كافر مرتدٌ يضرب عنقه إن لم يتب، وأيضاً فهؤلاء منكرون للمهدي الموعود به في آخر الزمان، وقد ورد في حديث عند أبي بكر الإسكافي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر»، وهؤلاء مكذبون به صريحاً، فيخشى عليهم الكفر» اهـ.

وبعد [٣٠٦/أ]سماعك لهذه النصوص فنقول في بيان حكم القادياني من كفر أو عدم كفر:

قد تقدّم في جملة العبارات التي نقلناها عن رسالته «حمامة البشرى» أنه قال عن ربه: «سميتك المتوكل يحمذك الله من عرشه»<sup>(٢)</sup>، وقال: «وقد فتحت علي أبواب إلهاماته، وأنا يومئذ ابن أربعين فما تركني ولا ودعني وما أضاعني، بل خصصني بالتحديث والمكالمة»<sup>(٣)</sup>، وقال: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، فأدخل الله

(١) ص: ٢٦- ٢٧.

(٢) حمامة البشرى، ص: ٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص: ٥٦، الطبعة الحديثة.

سبحانه في لفظ اليهود معشر علماء الإسلام الذين تشابه الأمر عليهم كاليهود<sup>(١)</sup>.

فالعبرة الأولى ظاهرة في إثبات الجهة، وفي مثبت الجهة خلاف بين علماء الإسلام<sup>(٢)</sup>، فقال قومٌ بكفره؛ لأنه مستلزمٌ لإثبات الاتصال والانفصال لذاته تعالى، والأصح عدم كفره؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب، ما لم يكن إليه يذهب.

والعبرة الثانية صريحة في دعوى أن الله يحدّثه ويكلّمه، فإن أراد أنه تعالى يحدّثه ويكلّمه شفاهاً كان كافراً بالاتفاق.

والعبرة الثالثة ظاهرة في جعل علماء الإسلام من اليهود والنصارى، فإن أراد بذلك أنهم من اليهود والنصارى -أي: كفارٌ- كان كافراً لما تقدّم عن ابن حجر: أن من كفر مسلماً لدينه فهو كافر مرتدٌ يضرب عنقه إن لم يتب.

**فحاصل الحكم فيه:** أنه إن تحققت فيه هذه الأمور المكفرة كان كافراً، وإلا فهو مبتدعٌ ضالٌّ.

**فإن قلت:** إذا [ب/٣٠] كان متصفاً بشيء من الصفات المكفرة، فهل يكون بقوله في بعض مواضع من رسالته المذكورة<sup>(٣)</sup>: «وبعزة الله وجلاله إني مؤمن مسلم، وأؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته، والبعث بعد الموت، وبأن

(١) المصدر السابق، ص: ٢٣.

(٢) انظر جواباً لتقي الدين ابن تيمية الحرّاني -رحمه الله- في مجموع فتاويه:

(٢٦٢/٥) عمّن يعتقد الجهة هل هو مبتدعٌ أو كافرٌ أو لا؟

(٣) انظر: حمامة البشرى، ص: ٨، ٨٣.

رسولنا محمداً المصطفى صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وخاتم النبيين»  
راجعاً عن كفره إلى الإسلام؟

**قلت:** لا يكون راجعاً عن الكفر إلا بعد التبرؤ منه؛ لما قاله العلامة ابن حجر أيضاً في «الإعلام»<sup>(١)</sup> نقلاً عن بعض فقهاء الحنفية من: أنه لا يكفي لتجديد الإيمان مجرد لفظ الشهادة، بل لابد معه من التبرؤ مما كفر به، وواقفه على ذلك، وقال: «إنه موافقٌ لمذهبنا».

وإذا تأمل الناقد البصير، المؤيد بنور التوفيق من اللطيف الخبير، في الباعث لأحمد القادياني على تلك المختلقات، والحامل له على ما أتى به من البدع والتلييسات، بإنكاره نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقتله الدجال ذا الفتن والطغيان، علم أنّ غايته أن يمهدّ لنفسه أنه المسيح الموعود به في الأخبار، فيكتسب بذلك بين الجهلة كمال الاشتهار، وينظر إليه بعين التعظيم والاحترام، ويقدم على من سواه من الخاص والعام، مع عدم خشيته من سلطانٍ قاهر، يردع النفوس الخبيثة عن غيِّها بالسيف الباتر، حتى لا تكون فتنة ويكون لله الدين الخالص، وتسلم مناهج الدين عن انتقاص كل ناقص، فعثر عشرته التي لا تُقال، وسلك [٣١/أ] مسلكه الذي ينتهي به إلى أشدّ الوبال، والله در القائل<sup>(٢)</sup>:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى \* \* \* حتى يراق على جوانبه الدم

---

(١) ص: ١٣٨، وقال: (فينبغي التنبيه لهذه المسألة، فإنها مهمة، كثيراً ما يغفل عنها ويظن أن من وقع في مكفر مما مرّ أو يأتي، يرتفع حكمه عنه بمجرد تلفظه بالشهادتين، وليس كذلك، بل لابد مما ذكر) اهـ.

(٢) وهو أبو الطيّب المتنبي، كما في ديوانه، ص: ٢١٨.



فينبغي لكل مؤمن يفرُّ بدينه ويعتصم بيقينه ، أن يجتنب هذه التلبسات كل الاجتناب ، وينزّه قلبه وسمعه وبصره عن موجبات الكفر والارتياب ، ويتمسك بما عليه السواد الأعظم ؛ فإنه الصراط المستقيم والدين الأقوم .  
وفي هذا القدر كفاية لمن كان ذا فهم وعناية ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وكل من اجتباه ولباه .

قال مؤلفه السيد أحمد ابن المرحوم السيد إسماعيل البرزنجي عفا الله عنه : وقع الفراغ من جمعه لسبع مضيّن من ذي القعدة الحرام ، عام ثمانية وعشرين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له كمال العز والشرف ، ببلدته طيبة الطيبة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

## ثبت المصادر والمراجع

١. الأحاديث المختارة، محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: بن دهب، د. عبد الملك ابن عبد الله. نشر دار خضر، بيروت - لبنان، ط. الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. ابن حبان، محمد بن حبان البستي. ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق وتخرّيج وتعليق: شعيب الأرنؤوط. ط. الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.
٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القسطلاني، أحمد بن محمد، ط ٧، مصر: المطبعة الأميرية، ١٣٢٣هـ.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود، محمد بن محمد مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٥. الأشباه والنظائر، السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١١هـ.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.
٧. الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي. تحقيق: محمد عواد العواد. ط الأولى، سوريا: دار التقوى، ١٤٢٨هـ.
٨. الأعلام، قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. الزركلي، خير الدين. ط ١٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
٩. الأنوار لأعمال الأبرار، الأردبيلي، يوسف بن إبراهيم. تحقيق: خلف مفضي المطلق، دار الضياء - الكويت، ط. الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٠. تاريخ دمشق. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تحقيق: عمرو بن غرامة العمري. دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١١. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الكشميري، محمد أنور شاه. ترتيب الشيخ محمد شفيح. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط٦، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ.
١٢. تفسير الجلالين. للإمام المحلي، محمد بن أحمد. والإمام السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. ط الأولى، القاهرة: دار الحديث.
١٣. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي سلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
١٤. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد - سوريا، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٥. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، محمد بن إسماعيل. تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار السلام - الرياض، ط الأولى، ١٤٣٢هـ.
١٦. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. دائرة المعارف العثمانية - الهند، ط الأولى، ١٣٢٦هـ.
١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، يوسف بن عبد الرحمن. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.
١٨. الثقات، ابن حبان، محمد بن حبان البستي. دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند، ط الأولى، ١٣٩٣هـ.
١٩. الجامع (ملحق بمصنف ابن أبي شيبة) ابن راشد، معمر. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط٢، المجلس العلمي: باكستان، ١٤٠٣هـ.

٢٠. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، الجزري، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط والتتمة بشير عيون، نشر: مكتبة الحلواني - مكتبة دار البيان، ومطبعة الفلاح.
٢١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: د. عبد الله التركي. ط الأولى، دار هجر، ١٤٢٢هـ.
٢٢. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط الأولى، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية) ١٤٢٢هـ.
٢٣. **الجامع في العلل ومعرفة الرجال**. لأحمد بن حنبل، رواية المروزي وغيره، تحقيق: د.وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباي - الهند، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٤. **الجامع لأحكام القرآن**. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.
٢٥. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. البيطار، عبد الرزاق بن حسن. تحقيق: محمد بهجة البيطار، ط ٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٣هـ.
٢٦. **الرسالة اللطيفة المشتملة على معارف القرآن ودقائقه، المسماة بـ "حمامة البشرية إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى"**. القادياني، غلام أحمد. مطبعة غلام القادر الفصيح السيالكوئي، ١٣١١هـ، طبعة أخرى: الطبعة الحديثة، ١٤٢٨هـ.
٢٧. **السنن**. أبو داود، سليمان بن الأشعث. تحقيق: محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

٢٨. السنن. الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة. ط ٢، مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ.
٢٩. العرف الشذي شرح سنن الترمذي. الكشميري، محمد أنور شاه. دار التراث العربي، بيروت - لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ.
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٣١. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن. تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣٢. الفتن. نعيم بن حماد، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٣. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخة والمسلسلات، الكتاني، عبدالحفي بن عبد الكبير. باعثناء الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٣٤. فيض الباري على صحيح البخاري. الكشميري، محمد أنور شاه. تحقيق: محمد بدر عالم المهيرتي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٦هـ.
٣٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. الذهبي، محمد بن أحمد. تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن - جدة، ط. الأولى، ١٤١٣هـ.
٣٦. الكامل في ضعفاء الرجال. الجرجاني. أبو أحمد بن عدي. تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض وعبد الفتاح أبو سنة. ط الأولى، بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٣٧. لطائف الإشارات. للإمام القشيري، عبد الكريم بن هوازن. تحقيق إبراهيم البسيوني. ط٣، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٣٨. المستدرک على الصحيحين. الحاكم، محمد بن عبد الله. تحقيق: مصطفى عبدالقادر. ط الأولى، بيروت: دار المكتبة العلمية، ١٤١١هـ.
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعامل مرشد وآخرون، وإشراف د. عبد الله التركي، ط الأولى، الرسالة، ١٤٢١هـ.
٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول ﷺ القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن. البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش. ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ.
٤٢. المعجم الأوسط. الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: طارق بن عوض الله، عبدالمحسن الحسيني. القاهرة: دار الحرمين.
٤٣. المعجم الكبير. الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
٤٤. معجم المؤلفين. كحّالة، عمر رضا. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

\* \* \*

Al-San`āni, M. I. (1432 AH). Al-Tanwīr Fi SharH Al-Jāmi` Al-Saghīr (1st ed.) (M. I. M. Ibrahīm, Ed.). Riyadh: Dār Assalām.

Al-Shaybāni, A. M. H. (1408 AH). Al-Jāmi` Fi Al-Ilal Wa Ma`rifat Al-Rijāl: The Narration of Al-Marwadhi and others (1st ed.) (W. M. Abbās, Ed.). Bombay, India: Al-Dār al-Salafyyah.

Al-Tabari, M. J. (1422 AH). Jāmi` Al-Bayān Fi Ta'wīl Āy Al-Qur'ān (1st ed.). N.p.: Dār Hajr.

Al-Tirmidhi, M. I. (1395 AH). Al-Sunan (2nd ed.) (A. Shākir, M. F. Abdilbāqi, & I. `Atwah, Eds.). Egypt: Maktabat Wa MaTba`at Al-Bābi Al-Halabi.

Ibn Habbān, M. H. (1393 AH). Al-Thiqāt (1st ed.). Hyderabad, India: Council of Ottoman Public Debt.

Ibn Rāshid, M. (1403 AH). Al-Jāmi`: A Supplement to the Workbook of Ibn Abi Shaybah (2nd ed.) (H. Al-A`zhami, Ed.). Pakistan: Al-Majlis Al-`Ilmi.

\* \* \*

Ibn Kathīr Al-Demāshqi, I. O. (1420) Tafsīr Al-Qur'an Al-Azhīm (2nd ed.). (S. Salama, ed.) Riyadh: Dar Taiba.

Abu Dāwūd, S. A. (n.d.). Al-Sunan (M. Abdelhamīd, Ed.). Beirut: Al-Maktabah Al-`Asriyah.

Al-Asqalāni, A. A. (1326 AH). Tahdhīb Al-Tahdhīb (1st ed.). India: Council of Ottoman Public Debt.

Al-Asqalāni, A. A. (1406 AH). Taqrīb Al-Tahdhīb (1st ed.) (M. `Awwāmah). Syria: Dār Al-Rashīd.

Al-BīTār, A. H. (1413 AH). Hilyat Al-Bashar Fi Tārīkh Al-Qarn Al-Thālith `Ashar (2nd ed.) (M. B. Al-BīTār, Ed.). Beirut: Dār Sādir.

Al-Bukhāri, M. I. (1422 AH). Al-Jāmi` Al-Musnad Al-SaHīH Al-MukhtaSar Min Umūr Rasūl Allah Wa Sunanihi Wa Ayyamihi (1st ed.) (M. Z. Al-Nāsir, Ed.). N.p.: Dār Tawq Al-Najāt.

Al-Jazri, A. M. (n.d.). Jāmi` Al-USūl Fi AHadīth Al-Rasūl (A. Al-Arnā`ūt & T. B `Uyūn). N.p.: Maktabat Al-Halawāni.

Al-Māzi, Y. A. (1400 AH). Tahdhīb Al-Kamāl Fi Asmā' Al-Rijāl (1st ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risālah.

Al-Qādyāni, G. A. (1311 AH). Al-Risālah Al-LaTīfah Al-Mushtamilah `Ala Ma`ārif Al-Qur`ān Wa Daqā'iquh Al-Musammāt Bi-Hamamat Al-Bushrā 'Ilā Ahli Makkah Wa SulaHa' Um Al-Qurā. N.p.: Ghulām Al-Qādir Al-FaStīH Al-Sayālkūti.

Al-Qādyāni, G. A. (1428 AH). Al-Risālah Al-LaTīfah Al-Mushtamilah `Ala Ma`ārif Al-Qur`ān Wa Daqā'iquh Al-Musammāt Bi-Hamamat Al-Bushrā 'Ilā Ahli Makkah Wa SulaHa' Um Al-Qurā. N.p.: Al-Tab`ah Al-Hadīthah.

Al-Qurtubi, M. A. (1384 AH). Al-Jāmi` Li-AHKām Al-Qur`ān (2nd ed.) (A. Al-Bardūni & I. `ATfīsh, Ed.). Cairo: Dār Al-Kutub Al-MiSryyah.



## List of References:

### Works cited

Al-Maqdisi, M. A. (1420) Al-'aHadith Al-Mūkhtarāh (3rd ed.) (Ben Dehish ed.), Dr. Ibn Abdullah, A. ed.). Beirut: Dar KhaDHr.

Ibn Habban, M. I. A. (1408). Al-IHsān fī Taqrib SaHīH Ibn Haban (1st ed.)(P. Bilban, A. A. ed.). (S. Arnaout ed.) Beirut: Mo'sasat alrisalah.

Al-QasTalani, A. M. (1323) Irshad al-Sari li-SharH SaHīH al-Bukhari (7th ed.). Egypt: Al-Matba'a al-'Amiriya.

Abu Al So`ūd, M. M. M. Irshād al-`aql Al-Salim ila Mazaya Al-Kitāb Al-Karīm, Beirut: Dar EHia'a Alturath Al' Arab.

Al-Subkī, A. T. (1411). Al'ashbah wa Alnazha'ir (1st ed.). Dar Al-Kutub Al'ilmiya.

Al-Shanqiti, M. M. (1415) ADHwa' Al-Bāyān Fi IDHaH Al-Qur'an Bil Al-Qur'an. Beirut: Dar el-Fikr.

Al-Hithami, I. Ali, A. M. (1428). Al'lām Bi-qawāTi` Al-Islām min Qawl aw Fi'l aw Niyyah aw Ta`liq aw Mukafir. (Al-`Awad, M. A. ed.). Syria: Dar Al-Tāqwa.

Zirkali, K. (1997). Al'i`lam, qamūs tarajīm li Al'ashr arijal wanisa' min al-Arab wa Almusta`erbīn wa almustashriqīn (12th ed.). Beirut: Dar al-`ilm lil Mālāyyin.

Al-'Ardabili, Y. I. (1427) Al-'Anwar li-a`amāl al-'abrar (1st ed.). ( K. M. AlmuTlaq ed.) Kuwait: Dar Al-DHia'.

Ibn `Asaker, A. I. I. (1415) Tārīkh Dīmashq. (Al-Amri, A. G. ed.) Dar el-Fikr.

AlKashmiri, M. A. S. AlTasrih bima Tawatar fi Nuzul Al MasiH (6th ed.) ( M. Shafi` ed.). (A. Abu Ghadda ed.). Cairo: Dar Assālām.

Al-MaHali, M. A. & Al-Siuti. Tafsir Jālālain (1st ed.) Cairo: Dar Al-Hadīth.

The Grand Aya of Astray Faith

The Author of Hamamet Al-Bushra (Pigeon of Good Promise)

By Ahmed bin Ismael Al—Barzakhi (died 1332H)

Editing and Investigation\*

**Dr. Abdulmalek bin Marshoud Al-Oteibi**

Department of Islamic Studies

College of Education

King Saud University

### **Abstract:**

One of the books which undertook the task of answering the stray ideas of Ahmed Al-Qadiani is by a leading Shafei scholar, a landmark of Hijaz region and a prominent Sheikh of Al-Madinah Al-Munawwarah.

In essence, this book was originally a rebuttal of a treatise sent by Al-Qadiani to the People of Makkah, in which he explained his situation and pointed out his doctrine. The well-Known scholar, Ahmed Ibn Ismael Al-Barzakhi (died 1332 H, 1914AD- some give a different date), was asked about Al-Qadiani. The people of Malabar and its surroundings requested him to answer the heresies of Al Qadiani, revealing his suspicions, denying his falsehood, and exposing his lies. Imam Ahmad responded without delay or hesitation by writing this magnificent well-edited treatise as an accurate answer.

The treatise contained seven topics and a conclusion. It explicates Allah' saying in the Quran "O Jesus, indeed I will take you" and Allah' saying, "Indeed, we have killed the Messiah, Jesus, the son of Mary", showing the possibility that Jesus' body and soul may have been ascended to Heavens, and his dispensing of food and beverages. The treatise mentions information about the coming of Al-Masih ad-Dajjal (the false prophet), his description, life and temptation, in addition to what is relevant to the descent of Jesus, and his killing of al-Masih ad-Dajjal, his period of stay in the earth, and his death. Al-Barzakhi refuted the falsehood propagated and adhered to by Al Qadiani who disguised his doctrine with flowery claims. Al-Barzakhi cites some of his suspicious claims of Al-Qadiani and answers them.

The treatise was concluded by demonstrating Al-Barzakhi's judgement and realizing its potential. In view of the benefits, subtleties and editorial revisions of this treatise, the book deserves to be released from manuscript form, after having been authenticated and edited, so as to appear in the world of print.

Keywords: Al-Barzakhi treatise, Al-Qadiani, Qadiani sect

\*This is a research project that was supported by a grant from the research center for the college of education, Deanship of Academic Research at king Saud University.

اختلاف الرواة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البحر  
ودراسة طرقه وعللها

د. طارق بن عودة عبدالله العودة  
قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## اختلاف الرواة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البحر

### ودراسة طرقه وعللها

د. طارق بن عودة عبدالله العودة

قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ قبول البحث: ١٤/٨/١٤٣٩هـ

تاريخ تقديم البحث: ٢٠/٤/١٤٣٩هـ

### ملخص الدراسة :

يهدف البحث لبيان اختلاف الرواة في حديث عظيم يُعدُّ نصف أحكام الطهارة ، وجمع طرقه من مظانها المتفرقة ، مع تخريجها ، ودراسة أسانيدھا وتوضيح عللھا ، ومناقشة من أعلّ الحديث. وأبرز البحث مكانة حديث البحر عند العلماء وأنه أصلٌ من أصول الشريعة. والمكانة العظيمة لدواوين السنة الشهيرة كالكتب التسعة ، وتضمنها للأوجه المحفوظة الصحيحة في الغالب في الأحاديث المختلف فيها ، بينما الأوجه المعلّة غالباً ما ينفرد به غيرها. وهذا الحديث مثالٌ عمليٌ يوضح أن الإمام البخاري لم يلتزم جمع كل الصحيح في كتابه ، وما تركه منه أكثر ، ومنها ما حكم هو نفسه بصحته. وأهمية اعتبار أحوال الرواة الاجتماعية ، ومن خرّج حديثهم ، عند دراسة الرواة المقلين لجمع القرائن المعينة على النظر في حالهم. وأظهر البحث قاعدة من قواعد الترجيح في الاختلاف ، إذا اجتمع عددٌ من الثقات الحفاظ واختلفوا في الرواية عن المدار ، فمحتملٌ أن يكون الاضطراب من المدار نفسه ، وأنه لم يحفظ هذا الخبر ، لذلك روى الحفاظ عنه ما سمعوه منه. ويوصي البحث بالعناية بالأحاديث الجوامع العظيمة ، الموصوفة بأنها أصول الإسلام ، وضرورة الاهتمام بدراسة الاختلاف ، الذي هو أصل من أصول علم علل الحديث .

الكلمات الدالة (المفتاحية) : أحاديث - البحر - علل - اختلاف - الطهارة



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن شرف العلم بشرف المعلوم، وإن خير ما تُقنى فيه الأعمار، هو العناية بكتاب الله الكريم، وسنة المصطفى الأمين ﷺ، فهما الصراط المستقيم، الذي من أخذ به نجا وأفلح في دنياه وأخراه.

ولا يخفى على المشتغل بعلم الحديث ما لجمع طرق الحديث ووجوهه المختلفة، وما يتفرع عنه من النظر فيها من حيث الاتفاق والاختلاف، والموازنة بين المختلفين وتحرير أحوالهم، مع إعمال قرائن الإعلال والترجيح المعتمدة عند أهل الصنعة؛ من أهمية بالغة لمعرفة رتبة الحديث قبولاً ورداً.

فأما جمع الطرق ومعرفة الاختلاف : فهذا صريح في كلام نقاد الحديث وجهابذته .

قال الإمام أبو عبدالرحمن عبد الله بن المبارك : (إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض) <sup>(١)</sup>. وقال فيلسوف علم علل الحديث وطبيها الإمام أبو الحسن علي بن المديني : (الباب إذا لم تُجمع طرقه لم يتبين خطؤه) <sup>(٢)</sup>، وقال الإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل : (الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً) <sup>(٣)</sup>، وقال أبو زكريا يحيى بن معين : (لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهاً لم نعرف ما علته) <sup>(٤)</sup>.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٤٥٢/٢).

(٢) الجامع للخطيب (٣١٥/٢).

(٣) الجامع للخطيب (٣١٥/٢).

(٤) المجروحين لابن حبان (٣٥/١).

فمعرفة اختلاف الرواة، والتفقه فيه، والنظر في المقدم منهم عند الاختلاف من أدق وأعمق مسائل علم علل الحديث، قال الحافظ ابن حجر : (فمدار التعليل في الحقيقة على بيان الاختلاف)<sup>(١)</sup>.

وأما إعمال النظر والموازنة بين الرواة المختلفين : فيقول الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج : (فاعلم أرشدك الله أن الذي يدور به معرفة الخطأ في رواية ناقل الحديث إذا هم اختلفوا فيه من جهتين...والجهة الأخرى : أن يروي نفر من حفاظ الناس حديثاً عن مثل الزهري أو غيره من الأئمة بإسناد واحد، ومتن واحد، مجتمعون على روايته في الإسناد والمتن، لا يختلفون فيه في معنى، فيرويه آخر سواهم عن حدث عنه نفر الذين وصفناهم بعينه فيخالفهم في الإسناد، أو يقلب المتن فيجعله بخلاف ما حكى من وصفنا من الحفاظ فيعلم حينئذ أن الصحيح من الروايتين ما حدث الجماعة من الحفاظ، دون الواحد المنفرد وإن كان حافظاً، على هذا المذهب رأينا أهل العلم بالحديث يحكمون في الحديث مثل : شعبة، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، وغيرهم من أئمة العلم<sup>(٢)</sup>). ويقول ابن المنذر: (لو لم يستدل على غلط المحدث بمخالفة الحفاظ إياه، ما عُرف غلظه في حديث أبداً)<sup>(٣)</sup>.

فمعرفة الاختلاف درجة لا يتوصل إليها إلا بعد جمع الطرق، وتمييز أوجه الاختلاف، واعتبار منزلة المدار والمختلفين عليه وعلى من دونه من حيث

(١) النكت لابن حجر (٢/٧١١).

(٢) التمييز للإمام مسلم (١٧٠ - ١٧٢).

(٣) الأوسط لابن المنذر (٢/٣٠٧).



العدالة والإتقان، وهذا يبيّن أهمية معرفة الاختلاف ودراسته لكشف العلة، فإنما مدار التعليل على معرفة الاختلاف - كما قال الحافظ ابن حجر - .

ويقول الحافظ ابن رجب : (اعلم أن معرفة صحة الحديث وسقمه، تحصل من وجهين : أحدهما : معرفة رجاله وثقتهم وضعفهم، ومعرفة هذا هيّن ؛ لأن الثقات والضعفاء قد دوّنوا في كثير من التصانيف، وقد اشتهرت بشرح أحوالهم التوليف. والوجه الثاني : معرفة الثقات، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف، إما في الوصل والإرسال، وإما في الوقف والرفع، ونحو ذلك، وهذا هو الذي يحصل من معرفته وإتقانه وكثرة ممارسته الوقوف على دقائق علل الحديث)<sup>(١)</sup>.

### أهمية البحث :

١ - مكانة علم العلل ومنزلته الشريفة بين علوم السنّة، والعناية بمسائل وأقوال الأئمة النقاد في تعليل وترجيح أوجه الاختلاف في الأحاديث أمر مهم جداً؛ لأنهم فرسان هذا الميدان، ولهم من الحفظ والفهم وسعة الرواية ما يُشجّع من بعدهم على دراسة أقوالهم وتعليلاتهم والاستنارة بها في فهم هذا العلم سيراً على منهاجهم وطريقتهم.

٢ - أهمية هذا الحديث وعظم شأنه بين الأحاديث النبوية ؛ إذ هو من جوامع كلمه ﷺ، وعليه مدار كثير من مسائل الدين، فقد عدّه الإمام الشافعي نصف علم الطهارة<sup>(٢)</sup>، ووصفه الحافظ الزرقاني بأنه أصل من

(١) شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/٦٦٣).

(٢) ذكره الماوردي في الحاوي (١/٣٧) .

أصول الإسلام تلقتة الأئمة بالقبول، وتداولته فقهاء الأمصار في سائر الأعصار في جميع الأقطار<sup>(١)</sup>.

٣ - ما نُقل عن بعض الحفاظ من إعلالهم لهذا الحديث، كالحافظ ابن عبد البر. وإشارة بعضهم إلى أنه من الأحاديث التي وقع فيها الاختلاف في إسناده<sup>(٢)</sup>.

٤ - لم أقف على دراسة علمية حديثة مفردة تعنى بتمييز اختلاف الرواة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البحر وتجمع طرقه وتبين علله.

### أهداف البحث :

١ - جمع اختلاف الرواة في حديث البحر من مظانها المتفرقة في كتب السنة النبوية.

٢ - تخريج طرقها المختلفة، ودراسة رواياتها، والحكم عليهم، وبيان ما في الطرق من علل.

٣ - الموازنة والنظر في اختلاف الرواة والترجيح بينهم وفق قواعد الترجيح المعتمدة عند المحدثين.

٤ - الحكم على الحديث من وجهه المحفوظ، والرد على من أعله وضعفه.

---

(١) الزرقاني في شرح الموطأ (١/١٣٢).

(٢) أشار إلى ذلك الحفاظ المزي في تهذيب الكمال (١٠/٤٨٠)، وابن حجر في التهذيب (٢/٢٣).

## الدراسات السابقة :

لم أقف على دراسات أو بحوث علمية حديثة مفردة اعتنت بدراسة اختلاف الرواة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البحر وبيان طرقه وعللها.

## حدود البحث :

البحث مختص باختلاف الرواة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البحر وبيان طرقه وعلله، ودراسة ذلك دراسة حديثة متخصصة.

## منهج البحث :

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي النقدي.

## إجراءات البحث :

١. جمع وتتبع الروايات والطرق في موضوع الدراسة.
٢. بيان اختلاف الرواة فيها على المدار، وعرض أوجه الاختلاف الأصلي والفرعي .
٣. ترجمت للمدار والمختلفين عليه، والترجمة تشمل على بيان اسم الراوي ونسبه وكنيته، وبيان حاله جرحاً وتعديلاً، وسنة وفاته ومن خرّج له حيث توفر ذلك، متوسعاً فيمن اختلف فيه، وموجزاً في تراجم المتفق على ثقتهم أو ضعفهم مع شهرتهم بذكر طرفٍ مما قيل فيهم، وأحيل إلى مصادر ترجمة الراوي، والأحكام المنقولة عن الأئمة على الأحاديث والرواة في صلب البحث، بخلاف خدمة النص العامة كالتعريف بعلم، أو بلد، أو إضافة فائدة ونحو ذلك ففي الحاشية.
٤. الموازنة بين الرواة المختلفين وترجيح الوجه المحفوظ مع التعليل، وفق قواعد الترجيح .

٥. الحكم على الحديث من وجهه المحفوظ، مع بيان علل الأوجه الأخرى الغير محفوظة .

### خطة البحث :

رسمت خطة البحث على النحو التالي :

المقدمة، وفيها : أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته .

ثم جعلت الدراسة على فصلين كالآتي :

### الفصل الأول: تخريج أوجه الاختلاف في الحديث:

المبحث الأول: طريق يحيى بن سعيد الأنصاري.

المبحث الثاني: طريق إسحاق بن أبي فروة.

المبحث الثالث: طريق سعيد بن سلمة.

### الفصل الثاني: دراسة الاختلاف والموازنة بين الأوجه والحكم على

### الحديث:

المبحث الأول: دراسة الاختلاف والموازنة بين الأوجه.

المبحث الثاني: الحكم على الحديث.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يكتب له القبول، وأن يعفو عن الزلل والخطأ، إنه سميع مجيب الدعاء، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## الفصل الأول تخريج أوجه الاختلاف في الحديث متن الحديث

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "هو الطهور ماؤه، الحل ميتته".  
الحديث مداره على المغيرة بن أبي بردة، واختلف عليه على ثلاثة أوجه في تسمية راوي الحديث ووصله أو إرساله:  
فرواه عنه سعيد بن سلمة، ويزيد بن محمد، فجعلوا الحديث من مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

وخالفهما إسحاق بن أبي فروة، فجعله من مسند عبد الله المدلجي.  
وخالفهم جميعاً يحيى بن سعيد الأنصاري واضطربت الروايات عنه في وصل الحديث، وإرساله، وفي تسمية صحابه على عشرة أوجه، وهذا تفصيل الاختلاف:

### المبحث الأول: طريق يحيى بن سعيد الأنصاري:

اختلف على يحيى بن سعيد على أوجه كثيرة مضطربة تبلغ عشرة أوجه، فرواه:

١. هُشيم عن يحيى عن المغيرة عن رجل من بني مُدَلِّج أن رجلاً سأل النبي ﷺ:  
رواه عن هُشيم أبو عبيد القاسم بن سلام في الطهور (ح/٢٣٤)، ومن طريقه: الحاكم في مستدركه (١/٤٩٤)، ورواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/١٣٦) من طريق عمرو بن زرارة، وإسماعيل بن سالم. ثلاثتهم (أبو عبيد، وعمرو، وإسماعيل) كلهم عن هُشيم به.

وقد اختلف على هُشيم في تسمية والد المغيرة، فقال إسماعيل بن مسلم عن هُشيم عن المغيرة بن أبي برزة، والناس كأبي عبيد القاسم، وعمرو بن زرارة، وغيرهما يقولون: بن أبي بُردة، والوهم فيه من هُشيم؛ لثقة الرواة عنه، واضطرابه فيه، وقد نصَّ الإمام الترمذي في العلل الكبير (٤١/١) على حمل الخطأ عليه فقال: (هشيم يقول في هذا الحديث: المغيرة بن أبي برزة. ووهم فيه. إنما هو المغيرة بن أبي بردة. وهشيم ربما يهمل في الإسناد. وهو في المقطعات أحفظ)، ووافقه البيهقي في معرفة السنن عقب تخريج الخبر (٢٢٩/١) فقال: (ورواه بعض الناس عن هشيم، فقال فيه المغيرة بن أبي بردة: وهو وهم. قاله أبو عيسى، وحمل الوهم فيه على هشيم).

## ٢. يحيى القطان.

٣. عبد الرحيم بن سليمان (يحيى وعبدالرحيم كلاهما) عن يحيى عن عبد الله بن المغيرة عن رجل من بني مُدْلِج أن رجلاً منهم سأل النبي ﷺ: أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه (١/١٢١/ح١٣٧٨).

٤. حماد بن سلمة عن يحيى عن المغيرة بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ: أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٥/٢٩١/ح٢٨١٨)، والحاكم في مستدركه (١/ح٤٩٥)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/١٣٧).

## ٥. سفیان الثوري.

٦. سفیان بن عيينة (السفيانان كلاهما) عن يحيى عن المغيرة بن عبد الله أو عبد الله بن المغيرة أن ناساً من بني مُدْلِج سألوا النبي ﷺ: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١/٩٤/ح٣٢١)، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/٢١٩)، وفي الاستذكار (١/١٥٨)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/١٣٦).

٧.شعبة عن يحيى عن المغيرة عن رجل من قومه عن رجل سأل النبي ﷺ :  
ذكره الإمام الدارقطني في العلل (١٣/٩).

٨.حماد بن زيد عن يحيى عن عبد الله بن المغيرة عن أبيه عن رجل من بني  
مُدَلِّج اسمه عبد الله عن النبي ﷺ :

أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣١٤٥/ح٧٢٤٠)، البيهقي في  
معرفة السنن والآثار (١/١٣٧).

٩.رَوْح بن القاسم عن يحيى عن المغيرة بن عبد الله أو عبد الله بن المغيرة  
عن رجل من بني مُدَلِّج قال : قال النبي ﷺ : ذكره الإمام الدارقطني في  
العلل (١٣/٩).

١٠.يزيد بن هارون عن يحيى عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بُردة عن النبي ﷺ :  
ذكره الإمام الدارقطني في العلل (١٣/٩).

١١.سُلَيْمان بن بلال، واختلف فيه على سليمان :  
فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/٤٩٥) معلقاً عن سليمان بن بلال عن  
يحيى عن عبد الله بن المغيرة عن أبيه عن النبي ﷺ به.

وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/٢٢٩) من طريق القعني  
عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة أن  
رجلاً من بني مدلج...فذكره مرسلًا، لم يذكر أباه. وقد توبع راويا كلا  
الوجهين المرسل والمتصل عن سليمان بن بلال متابعاً قاصرةً عن يحيى بن  
سعيد نفسه من عددٍ من الثقات ؛ وهذا يؤكد ما رجحه الأئمة النقاد أن  
الاضطراب فيه من يحيى بن سعيد نفسه، وقد سمعه منه سليمان على  
الوجهين فحدّث بهما عنه .

## المبحث الثاني : طريق إسحاق بن أبي فروة :

أخرجه البغوي في معجم الصحابة (٣٠١/٤ ح/١٧٥٨) بسنده من طريق إسحاق عن المغيرة بن عبد الله بن أبي بردة عن عبد الله المدلجي<sup>(١)</sup> أنه أتى النبي ﷺ بمثله .

## المبحث الثالث : طريق سعيد بن سلمة :

سعيد بن سلمة : أخرجه مالك في الموطأ (٢٢/١ ح/٤١)، ومن طريقه : أبو داود في سننه في كتاب الطهارة، باب : الوضوء بماء البحر (١/١٨٨ ح/٨٤)، والترمذي في جامعه في كتاب الطهارة، باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور (١/١٠١ ح/٦٩) وقال : حسنٌ صحيحٌ، والنسائي في سننه في كتاب الطهارة، باب : ماء البحر (١/٥٠ ح/٥٩)، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة، باب : الوضوء بماء البحر (١/١٣٦ ح/٣٨٦)، والدارمي في سننه (١/٢٠١ ح/٧٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٢٢ ح/١٣٩٢)، وأحمد في مسنده (١٢/١٧١ ح/٧٢٣٣)، وابن الجارود في المنتقى (ح/٤٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١/٥٩ ح/١١١)، وابن

---

(١) وهو عبد الله المدلجي ، وقيل : عبدُ العركي ، وهو اسم الذي سأل النبي ﷺ عن ماء البحر في الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ من طريق أبي هريرة ؓ ، وحكى ابن بشكوال عن ابن رشد أن اسمه عبد الله المدلجي، قال الطبراني: اسمه عُبيد بالتصغير، - والعركي بفتح المهملة والراء بعدها كاف - هو المَلَّاح ، ووهم من قال إنه اسم بلفظ النَّسَب . وعلى كل حال : فالحديث على المحفوظ فيه من مسند أبي هريرة ؓ يُنظر في ترجمته : معجم الصحابة للبغوي (٣٠١/٤) ، والإصابة لابن حجر (٣٨٨/٤).



حبان في صحيحه (٤/٤٩/ح١٢٤٣)، وفي (١٢/٦٢/ح٥٢٥٨)، وابن المنذر في الأوسط (١/٢٤٧/ح١٥٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/٣٤/ح٤٠٢٩)، والدارقطني في سننه (١/٣٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/١٢٩)، والبيهقي في سننه الكبرى (١/٣/ح١)، وغيرهم، كلهم من طريق: مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من بني مُدْلِج سأل النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - يزيد بن محمد القرشي: أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ح٤٩٦)، والبيهقي في سننه الكبرى (١/ح٦)، كلاهما من طريق يزيد القرشي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من بني مُدْلِج سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## الفصل الثاني

### دراسة الاختلاف والموازنة بين الأوجه والحكم على الحديث

#### المبحث الأول: دراسة الاختلاف والموازنة بين الأوجه:

مدار هذا الحديث على المغيرة بن أبي بردة الكناني، ويقال بن عبد الله بن أبي بردة، ويقال عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة، وقلبه بعضهم. روى عن أبي هريرة رضي الله عنه حديث البحر، وقيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقيل عن رجل بن بني مُدْلِج عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل غير ذلك. وروى عنه سعيد بن سلمة، وقيل سلمة بن سعيد، وقيل عبد الله بن سعيد، وأبو كثير الجلاح - على اختلاف فيه -، والحارث بن يزيد، وعبد الله بن أبي صالح، وموسى بن الأشعث البلوي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن محمد القرشي، وأبو مروان التجيبي. قال الآجري عن أبي داود: معروف، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.

وهو معروف العين والحال، مشهورٌ عند العلماء وتولى قيادة جيش مصر زمن عبد الملك، قال ابن يونس : حدثني زياد بن موسى القطان عن محمد بن سحنون أن ولد المغيرة بن أبي بُردة بأفريقية اليوم، قال ابن يونس : وقد ولي غزو البحر لسليمان بن عبد الملك من مصر سنة مائة .

وذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه عن يحيى بن بكير عن الليث قال : وفي سنة مائة طلع المغيرة بن أبي بُردة بالجيش إلى إفريقية، وقال ابن حبان : من أدخل بينه وبين أبي هريرة أباه فقد وهم، وقال علي بن المديني : المغيرة بن أبي بُردة رجل من بني عبد الدار سمع من أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يُسمع به إلا في هذا الحديث . وقال عبد الله بن أبي صالح : كنت مع المغيرة في غزوة القسطنطينية، وكان كثير الصدقة لا يرد سائلاً . وروى ابن عبد الحكم في فتوح مصر قال : لما قُتل يزيد بن أبي مسلم بأفريقية - يعني سنة اثنتين ومائة - اجتمع الناس فنظروا في رجل يقوم بأمرهم إلى أن يأتي أمير يزيد بن عبد الملك، فرضوا بالمغيرة بن أبي بُردة أحد بني عبد الدار، فلم يقبل . وقال أبو العرب القيرواني في طبقاته : كان ممن دخلها من جلة التابعين فاستوطنها وكان وجهاً من وجوه من بها . قال ابن حجر في التلخيص : (فَعُلِمَ بهذا غَلَطٌ من زَعَم أنه مجهولٌ لا يُعْرَف) .

وصَحَّحَ حديثه عن أبي هريرة في البحر ابن خزيمة، وابن حبان، وابن المنذر، والخطابي، والطحاوي، وابن مندة، والحاكم، والبيهقي، وعبد الحق، وآخرون - وسيأتي توثيق ذلك عنهم في الحكم على الحديث بإذن الله تعالى -، وروى له الأربعة.

يُنظر : التاريخ الكبير(٧/٣٢٣)، فتوح مصر (١/٢٣٣)، المعرفة

والتاريخ (٣٤١/٣)، والثقات لابن حبان (٣٦٥/٦)، و(٤١٠/٥)،  
وطبقات علماء إفريقية (٢٢/١)، وتهذيب الكمال (٣٥٢/٢٨)، والتهذيب  
(٢٢٩/١٠)، والتقريب (٦٨٧٧)، والتلخيص الحبير (١٢٠/١).

وقد رواه عنه على الوجه الأول :

يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني، ثقة ثبت، مات سنة أربع  
وأربعين ومائة، أو بعدها، روى له الجماعة.  
ينظر : الجرح والتعديل (١٤٧/٩)، تهذيب الكمال (٣٤٣/٣١)،  
التقريب (٧٥٥٩).

واختلف على يحيى بن سعيد اختلافاً كبيراً، عدّه كثيرٌ من النقاد اضطراباً  
منه، لثقة ومكانة الرواة عنه وهم أحد عشر رواياً، روى كل منهم ما سمعه  
من يحيى :

هشيم بالتصغير، ابن بشير، ابن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية  
الواسطي، ثقة ثبت، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقد قارب الثمانين،  
روى له الجماعة .

وتقدم في التخريج الإشارة إلى أنه اختلف عليه أيضاً اختلافاً يسيراً في اسم  
والد المغيرة فسماه مرةً : المغيرة بن أبي برزة، وتقدم نقلُ ترجيح الإمام  
الترمذي ووافقه الحافظ البيهقي أن هشيماً وهم في روايته واضطرب فيه،  
والناس يقولون ابن أبي بردة .

ينظر : الجرح والتعديل (١١٥/٩)، وتهذيب الكمال (٢٧٢/٣٠)،  
والتقريب (٧٣٦٢)

يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن

حافظ إمام قدوة، مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، روى له الجماعة.  
ينظر: الجرح والتعديل (١٥٠/٩)، وتهذيب الكمال (٣٢٩/٣١)،  
والتقريب (٧٦٠٧).

**عبد الرحيم بن سليمان** : الكناني أو الطائي، أبو علي الأشلّ المروزي،  
نزيل الكوفة، ثقة له تصانيف، مات سنة سبع وثمانين ومائة، روى له الجماعة  
ينظر: الجرح والتعديل (٣٣٩/٥)، وتهذيب الكمال (٣٦/١٨)،  
والتقريب (٤٠٨٤).

**حماد بن سلمة** بن دينار البصري أبو سلمة، وهو ثقة عابد، أثبت الناس  
في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، قال ابن رجب : (ثقة ثقة، من أصلب الناس  
في السنة...وفصل القول في رواياته : أنه من أثبت الناس في بعض شيوخه  
الذين لزمهم : كثابت البناني، وعلي بن زيد. ويضطرب في بعضهم الذين لم  
يُكثر ملازمتهم : كقتادة، وأيوب...)، مات سنة سبع وستين ومائة، روى له  
الجماعة.

وحماد يخطئ كثيراً في حديث قتادة، قال الإمام قال مسلم : « وحماد يعد  
عندهم إذا حدث عن غير ثابت كحديثه عن قتادة وأيوب ويونس وداود بن  
أبي هند والجريري ويحيى بن سعيد وعمرو بن دينار وأشباههم، فإنه يخطئ في  
حديثهم كثيراً ».

ينظر: الجرح والتعديل (١٤٠/٣)، والتميز لمسلم بن الحجاج  
(ص ٢١٨)، وتهذيب الكمال (٢٥٣/٧)، وتحفة الأشراف (١١/١/ح ٧)،  
وشرح العلل (٤١٤/١)، و (٥٠٨/٢ و ٦٢٣)، وفتح الباري (١١/٢٦١/١١)

ح ٦٤٤٠)، والتقريب (١٥٠٧).

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد حُجَّة، إمام من أئمة الدين، وعلم من أعلام المسلمين، وشهرته تغني عن تزكيته، مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون، روى له الجماعة.

يُنظر: الجرح والتعديل (٢٢٢/٤)، وتهذيب الكمال (١٥٤/١١)، والتقريب (٢٤٥٨).

سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ إمام حجة، وقيل أنه تغير حفظه بآخره، على خلاف في ذلك، وإن ثبت فقد كان شيئاً يسيراً ولم يكن مؤثراً على حديثه، وربما دلّس ولكن عن الثقات. وقد عدّه ابن حجر في الطبقة الثانية من المدلسين، ممن احتمل الأئمة تدليسهم وخرّجوا لهم في الصحيح لإمامتهم، وقلة تدليسهم، روى له الجماعة.

يُنظر: الجرح والتعديل (٢٢٥/٤)، وتهذيب الكمال (١٧٧/١١)، والميزان (١٧١/٢)، والتقريب (٢٤٦٤)، وطبقات المدلسين (ص/١١٤).

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي<sup>(١)</sup> مولاهم أبو إسحاق الواسطي<sup>(٢)</sup>، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، مات سنة ستين ومائة، روى له الجماعة. يُنظر: الجرح والتعديل (٣٦٩/٤)، وتهذيب الكمال (٤٧٩/١٢)، والتقريب (٢٨٠٥).

(١) بفتح العين المهملة، والتاء المثناة، وكسر القاف، هذه النسبة إلى عتيك، وهو بطن من الأزد، الأنساب (٣١٨/٣).

(٢) نسبة إلى واسط، مدينة قديمة بناها الحجاج في العراق سنة ٨٤هـ، سميت بذلك لتوسطها بين البصرة والكوفة، ثم خربت واندثرت في المائة التاسعة من الهجرة، معجم البلدان (٣٤٧/٥)، وبلدان الخلافة الشرقية (ص ٦٠).

حماد بن زيد بن درهم الأزدي، أبو إسماعيل البصري، إمام ثقة ثبت فقيه قيل إنه كان ضريباً<sup>(١)</sup>، ولعله طراً عليه فقد البصر؛ لأنه صحَّ أنه كان يكتب، مات سنة تسع وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة، روى له الجماعة. يُنظر: الجرح والتعديل (١٣٧/٣)، والضعفاء الكبير (٢٩٨/١)، والمجروحين (١٣١/١)، وتهذيب الكمال (٢٣٩/٧)، شرح العلل (٧٠٣/٢)، والتقريب (١٥٠٦).

رُوح بن القاسم التميمي، أبو غياث بالمعجمة والمثلثة، البصري، ثقةٌ حافظٌ، مات سنة إحدى وأربعين، أرّخه ابن حبان، روى له الجماعة إلا الترمذي.

يُنظر: الجرح والتعديل (٤٩٥/٣)، وتهذيب الكمال (٢٥٢/٩)، والتقريب (١٩٨١).

يزيد بن هارون بن زاذان السُّلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين، روى له الجماعة. يُنظر: الجرح والتعديل (٢٩٥/٩)، وتهذيب الكمال (٢٦١/٣٢)، والتقريب (٧٧٨٩).

سليمان بن بلال التيمي مولاهم، أبو محمد وأبو أيوب المدني، ثقةٌ، مات سنة سبع وسبعين، روى له الجماعة.

---

(١) قاله ابن حبان كما في الثقات (٢١٨/٦)، قال العلامة المعلمي في حاشيته على الأنساب للسمعاني (١٩٩/١) : (إذا ثبت أنه لم يذكره أحدٌ بالعمى قبل ابن حبان، وثبت خلاف ذلك في الجملة، ففي الاعتداد بقول ابن حبان وقفة) .

يُنظر: الجرح والتعديل (١٠٣/٤)، وتهذيب الكمال (٣٧٢/١١)،  
والتقريب (٢٥٥٤).

### أما الوجه الثاني فرواه عن المدار :

إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولا لهم، المدني، اتفق الأئمة  
على تركه، وكذّبه بعضهم، مات سنة أربع وأربعين ومائة .

يُنظر : تهذيب الكمال (٤٤٦/٢)، والكاشف (٢٣٧/١)، والتقريب  
(٣٦٨) .

### أما الوجه الثالث فرواه عن المدار، اثنان :

١ - سعيد بن سلمة المخزومي، وقيل : سلمة أو عبد الله بن سعيد، من  
آل ابن الأزرق.

قال الزيلعي : (اختلفوا في اسم سعيد بن سلمة، فقليل هذا، وقيل عبد  
الله بن سعيد، وقيل سلمة بن سعيد، وأصحها سعيد بن سلمة ؛ لأنها رواية  
مالك مع جلالة، وهذا مع وفاق من وافقه...).

روى عن المغيرة بن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه حديث البحر .

وعنه : صفوان بن سليم، والجلاح أبو كثير .

قال النسائي : ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات .

وصحّ البخاري حديثه فيما حكاه عنه الترمذي في العلل، وكذا صحّحه

ابن خزيمة، وابن حبان وغير واحد، وقد تقدم توثيق ذلك في تخريج روايته،  
روى له الأربعة.

قال ابن منده فيما نقله الزيلعي : (اتفاق صفوان، والجلاح يوجب شهرة

سعيد بن سلمة. واتفاق يحيى بن سعيد، وسعيد بن سلمة عن المغيرة يوجب

شهرته، فصار الإسناد مشهوراً، وبهذا يرتفع جهالة عينهما. وفي كتاب المزي توثيقهما. فزالت جهالة الحال أيضاً، ولهذا صححه الترمذي، وحكى عن البخاري تصحيحه).

يُنظر : التاريخ الكبير (٤٧٨/٣)، العلل الكبير (١٣٥/١)، وتهذيب الكمال (٤٨٠/١٠)، ونصب الراية (٩٦/١ - ٩٨)، والتقريب (٢٣٤٠) ٢ - يزيد بن محمد بن قيس بن مخزوم بن المطلب القرشي المطلبي المدني، نزيل مصر، ثقة، روى له البخاري، وأبو داود، والنسائي .  
يُنظر : الجرح والتعديل (٢٨٨/٩)، وتهذيب الكمال (٢٣٨/٣٢)، والتقريب (٧٧٧٢)

#### وبقي من رجال السند :

صفوان بن سليم المدني الزهري، ثقة مفتّ عابد، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وله اثنتان وسبعون سنة، روى له الجماعة.  
يُنظر : الجرح والتعديل (٤٢٣/٤)، وتهذيب الكمال (١٨٤/١٣)، والتقريب (٢٩٤٩)

#### الموازنة والترجيح :

من خلال ما سبق في دراسة حال المدار والمختلفين عليه، يتبيّن أنّ الوجه الأول ضعيفٌ لاضطرابه؛ وهذا الاضطراب هو من يحيى بن سعيد الأنصاري لا من الرواة عنه، كما نصّ على ذلك الحافظ البيهقي فقال في معرفة السنن والآثار (١٣٧/١) : (هذا الاختلاف يدل على أنه - يحيى بن سعيد الأنصاري - لم يحفظه كما ينبغي).



وقال الحافظ ابن حجر فقال في التلخيص (١٠/١) : (رواه عنه يحيى بن سعيد الأنصاريُّ إلا أنَّه اختلفَ عليه فيه والاضطرابُ منه) ؛ إذ الرواة عنه جمعٌ من الحفاظ الكبار كالقطان، والسفيانين، والحَمَّادين، وشعبة، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وقد نَقَلَ كُلُّ منهم ما سمعه، فلا فائدة في النظر والترجيح بينهم ما دام الاختلاف ناشئاً عن المدار نفسه، ولذا أعرَضَ الإمام الدارقطني عن الموازنة بين الأوجه لما ساق الاختلاف على يحيى بن سعيد في العلل (١٣/٩)، بل ذكر أن الصواب رواية مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما الوجه الثاني فمَنكراً لا يحتج به ؛ لأجل ابن أبي فروة .

والمحفوظ هو الوجه الثالث الذي رواه الإمام مالك عن صفوان عن سعيد

بن سلمة عن المغيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يؤيد ذلك عدة قرائن :

١. الحفظ ؛ فسعيد بن سلمة وإن كان دون يحيى بن سعيد الأنصاري في

الحفظ على سبيل العموم، إلا أنه حَفِظَ وأتقن هذا الحديث، بينما لم يحفظه يحيى واضطرب فيه .

٢. العدد ؛ فقد روى الوجه المحفوظ (الثالث) سعيد بن سلمة ويزيد بن

محمد القرشي، بينما انفرد ببقية الأوجه راو واحد فحسب .

٣. إعلال الأئمة النقاد لرواية يحيى بن سعيد بالاضطراب (الوجه الأول)،

وترجيح رواية مالك (الوجه الثالث)، ومنهم :

الإمام ابن حبان في الثقات (٤١٠/٥) حيث قال : (من قال فيه عن المغيرة

عن أبيه فقد وهم، والصواب عن المغيرة عن أبي هريرة).

والإمام الدارقطني في العلل (١٣/٩) حيث قال بعد أن ساق الاختلاف في هذا الخبر : (وأشبهها بالصواب قول مالك ومن تابعه عن صفوان بن سليم).

وقال البيهقي في سننه الكبرى (٤/١) : (إلا أن الذي أقام إسناده ثقة وأودعه مالك بن أنس الموطأ)، وقال في معرفة السنن والآثار (١٣٧/١) : (هذا الاختلاف يدل على أنه - يحيى بن سعيد الأنصاري - لم يحفظه كما ينبغي، وقد أقام إسناده مالك بن أنس عن صفوان بن سليم، وتابعه على ذلك يزيد بن محمد القرشي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة رضي الله عنه ثم عن النبي ﷺ. فصار الحديث بذلك صحيحاً كما قال البخاري في رواية أبي عيسى عنه، والله أعلم).

قال الإمام الشافعي في الأم (٣/١) : (في إسناده هذا الحديث من لا أعرفه)، وعلّق الحافظ البيهقي في السنن الكبرى (٥/١) مشيراً إلى أن الشافعي ربما أراد بذلك المغيرة أو سعيد بن سلمة أو كليهما. وتعبه الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٠/١) فقال : (قلت : لم يُفرد به سعيد عن المغيرة فقد رواه عنه يحيى بن سعيد الأنصاري إلا أنه اختلف عليه فيه، والاضطراب منه).

### المبحث الثاني : الحكم على الحديث :

الحديث من وجهه المحفوظ عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ حديثٌ صحيحٌ .  
وقد سأل الإمام الترمذي في العلل الكبير (١٣٥/١) الإمام البخاري عنه فقال : هو حديث صحيح .

وقد أعلّ أبو عمر ابن عبد البر الحديث في الاستذكار (١٥٩/١) بجمالة صفوان وسعيد، وتقدم الجواب عن ذلك وأنها معروفان غير مجهولين في ترجمتهما، ثم حكم بقبول الخبر وتلقيه بالقبول والعمل فقال : (وليس إسناد هذا الحديث مما تقوم به حجة عند أهل العلم بالنقل لأن فيه رجلين غير معروفين بحمل العلم في رواية صفوان بن سليم، وفي رواية يحيى بن سعيد نحو ذلك في المغيرة بن أبي بردة... وهذا إسناد وإن لم يخرج أصحاب الصحاح فإن فقهاء الأمصار وجماعة من أهل الحديث متفقون على أن ماء البحر طهور بل هو أصل عندهم في طهارة المياه الغالبة على النجاسات المستهلكة لها وهذا يدل على أنه حديث صحيح المعنى يتلقى بالقبول والعمل الذي هو أقوى من الإسناد المنفرد)، وفي التمهيد (٢١٨/١٦) قال : (لا أدري ما هذا من البخاري رحمه الله ولو كان عنده صحيحاً لأخرجه في مصنفه الصحيح عنده ولم يفعل لأنه لا يعول في الصحيح إلا على الإسناد وهذا الحديث لا يحتاج أهل الحديث بمثل إسناده وهو عندي صحيح لأن العلماء تلقوه بالقبول له والعمل به ولا يخالف في جملة أحد من الفقهاء)، وناقشه في تعقبه للإمام البخاري الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٠/١) فقال : (وتعقبه ابن عبد البر بأنه لو كان صحيحاً عنده لأخرجه في صحيحه، وهذا مردود؛ لأنه لم يلتزم الاستيعاب، ثم حكم ابن عبد البر مع ذلك بصحته لتلقي العلماء له بالقبول، فرده من حيث الإسناد، وقبله من حيث المعنى، وقد حكم بصحة جملة من الأحاديث لا تبلغ درجة هذا ولا تقاربه).

وقال الحافظ أيضاً في التهذيب (٢٢٩/١٠) : (وصحح حديثه عن أبي هريرة رضي الله عنه في البحر ابن خزيمة، وابن حبان، وابن المنذر، والخطابي،

والطحاوي، وابن منده، والحاكم، وابن حزم والبيهقي، وعبد الحق،  
وآخرون<sup>(١)</sup>.

وقال الزرقاني في شرح الموطأ (١/١٣٢) : (وهذا الحديث أصل من  
أصول الإسلام تلقته الأئمة بالقبول، وتداولته فقهاء الأمصار في سائر  
الأعصار في جميع الأقطار).

\* \* \*

---

(١) وقد سبق في الفصل الأول في التخريج توثيق تخريج الأئمة الذين أشار إليهم الحافظ  
للحديث في كتبهم وصحاحهم، وأما ابن المنذر فقد وصفه بالحديث الثابت في الأوساط  
(١/٢٤٨) ، وتصحيح الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/٣٨) ، وعبد الحق حسنه  
في كتابه (الأحكام الشرعية الكبرى) (١/٤١٥) ، وأما الخطابي فشرحه في معالم السنن  
(١/٤٣) ولكن لم أقف على تصحيحه له ، وتصحيح ابن منده لم أقف عليه في كتبه ،  
وإنما نقله أيضاً الحافظ مغلطاي في شرح سنن ابن ماجه (١/٣١٣) ، وأما تصحيح ابن  
حزم فلم أقف عليه في المحلى بل وقفت على ما يشير إلى تضعيفه عنده (٧/٦) ،  
وتصحيح البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/١٣٧).

## الخاتمة

### أهم النتائج :

- ١ - مكانة حديث البحر عند العلماء، وأنه أصلٌ من الأصول العظيمة في الإسلام، فهو نصف علم الطهارة، تلقاه العلماء بالقبول والعمل، في سائر الأعصار، ومختلف الأمصار، لاشتماله على جملة من القواعد المهمة.
- ٢ - عند دراسة الرواة المقلين يجب اعتبار أحوالهم الاجتماعية، ومناصبهم كالقضاء، ومن خرّج حديثهم، أو حكم عليه، لجمع القرائن المعينة على النظر في حالهم في الرواية.
- ٣ - إذا اجتمع عددٌ من الثقات الحفاظ واختلفوا في الرواية عن المدار، فمحتملٌ أن يكون الاضطراب من المدار نفسه، وأنه لم يحفظ هذا الخبر، لذلك روى الحفاظ عنه ما سمعوه منه.
- ٤ - المكانة العظيمة لدواوين السنة الشهيرة كالكتب الستة، وموطأ مالك، ومسنّد أحمد، وتضمنها للأوجه المحفوظة الصحيحة في الغالب في الأحاديث المختلف فيها، بينما الأوجه المعلة غالباً ما ينفرد به مصدر أو اثنان من غيرها ولا تشتهر كشهرة الوجه المحفوظ.
- ٥ - هذا الحديث مثال عملي لما تقرر من أن ليس كلُّ الصحيح في صحيح البخاري، فقد ترك الإمام البخاري كثيراً من الأحاديث الصحيحة، ومنها ما حكم هو بنفسه بصحتها، كحديث البحر.

### ومن توصيات الباحث :

- ١ - دراسة الأحاديث الجوامع العظيمة، التي وصفها أئمة الحديث بأنها تجمع وتضبط أصول الشريعة وأحكامها في شتى أبواب الدين، والعناية بها عناية حديثة تتعلق بتخريجها، ودراسة روايتها، واختلافهم، وطرقها،

وعلها، والحكم عليها - وهو ما قامت به هذه الدراسة - ، مما يسهل على الفقيه استنباط الأحكام والمسائل الفقهية منها .

٢ - الوصية بالعبادة والاهتمام بعلم الحديث، لأهميته، وتميز علوم السنة النبوية به، فحتى المستشرقين انبهروا من قوة ميزان النقد عند المحدثين فيما يخص دراسة العلة ونقدها سنداً وامتناً ؛ ومقارنة ذلك ببقية نصوص الشريعة، ومقاصدها العظيمة، ذلكم أنه علمٌ متكامل الأسس والقواعد، ولا يقوم على الخرص والاجتهادات العشوائية، بل هو قائمٌ على منهجٍ مُقَدَّرٍ بأصول وضوابط، في نقد السند، والمتن مُدَعَّمٌ بأقوال وتطبيقات أئمة النقد الأوائل، وهم فرسان الصناعة الحديثية .

فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وهو اجتهادٌ أستغفر الله تعالى عنه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## مراجع البحث

- الأحد والمثاني. ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق د. باسم ابن فيصل الجوابرة، دار الرأية، الرياض ١٤١١هـ، ط ١.
- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان. ابن بلبان، علي بن بلبان الفاسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- الأحكام الشرعية الكبرى، عبدالحق، أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: حسين عكاشة، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، حققه: سالم عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
- الإصابة في معرفة الصحابة. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، دار الكتب العلمية.
- الإعلام بسنته عليه الصلاة والسلام شرح سنن ابن ماجه، مغطاي، علاء الدين مُغَلُطَاي بن قَلِيحُ بن عبد الله البَكْجَرِي الحنفي، مكة، مكتبة الباز، ط ١، ١٤١٩هـ.
- الأم. الشافعي، محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣.
- الأنساب. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق د. صغير حنيف، الرياض، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- البحر الزخار. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ١٤١٤هـ.

بلدان الخلافة الشرقية. كي لسترنج، ترجمة : كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

التاريخ الكبير. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت .

تاريخ بغداد . الخطيب . أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

تقريب التهذيب . ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق أبي الأشبال، ط ١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ .

تلخيص الحبير. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم، مدار المعرفة. (د.ط) (د.ت) .

التمهيد. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن ابن عبد البر، تحقيق جماعة، وزارة الأوقاف، المغرب . (د.ط) (د.ت) .

تهذيب التهذيب، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، اعتناء إبراهيم وعادل، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ .

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٨هـ.

الثقات. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، مراقبة محمد خان، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٣٩٣هـ

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، بتحقيق : محمد عجاج الخطيب، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ

الجرح والتعديل . ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مجلس



- دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٣٧١هـ، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- الحاوي الكبير في فقه الشافعي، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ .
- السنن (المجتبى). أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ .
- السنن. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط ١، ١٤١٩هـ .
- السنن . أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق زمزلي والعلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ .
- السنن . محمد بن يزيد، ابن ماجة القزويني، تحقيق محمد فؤاد، المكتبة الإسلامية، تركيا .
- السنن، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت .
- السنن الكبرى . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ .
- السنن. الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، دار عالم الكتب، بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ .
- سير أعلام النبلاء . الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ .
- شرح الزرقاني على موطأ مالك. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ .
- شرح علل الترمذي ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي، تحقيق د. همام عبد الرحيم، الأردن، دار المنار، ط ١، ١٤٠٧هـ .

الصَّحِيح . ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٩٠هـ .

الجامع الصحيح . محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، (د.ط)، استانبول، ١٣١٥هـ

الصحيح . مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، ١٤١٢هـ .  
الضعفاء الكبير. العقيلي، محمد بن عمرو أبو جعفر العقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ .

طبقات علماء أفريقيا . أبو العرب القيرواني، محمد بن أحمد بن تميم الإفريقي، أبو العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت .

الطهور. أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق : مشهور حسن سلمان، ط ١، ١٤١٤هـ .  
العلل الكبير. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى - ترتيب أبي طالب القاضي -  
تحقيق حمزة مصطفى، مكتبة الأقصى، الأردن، ط ١، ١٤٠٦هـ .

العلل الواردة في الأحاديث النبوية. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ .

الكاشف . للذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة علوم القرآن، ط ١، ١٤١٣هـ .

الكامل في ضعفاء الرجال . ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي، تحقيق عادل وعلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ .

كتاب التمييز، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق د. الأعظمي، الرياض، مكتبة الكوثر، ط ٣، ١٤١٠هـ .

المحلّي . ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق أحمد شاكر، دار الفكر، بيروت .

المستدرک علی الصحیحین . الحاکم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ .

المسند . أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ١، الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ .

المصنف . ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ .

المصنف . عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ .

معالم السنن في شرح سنن أبي داود، الخطابي، حمد بن سليمان البستي، حلب، المطبعة العلمية، ط ١، ١٣٥١هـ .

معجم البلدان . ياقوت الحموي، تحقيق : فريد الجندي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ .

معجم الصحابة . البغوي، عبد الله بن محمد أبو القاسم البغوي، تحقيق محمد الأمين الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ .

معرفة السنن والآثار . للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، تحقيق قلعجي، دار الوعي ودار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤١١هـ .

معرفة الصحابة . أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، بتحقيق عادل العزازي، دار الوطن، الرياض ط ١، ١٤١٩هـ .

المنتقى . ابن الجارود، عبد الله بن علي النيسابوري، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ .

الموطأ. مالك، مالك بن أنس الأصبحي - برواية الليثي - تحقيق خليل مأمون، دار  
المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال. الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي  
البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

نصب الرأية. الزيلعي، عبد الله بن يوسف، دار المأمون، القاهرة، ط ١، ١٣٥٧هـ  
النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،  
تحقيق دربيع المدخلي، الرياض، دار الراية، ط ٣، ١٤١٥هـ.

\* \* \*

Al-Ma'rifah.

Al-Zayī`alī, A. Y. (1357AH). NaSab Al-Ryiwāyah. (1st ed.). Egypt: Dār Al-Ma'amuun.

Al-'Asqalānī, A. A. (1415ah). Al-MwuaTa. (3rd ed.)(D. R. Al-Madkhalī, Ed.).Riyadh: Dār Al-Rāyah.

Othmān, 'A. M. (n.d.). 'Athar 'Arā Al-khawātij. (1st ed.). Sharjah: Maktabat Al-'ASala wa Al-Turāth.

'Ibn Tayimiyih, A. A. (1411ah). Al-'Istīqāmah. (2nd ed.) (M. R. Sālim, Ed.).Riyadh: 'Idārat Al-Thaqāfah wa Al-Nashir bi Jāmi`at Al-'Imam MuHamd bin Sa`ud Al-'Islamiyah.

Al-Kliyni, (2005). 'USūl Al-Kāfī. (1st ed.) Lebanon, Beirut: Dār Al-MurtaDHa lilTibā`ah wa Al-Nashr.

Al-Maqdisī. A. (n.d.). 'T`dād Al-qādah Al-Fawāris bi Hijar Fasād Al-Madāris. Manbar Al-TawHeed wa Al-Jihād.

'Ibn Lādin (n.d.).'T`lān Al-Jihād. Mawqi' 'T Hy'a Al-FarīDHah Al-ghā'ibah.

Al-Jarbu` (1422AH.). Al-'T`lām bi Wujub Al-Hijrah min Dār Al-Kufr `ila Dār Al-Islam.(n.p)

Halimah, A. M. (2002). 'A`māl Tukhrij SāHibaha min Al-Milah. (n.p.).

Shabar, A. (1983). Al-'Anwār Al-lāmi`ah fi SharH Ziyārt Al-Jami`ah (1st ed.). Lebanon: Mu'asasat Al-Wafa.

Al-Mufīd (1413AH). 'Awā'il Al-Maqālāt. (1st ed.) ('I. Al-'AnSārī, Ed.).Al-Mu'tamar Al-`ālāmī li 'Ulfiyat Al-Shikh Al-Mufyid.

\* \* \*

'Ibn 'Udī, A. A.(1418AH). Al-Kāmil fi Dhu`afa Al-Rijāl. (1st ed.)(`A & `A, Ed.).Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīyah.

Muslim, A. M. (1410AH). Kitāb Al-Tamyīz. (3ed ed.) (D. Al-'A`DHamī, Ed.).Riyadh: Maktabat Al-Kawathr.

'Ibn Hazim, A. A. (n.d.). Al-MaHala. ('A. Shākir, Ed.).Beirut: Dār Al-Fikir.

Al-Hākim, A. A.(1411AH). Al-Mustadrik `ala Al-SaHiHayin. (1st ed.)(M. 'Abd Al-Qādir, Ed.).Beirut: Dār Al-Kutub Al-'ilmīyah.

Hanbal, A. M. (1420AH). Al-Musnad. (1st ed.)(Al-'ArnūT & others, Ed.).Beirut: Dār Al-Risalah.

'Ibn 'Abī Shayibah, A. M.(1409AH). Al-MuSanf. (1st ed.)(K. Al-Hwut, Ed.).Beirut: Dār Al-Hanan.

`Abd Al-Razāq, H. A.(1403AH). Al-MuSanf. (2nd ed.)(H. A. Al-'A`DHamī, Ed.).Beirut: Al-Maktab Al-'Islamī.

Al-KhiTābī, H. S. (1351AH). Ma`ālim Al-Sunan fi SharH Sunan 'Abi Dāwud. (1st ed.)(K. Al-Hwut, Ed.).Halab: Al-MaTba`a Al-'ilmīyah.

Al-Hamwī, Y.(1410AH). Mu`jam Al-Buldān. (1st ed.) (F. Al-Jundī, Ed.). Dār Al-Kutub Al-'ilmīyah.

Al-Baghawi, A. M.(1421AH). Mu`jam Al-SaHabah. (1st ed.)(M. A. Al-Jankī, Ed.).Kuweit: Maktabt Dār Al-bayān.

Al-Bayhaqi, A. A.(1411AH). Ma`rifat Al-Sunan wa Al-'athār. (1st ed.)( Al-Qal'ajī, Ed.).Eqypt: Dār Al-Wa`yi wa Dār Al-Wafa.

Al-ASbahānī, A. A.(1419AH). Ma`rifat Al-SaHābah. (1st ed.)(`A. Al-'Azāzi, Ed.).Riyadh: Dār Al-WaTan.

Al-Nīsāburī, A. A.(1417AH). Al-Muntaqa. (1st ed.). Beirut: Dār Al-Qalam.

Al-'ASbaHī, M. (1420AH). Al-MwuaTa. (1st ed.)(KH. M'amwūn, Ed.).Beirut: Dār Al-Ma'rifah.

Al-Dhahabī, M. A. (n.d.). Myīzān Al-'Ttidāl. (A. Al-bajāwī, Ed.).Beirut: Dār

Al-Kutub Al-'Ilmīyah.

Al-Buhaiqī, A. A. (1414AH). Al-Sunan Al-Kubra (M. A. A`Ta, Ed.).Beirut:  
Dār Al-Kutub Al-'Ilmīyah.

Al-Dārqaṭnī, A. `U. (1406AH). Al-Sunan (4th ed).Beirut: Dār `ālm Al-  
Kutub.

Al-Zahabi, M. A. (1402AH) Siar 'A`lām Al-Nubal'a (2nd ed.) (Sh. Al-  
'arnu'ūT, et al. Ed.). Beirut: Mu'asasat Al-risālah.

Al-Zarqānī, M. A. (1411AH). SharH Al-Zarqānī `Ala Muwaṭa  
Mālik .Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīyah.

Al-Hanblī, 'I. & Al-Baqdādī, Z. A. (1407AH). SharH 'Ilal Al-tirmidhī ( D.H  
'Abd Al-raHyīm, Ed.) .Jordan: Dār Al-manār.

'Ibn khuzyimah, A. M. (1390AH). Al-SaHīH (1st ed.)(M. M. 'ala`DHami,  
Ed.). Al-maktab Al-'islāmī.

Al-Bukhārī, M. 'I. (1315AH). Al-Jāmi` Al-SaHīH . Istanbul: Al-maktab Al-  
'Islāmī.

'Ibn Hajāj, M. (1412AH). Al-SaHīH (M. F. `abd Al-bāqī, Ed.).

Al-`Aqīlī, M. A. (1404AH). Al-Dhu`afā Al-kabīr. (1st ed.)(`A. M. qal`ahī,  
Ed.).Beirut: Dār Al-Kutub Al-'ilmīyah.

Al-Qayrawānī, A, Al-'Ifrīqī, M. & 'Abo Al-`arab. (n.d.). Tabaqāt `Ulamā'  
Ifīrīqiā . Beirut: Dār Al-Kutub Al-Lubnaniyah.

'Ibn-Salām, A. Q. (1414AH). Al-Tahūr. (1st ed.)( M. H. Salmān, Ed.).

Al-Tirmidhī, A. 'I. (1406AH). Al-'Ilal Al-kabīr. (1st ed.)(A. Al-qādhī & H.  
MuSTafa, Ed.).Jordan: Maktabat Al-AqSa.

Al-Dārqaṭnī, A. `U. (1405AH). Al-'Ilal Al-Wāridah fī Al-'AHādith Al-  
Nabawiyah. (1st ed.) (M. A. Al-Slafī, Ed.).Ryadh: Dār Tyibah.

Al-Dhahabī, M. A. (1413AH). Al-Kāshif (1st ed.)( M. 'Awāmah, Ed.).  
Muwasat `Ulum Al-Qurān.

'Ibn Hajar, A.A. (1416 AH). Taqrib Al-Tahdhīb. (1st ed.) ('Abi Al-ashbāl, Ed.). Riyadh: Dār Al-`aSimah.

'Ibn Hajar, A.A. (n.d.). TalkhīS Al-Hbīr. ( A. Hāshim., Ed.). Madār Al-Ma`rifah.

'Ibn `Abd Al-bir, A.Y. (n.d.). Al-Tamhīd. (W. Al-'awqāf & others, Ed.). Morocco.

'Ibn Hajar, A.A. (1416AH). Tahdhīb Al-Tahdhīb (1st ed.) ('I & `A, Ed.). Beirut: Mwuasat Al-risālah.

Al-Muzri, A. J. (1418AH) Tahdhīb Al-Kamāl fi 'Asma Al-rijāl (1st ed.) (B. `Awād. Ed.). Beirut: Mu'asat Al-risālah.

'Ibn Habān, A. M (1393AH). Al-Thiqāt (1st ed.) (M. khan, Ed.). India: Majlis da'irat Al-ma`ārif.

Al-khaTīb, A. A. (1412AH) Al-Jāmi` li 'akhlāq Al-Rāwi wa 'Adāb Al-Sāmi' (1st ed.) (M. 'A. Al-khaTīb, Ed.). Beirut: Mu'asat Al-risālah.

Al-Rāzi, 'I. 'A (1371AH). Al-JarH wa Al-ta`adīl (1st ed.).I ndia: Majlis da'irat Al-ma`ārif, Beirut: taSyīr dār 'iHya' Al-turāth Al-'arabī.

Al-Māwardī, A. A. (1414AH). Al-Hāwi Al-kabīr fi fiqh Al-Shafi'i (1st ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīyah.

Al-Nisā'i, A. B. (1420AH). Al-Sunan (Al-mujtaba) (5th ed.). Beirut: Dār Al-ma`rifah.

Al-Sijistānī, A. S. (1419AH). Al-Sunan (1st ed.)( M. 'Awāmah, Ed.). Jeddah: Dār Al-Qiblah.

Al-Dārāmī, A. A. (1407AH). Al-Sunan (1st ed.)( Z & `A, Ed.). Beirut: Dār Al-kitāb Al-'arabī.

Yazid, M. & Al-Qizwīnī, 'I (n.d.). Al-Sunan (1st ed.)( M. Fu'ād, Ed.). Turkey: Al-Maktabah Al-'Islāmīyah.

Al-Tirmidhī, A. M. (n.d.). Al-Sunan (A. shākīr & others, Ed.).Beirut: Dār



## List of References:

### Works cited

Ibn Abi Asim, A. A. A. (1411). Al'aHad wa Almathāni (1st ed.). (Dr. B. F. Al-Jawabrah ed.) Riyadh: Dar Al-Raya.

Ibn Bilban, A. B. A. (1414). Al'iHsan fi Tartib SaHiH Ibn Hibban (2nd ed.) (S. Arnaout ed.). Mo'sasat alresalah.

Abdul-Haq, A. A. A. (1422). Al'aHkam Alshar`iyah Alkubra (1st ed.). (H. O`kasha ed.) Riyadh: Maktabat Al-Rushed

Ibn Abdul-Bar, A. Y. A. A. (1421). Al'istidhkar Li Madhahib `Olama' Al'imsar Fima TaDHamanhū AlmoaTe' Min Ma`ani Alra'i wa Al'thar (1st ed.) (S. `Atta ed.) Beirut: Dar Al-Kutub Al`ilmyah.

Ibn Hajar, A. A. A. Al'iSabh Fi Ma`refat AlSaHabah. Dar Al-Kotob Al`ilmyah.

Mughlatai, A. M. Q. A. A. A. (1419) Ali`lam be Sunnateh `alih alSalat wa Alsalam SharH Sunan Ibn Majah (1st ed.) Makkah: Maktabat Al-Baz

Al-Shafi`i, M. I. (1993). Al'om (2nd ed.) Beirut: Dar al-Ma`arifah.

As-Sam`ani, A. A. M. (1419). Al'ansab (1st ed.). Beirut: Dar EHiya'a turath Al`Arab.

ibn al-Mundhir, A. M. I. A. A. (1415) Al-'Awsat fi Alsunan wa al'ijma` wa al'ekhtilaf (1st ed.) (Dr. S. Hanif ed.) Riyadh: Dar Taiba.

Al-Bazār, A. A. (1414 AH). Al-BiaHr Alzakhār. (1st ed.) (M. A. AlSalafi, Ed.). Al-Madinah: Maktabat Al-`ulūm wa Al-Hikam.

Llstrinq, K.(1405AH). Buldān Al-khilafah Al-sharqiah( 2nd ed.)(K. 'Awād, Trans.). Muw'asasat Al-Risalah.

Al-Bukhārī, M.(n.d.) Al-Tarikh Al-kabir (A. Y. Al-Mu`alimi, Ed.). Beirut: Dār Al-kutub Al-`ilmiyah.

Al-khaTib, A. (n.d.) Tarīkh Baghdād. Beirut: Dār Al-kutub Al-`arabi.

Differences among Narrators in the Hadith of Abu Hurayrah  
on the Sea:

Study of the Method and Flaws of Narration

**Dr. Tariq Awodah Alawodah**

Associate Professor

Department of Prophetic Sunnah

College of fundamentals of religion

Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

**Abstract:**

The current research aims to highlight the differences among the narrators of an important Hadith which accounts for half the rulings on cleanliness in Islam. It also aims to collect its scattered versions, authenticate them and study their chain of narration and flawness, and discuss the narrators who found flaws which led them to doubt this Hadith. The study will illustrate the distinctive place of Hadith of the Sea among scholars, showing its foundations and principles in shari'a. It will also illustrate the prominent status of famous Sunnah anthologies such as the grand nine books, which contain the correct preserved versions of the majority of Hadiths, whereas disputed faulty ones are assigned to other books.

This hadith gives a practical example showing that Imam Al-Bukhari did not commit himself to collecting all the correct Hadiths in his book, and that what he left out is more than what he included. In some cases he gave his judgement concerning correctness; additionally, he examined the social situation of the narrators and scholars whose hadiths he authenticated, while, when studying small-corpus narrators, he gathered circumstantial evidence to establish their social situation. The current work has identified an important rule for weighing Hadith in case of difference: when a number of trusted memorizers dispute a given narration from the maSdar (source), then it is possible that the disturbance originates in the maSdar itself, since this was not preserved, and the narrators reported what they had heard.

The paper recommends that special attention is paid to the grand universal Hadiths described as the foundation of Islam, and that significance should be given to the study of difference in hadith narration, which makes an important part of the foundation of the study of faulty hadith.

Keywords: Prophet Muhammad Hadith - The sea hadith, flawness, difference cleanliness.

احتساب النبي ﷺ  
مراتبه ، درجاته ، ثمراته

د . محمود بن عبد الهادي دسوقي علي العزاوي  
المعهد العالي للدعوة والاحتساب  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## احتساب النبي ﷺ

مراتبه ، درجاته ، ثمراته

د. محمود بن عبد الهادي دسوقي علي العزاوي

المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ قبول البحث: ٢١ / ٨ / ١٤٢٩هـ

تاريخ تقديم البحث: ١٨ / ٦ / ١٤٢٩هـ

### ملخص الدراسة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، لم يسر الاحتساب في عصر النبوة على صورة واحدة، بل اتخذ عدة صور، فقد سلك النبي ﷺ في احتسابه على من وقع في المنكرات وترك المأمورات مراتب ودرجات وسمات من المهم إبرازها وبيانها. ولمراتب تغيير المنكر درجات، ولها سمات، ويترتب على القيام بها ثمرات، وهذا ما سنتعرف عنه في تلك الدراسة. وتبرز أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

- أهمية فقه المحتسب للاحتساب وأنه ليس على درجة واحدة، خاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه الأفهام.
  - الاقتداء بفعل النبي ﷺ في الاحتساب ولن يكون ذلك إلا بإبراز جوانب من احتسابه ﷺ والوقوف على ما يستفاد منه.
  - الحاجة إلى جمع ما يتعلق بفقه احتساب النبي ﷺ من دواوين السنة النبوية والسيرة في سفر واحد.
- وقد هدفت من هذه الدراسة إلى ما يلي:
- التعرف على جانب من سيرة النبي ﷺ والتي تتعلق بمراتب ودرجات وسمات وثمرات احتسابه ﷺ.
  - بيان فقه احتساب النبي ﷺ في تغيير المنكرات وأنه لم يلزم فيها درجة واحدة ولا حالة واحدة بل اتخذ عدة مراتب ودرجات.



## المقدمة:

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ  
أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا  
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ  
﴿١٠٢﴾ آل عمران: ١٠، ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١، ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ  
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾  
الأحزاب: ٧٠ - ٧١، أَمَا بَعْدُ<sup>(١)</sup>.

لم يسر الاحتساب في عصر النبوة على صورة واحدة، بل اتخذ عدة صور،  
فقد سلك النبي ﷺ في احتسابه على من وقع في المنكرات وترك المأمورات  
مراتب ودرجات وسمات من المهم إبرازها وبيانها، ويرجع ذلك إلى ما يلي:

- أن المنكرات والمخالفات الشرعية ليست على درجة واحدة، فمنها  
البدع، ومنها الكبائر والمهلكات، ومنها الصغائر، ومنها المكروهات، فعلى  
حسب نوع المنكر كانت مرتبة الاحتساب.

١ - رواه النسائي في سننه، كتاب النكاح، ما يُستحبُّ مِنَ الْكَلَامِ عِنْدَ النَّكَاحِ، رقم  
الحديث (٣٢٧٨)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، بَابُ حُطْبَةِ النَّكَاحِ، رقم  
الحديث (١٨٩٢)، وصححه الحاكم في المستدرک، رقم الحديث (٢٧٤٤)، وابن حبان  
في صحيحه، رقم الحديث (٦٥٦٨) والألباني في مشكاة المصابيح، برقم (٥٨٦٠).

● أن فاعلي المُنكَر ليسوا سواء، فمنهم الجاهل بالحكم، ومنهم غير القاصد للوقوع في المعصية، ومنهم المتكبر المعاند، ومنهم من ضعف أمام المغريات، ومنهم النادم على ما فعل، فعلى حسب حال فاعل المُنكَر كانت درجة الإنكار.

● أن القائمين بالتغيير ليسوا في درجة واحدة، فمنهم من له ولاية على مرتكب المنكر، ومنهم من ليس له ولاية عليه. فالتغيير باليد يتعين على "السلطان ونوابه في الولايات العامة، ويكون أيضاً من صاحب البيت في أهل بيته في الولايات الخاصة"<sup>(١)</sup>.

**والاحتساب المراد في الدراسة:** "فعل المُحْتَسِب ومباشرته للاحتساب سواء بالأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر"<sup>(٢)</sup>. و"القيامُ فعلاً بالحسبة؛ كأن يأمر المُحْتَسِبُ بفعلٍ معينٍ بكيفية معينة، أو يزيل منكراً بيده؛ كأن يكسره، أو يمزقه، أو يتلفه، أو يدفع صاحب المُنكَر بيده، وبالقوة عما هو فيه"<sup>(٣)</sup>.

**والمراد بمراتب تغيير المُنكَر وإنكاره:** ما يكون: باليدِ واللِّسانِ والقلبِ، وعلى المُحْتَسِب معرفة المرتبة المناسبة للتغيير، وهذا من المهمات الأساسية التي ينبغي معرفتها، فلتغيير المُنكَر فقه، فيكون "باليد مع القدرة، وباللسان

(١) - فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (١ / ١١٧).

(٢) - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، (١ / ٣٥١).

(٣) - أصول الدعوة ص ١٩٥.



عند عدم المُكْنَةِ، وبالقلب عند خوف الفتنة، والعجز عن القيام بالفريضة وهو أضعفها" (١).

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن "الإنكار بالقلب واللسان قبل الإنكار باليد، وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق والعصاة من أقوالهم وأفعالهم؛ يذكر ذلك على وجه الذم والبغض لها ولأهلها وبيان فسادها وضدها والتحذير منها... وتغيير القلب يكون بالبغض لذلك وكراهته، وذلك لا يكون إلا بعد العلم به وبقبحه ثم بعد ذلك يكون الإنكار باللسان ثم يكون باليد" (٢).

وكذلك لتغيير المنكر درجات أشار إليها الغزالي رحمه الله بقوله: "وله درجات وآداب، أما الدرجات فأولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود" (٣).

فالمراتب تغيير المنكر درجات، ولها سمات، ويترتب على القيام بها ثمرات، وهذا ما سنتعرف عنه في تلك الدراسة. وتبرز أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

- أهمية فقه المحتسب للاحتساب وأنه ليس على درجة واحدة، خاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه الأفهام.

(١) الاحتساب وأثره في تغيير المنكر، ص ٣١.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٣) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٢٩).

- الاقتداء بفعل النبي ﷺ في الاحتساب ولن يكون ذلك إلا بإبراز جوانب من احتسابه ﷺ والوقوف على ما يستفاد منه.
- الحاجة إلى جمع ما يتعلق بفقه احتساب النبي ﷺ من دواوين السنة النبوية والسيرة في سفر واحد.

### وقد هدفت من هذه الدراسة إلى ما يلي :

- ١ - التعرف على جانب من سيرة النبي ﷺ والتي تتعلق بمراتب ودرجات وسمات وثمرات احتسابه ﷺ.
- ٢ - بيان فقه احتساب النبي ﷺ في تغيير المنكرات وأنه لم يلزم فيها درجة واحدة ولا حالة واحدة بل اتخذ عدة مراتب ودرجات.

### منهج الدراسة :

لما كانت هذه الدراسة تتحدث عن جانب من سيرة النبي ﷺ المتعلق بفقه الاحتساب، وكذلك بدراسة جزء من السنة النبوية المطهرة المتعلقة بموضوع فقه احتساب النبي ﷺ وجمع ما يتعلق بذلك ناسبها أن يسلك الباحث فيها المنهج الاستقرائي<sup>(١)</sup> المقترن بالتحليل والاستنباط<sup>(٢)</sup>، وهكذا يسلك المتخصصون في أمثال هذه الدراسات هذا المنهج لذلك سأقتفي أثرهم وأسير على دربهم.

- 
- (١) - ويعتمد المنهج الاستقرائي على جمع المادة العلمية واستقراء النصوص وتصنيفها للوصول إلى قواعد وأحكام عامة. كيف تكتب بحثاً ناجحاً، (ص ٣١).
  - (٢) - ويقوم على أساس عرض الآراء وتحليلها، وتوضيح غامضها، وينبغي أن يقترن التحليل بالتعليل. «كيف تكتب بحثاً ناجحاً» (ص ٣١) باختصار.

أما منهجي في تخرّيج الأحاديث فكان على النحو التالي :

- تخرّيج الأحاديث من مصادرها الأصلية.
- ما ذُكر في الصحيحين أو أحدهما أقتصرُ عليه تخرّيجاً، ولا أُطيل في تخرّيجه من الكتب الأخرى وإن وُجدت فيها، إلا إذا وجدت لفظة ذُكرت في غيرهما ويحتاج الباحث إلى ذكرها للدلالة على معنى يخدم الفكرة التي يُقرّها.
- لن أحكمَ على ما في الصحيحين، إذ هما أصحُّ كتابين بعد كتاب الله عز وجل وقد تلقت الأمة ذلك بالقبول.
- ما ذكر في غير الصحيحين خرّجته وحكمتُ عليه، فإن وُجد من حكّم عليه من العلماء المعترّين قديماً وحديثاً اكتفيت بالحكم على الحديث من خلال أقوالهم حتى لا نخرجَ عن مقصود الدراسة.
- لن أذكرَ بيانات مراجع كتب السنة والتخرّيج وكذلك بقية المراجع عند أول ذكرها في العزو إليها، وسأكتفي بذكرها في فهرس المراجع في نهاية الدراسة.

### تقسيمات الدراسة :

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ومطلّبين وخاتمة. تحدثت في المقدمة عن: أهمية الدراسة، وأهدافها، والمنهج الذي سلكته، وتقسيماتها. وسأبين في هذه الدراسة مراتب ودرجات وسمات وثمرات الاحتساب في عصر النبوة في المطلّبين التاليين :

**المطلّب الأولُ: مراتبُ ودرجاتُ احتساب النبي ﷺ.**

**أولاً: مرتبةُ تغيير المنكر باليد ودرجاتها.**

ثانياً: مرتبة تغيير المُنكَر باللسان ودرجاتها.

ثالثاً: مرتبة إنكار المُنكَر بالقلب.

**المطلب الثاني: ثمرات احتساب النبي ﷺ.**

أولاً: انتشارُ الفضيلةِ والأمنِ والأمانِ وانحدارِ الرزيلةِ.

ثانياً: التَّمَكِينُ فِي الأَرْضِ.

ثالثاً: نُزُولُ البَرَكَاتِ وَفَتْحُ الدُّنْيَا عَلَى الصَّحَابَةِ.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وذيلت البحث بفهرس للموضوعات.

فهذا جهدي أودعته هذه الدراسة، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله وحده، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، ويبقى النقص والقصور من طبيعة البشر، وأستغفر الله من كل زلة قلم أو فكر. وأسأل الله أن يجعل عملي هذا صواباً ولوجهه خالصاً، وأن ينفعني به يوم يقوم الأشهاد.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه، وعلى كل من سار على دربه واستن بسنته إلى يوم الدين.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: مَرَاتِبُ وَدَرَجَاتُ وَسِمَاتِ الْاِحْتِسَابِ فِي عَصْرِ النَّبُوَّةِ.  
أولاً: مرتبة تغيير المنكر باليد ودرجاتها.

من مراتب تغيير المنكرات التي سلكها النبي ﷺ إزالة المنكر باليد، وهذه المرتبة من أعلى مراتب التغيير وأقواها، ولها ضوابط، فلا يصح استخدام هذه المرتبة إلا للمحتسب الرسمي، ومن له ولاية على المحتسب عليه كالرجل في احتسابه على أبنائه وزوجته وأخواته إن كانوا تحت ولايته، ومن له صلاحيات في العمل الذي يعمل فيه، وغير ذلك.  
ومن تأمل احتساب النبي ﷺ يعلم فقهه في المرتبة المستعملة في تغيير المنكر، حيث نجد ما يلي:

- اختلاف الإنكار وتغيير المنكر باختلاف مقترف الذنب.
  - وتحقيق المصلحة وهي زوال المنكر.
  - وعدم استخدام المرتبة الأعلى ما دامت الأدنى ستؤدي الغرض.
- يدل على ذلك تلك الواقعة التي ذكرها عباد بن شرحبيل حيث قال: قَدِمْتُ مَعَ عُمُومِي الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيَطَائِهَا ، فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ ، فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ ، فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَجَاءَ وَإِيهِ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَا عَلِمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا ، وَلَا أَطَعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ، ارْزُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ ، وَأَمْرٌ لِي رَسُولُ اللَّهِ يَوْسُقُ أَوْ يَنْصَفُ وَسُقٍ"<sup>(١)</sup>.

(١) - أخرجه الطيالسي في "مسنده" برقم: (١٢٦٥) وابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب البيوع والأقضية ، من رخص في أكل الثمرة إذا مر بها) برقم: (٢٠٦٩٣) وأحمد

فيدل الحديث على البدء بالاحتساب بالمرتبة التي يتم بها زوال المنكر بالأخف والأسهل إن أدى ذلك إلى تغيير المنكر، وقد قرّر غير واحد من أهل العلم البدء بالأخف في التغيير إن أدى ذلك إلى حصول المقصود، ومن ذلك ما يلي:

قال ابن حجر رحمه الله: "إنّ المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفي به عن الأعلى من العقوبة، نبّه عليه ابن دقيق العيد"<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري رحمه الله: "كيف يباشر الإنكار؟ قلت: يتدبّر بالسهل، فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب؛ لأنّ الغرض كف المنكر"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن العربي رحمه الله وهو يتحدث في مسألة "ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ

---

في "مسنده" برقم: (١٧٧٩٣) وابن ماجه في "سننه" (أبواب التجارات، باب من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه) برقم: (٢٢٩٨) وأبو داود في "سننه" (كتاب الجهاد، باب في ابن السبيل يأكل من التمر ويشرب من اللبن إذا مر به) برقم: (٢٦٢٠) والنسائي في "المجتبى" (كتاب آداب القضاة، باب الاستعداد) برقم: (٥٤٢٤) والحاكم في "مستدرکه" (كتاب الأطعمة، حكاية مولى أبي اللحم حين أصابته مجاعة شديدة) برقم: (٧٢٧٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في "سننه الكبير" (كتاب الضحايا، باب ما يحل للمضطر من مال الغير) برقم: (١٩٧٢٣) والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" برقم: (٢٩٨)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٤/٥): روى حديثه أبو داود والنسائي، وابن أبي عاصم بإسناد صحيح.

(١) - فتح الباري، لابن حجر (١٣٠/٢).

(٢) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (١/٤٢٦).

يَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقْلِهِ، وَذَلِكَ أضعفُ  
 الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>. وفي هذا الحديث من غريب الفقه أن النبي ﷺ بدأ في البيان بالأخير  
 في الفعل، وهو تغيير المُنْكَر باليد، وإنما يبدأ باللسان والبيان، فإن لم يكن  
 فباليد. يعني أن يحول بين المُنْكَر، وبين متعاطيه بنزعه ويجذبه منه، فإن لم  
 يقدر إلا بمقاتلة وسلاح فليتركه، وذلك إنما هو إلى السلطان؛ لأن شهر  
 السلاح بين الناس قد يكون مخرجاً إلى الفتنة، وأيلاً إلى فساد أكثر من الأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله: "كيفية الإنكار على من يفعل  
 المُنْكَر يختلف باختلاف حال الفاعل، وما يناسب حاله، فينبغي للمُحْتَسِبِ  
 أن يستعمل في إنكاره الكيفية التي تكون أنسب وأجدى في زوال المنكر،  
 وذلك بأن يراعي مقامه ومنزله، ثم يسلك معه أقرب الوسائل إلى حصول  
 المقصود، وهو الصلاح، فيكون قد أتى بالأمر والنهي بالصرط المستقيم،  
 الذي أمر به، ومثله في ذلك كالطبيب الذي يعطي المريض من الدواء ما  
 يناسب حاله ومزاجه"<sup>(٣)</sup>.

ومن تأمل حال النبي ﷺ في استعمال هذه المرتبة يجد أنه سلك فيها درجات،  
 وتلك الدرجات هي:

- (١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) برقم: (٤٩).
- (٢) - أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٣٨٣).
- (٣) - القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١١٦.

١ - إزالة المنكر، وتغييره بأمره غيره ليغيره.

ومن أمثلة إزالة النبي ﷺ المنكر بأمره غيره؛ ليغيره ما يلي:

- أرسل عليًا لتكسير الأصنام، وأمره ألا يترك صنمًا إلا ويزيله، ويطمس الصور.

فَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعُثُكَ عَلَى مَا بَعَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنَانًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ"<sup>(١)</sup>.

- وأرسل النبي ﷺ خالدًا لهدم أماكن الأوثان التي تعبد من دون الله.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُدَيْلِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَيِّ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ: «إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَأَنَّكَ»<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ، بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةَ، وَكَانَتْ يَهَا الْعُزَيِّ، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمْرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمْرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا، فَارْجِعْ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ، وَهُمْ حَجَبْتِهَا، أَمَعْنُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَيُّ يَا عُزَيُّ، فَأَتَاهَا خَالِدٌ،

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" ( كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ) برقم: (٩٦٩).

(٢) - أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (كتاب المغازي، ما ذكر في كتب النبي ﷺ وبعوثة) برقم: (٣٧٧٨٨)، والطبراني في "المعجم الكبير"، (باب من اسمه خالد)، برقم: (٣٨١١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ١٧٦): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل.



فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرِيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا  
بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: "تِلْكَ الْعُرَى"<sup>(١)</sup>.

● وأرسل النبي ﷺ جريراً إلى ذي الخَلَصَةِ، وأمره بإزالتها، وكانت  
كعبة اليمانية، فانطلق، فكسرها، وأحرقها.

فعن قيس بن أبي حازم، قال: "قَالَ لِي جَرِيرٌ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: أَلَا تُرِيحُنِي  
مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ، وَكَانَ بَيْنَنَا فِي خُتْمٍ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ  
فِي خَمْسِينَ وَمِائَةَ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لَأُ  
أُثْبِتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثْرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي،  
وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا، فَكَسَرَهَا، وَحَرَقَهَا،  
ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا  
جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتَهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفٌ أَوْ أَجْرَبٌ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلٍ

(١) - أخرجه النسائي في "الكبرى" ( كتاب التفسير، قوله تعالى: "أفرايتم اللات  
والعزى")، برقم: (١١٤٨٣) وأبو يعلى في "مسنده" برقم: (٩٠٢)، والضياء المقدسي  
في "الأحاديث المختارة" برقم: (٢٥٨)، وقال الزيلعي في "تخریج أحاديث الكشاف" (٣/  
٣٨٢ - ٣٨٤) باختصار: رواه الواقدي في كتاب المغازي في غزوة الفتح، ورواه أبو  
عبد الله الأزرقى من طريق الواقدي، ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريق محمد بن  
إسحاق، ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعبد  
الرحمن بن أبي الزناد وجماعة، ورواه أيضاً في ترجمة خالد بن الوليد أخبرنا محمد بن  
عمر هو الواقدي بسند الأزرقى ومثته، ورواه البيهقي في دلائل النبوة في فتحه مكة،  
والطبراني في معجمه، وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن الطبراني، رواه أبو نعيم في  
دلائل النبوة في الباب الثامن والعشرين بسنده ومثته.

أَحْمَسَ، وَرَجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ<sup>(١)</sup>. وعن جرير، قال: "كَانَ بَيْتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلْصَةِ، وَالْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ، وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ، فَفَنَرْتُ فِي مَائَةٍ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَآتَيْتُ النَّبِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ، فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ"<sup>(٢)</sup>.

● وذكر صاحب كتاب أخبار مكة أسماء عدد من الصحابة ممن أرسلهم النبي ﷺ لهدم الأصنام.

فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْهَدَلِيِّ، قَالَ: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بث السرايا، فبعث خالد بن الوليد إلى العزى، وبعث إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حمحة الطفيل بن عمرو الدوسي، فجعل يحرقه بالنار، ويقول:

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ

إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ

وبعث سعيد بن عبيد الأشهلي إلى مناة بالمثل فهدمها، وبعث عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل فهدمه، وكان عمرو يقول انتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد قلت: هدم سواع، قال: وما لك وله؟ قلت: أمرني

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب حرق الدور والنخيل ( برقم: (٣٠٢٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) برقم: (٢٤٧٦).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة) برقم: (٤٣٥٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) برقم: (٢٤٧٦).

رسول الله ، قال : لا تقدر على هدمه ، قلت : لم ؟ قال : يمتنع ، قال عمرو : حتى الآن أنت في الباطل ، ويحك ، وهل يسمع ويبصر ؟ قال عمرو : فدنوت منه فكسرتة ، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، ولم يجدوا فيه شيئاً ، ثم قلت للسادن كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله تعالى" (١) .

● وأمر النبي ﷺ غيره بإزالة وإراقة ، وكسر الأواني التي فيها أطعمة محرمة .

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى نِيرَانًا تُوقَدُ يَوْمَ خَيْبَرَ ، قَالَ : "عَلَى مَا تُوقَدُ هَذِهِ النَّيْرَانُ؟ قَالُوا : عَلَى الْحُمْرِ الْبِائِسِيَّةِ ، قَالَ : اكْسِرُوهَا وَأَهْرِقُوهَا ، قَالُوا : أَلَا نُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ : اغْسِلُوهَا" (٢) .

● وأمر النبي ﷺ غيره بإخراج الصور ، وإزالتها من بيت الله الحرام . فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْإِلَهَةُ ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ ، فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنَ الْأَزْلَامِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، لَقَدْ عَلِمُوا : مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ . ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ" (٣) .

(١) - أخبار مكة ، (١ / ١٣١ ، ١٣٢) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب المظالم ، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر ) برقم : (٢٤٧٧) .

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ) برقم : (٤٢٨٨) .

ومن فقه هذا الحديث وغيره من الأحاديث "كسر آلات الباطل، وما لا يصلح إلا لمعصية الله كالطنابير، والعيدان، والمزامير، والبرابيط التي لا معنى لها إلا التلهي بها عن ذكر الله عز وجل، والشغل بها عما يحبه إلى ما يسخطه أن يغيره عن هيئته المكروهة إلى ما خالفها من الهيئات التي يزول عنها المعنى المكروه، وذلك أنه عليه السلام كسر الأصنام، والجوهر الذي فيه لا شك أنه يصلح إذا غير عن الهيئة المكروهة لكثير من منافع بني آدم الحلال، وقد روي عن جماعة من السلف كسر آلات الملاهي، وروى سفيان عن منصور، عن إبراهيم، قال: كان أصحاب عبد الله يستقبلون الجواري معهن الدفوف في الطريق فيحرقونها، وروى نافع عن ابن عمر: أنه كان إذا وجد أحداً يلعب بالنرد ضربه، وأمر بها فكسرت، قال المهلب رحمه الله: وما كسر من آلات الباطل، وكان في خشبها بعد كسرها منفعة فصاحبها أولى بها مكسورة، إلا أن يرى الإمام حرقها بالنار على معنى التشريد، والعقوبة على وجه الاجتهاد"<sup>(١)</sup>.

● وأمر النبي ﷺ بغيره بإخراج المخنثين والمترجلات نكايه وتخويفاً لمن تسول له نفسه في الوقوع في ذلك المنكر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "لَعَنَ النَّبِيُّ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمَتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ، قَالَ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ فُلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا"<sup>(٢)</sup>.

(١) - شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/٦٠٦).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب اللباس، باب المشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال) برقم: (٥٨٨٥).

ولأهمية تغيير المنكر باليد في مثل هذه الحالات إلى أن يرتدع أهل المعاصي، ويتوبوا بوب البخاري باباً سماه (باب نفي أهل المعاصي والمخشين)، ورحم الله ابن حجر حين علق على مثل هذه الأحاديث بقوله: "وفي هذه الأحاديث مشروعية إخراج كل من يحصل به التأذي للناس عن مكانه إلى أن يرجع عن ذلك، أو يتوب"<sup>(١)</sup>.

ومما سبق ذكره نجد أن النبي ﷺ أمر غيره من أصحابه بتغيير المنكر، وقد استجاب من أمرهم، فقاموا بالمهمة على أعلى وجه.

## ٢ - إزالة المنكر، وتغييره بنفسه.

ومن أمثلة إزالة المنكر، وتغييره بيده بنفسه ما يلي:

- هتك النبي ﷺ الستر الذي كانت تستعمله عائشة، وكان فيه ثماثيل، وأزال المنكر بيده.

فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّهَا كَانَتْ اتَّخَذَتْ عَلَى سَهْوَةٍ لَهَا سِتْرًا فِيهِ تَمَائِيلٌ، فَهَتَكَهُ النَّبِيُّ، فَاتَّخَذَتْ مِنْهُ نُمْرُقَتَيْنِ، فَكَانَتَا فِي الْبَيْتِ يَجْلِسُ عَلَيْهِمَا»<sup>(٢)</sup>.

فقام النبي ﷺ بتغيير المنكر بيده، قال الملا علي القاري رحمه الله: "قال النووي رحمه الله: أي قطع، وأتلف الصورة التي فيه"<sup>(٣)</sup>. "فهتك الستر،

(١) - فتح الباري، لابن حجر (٣٣٤/١٠).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر) برقم: (٢٤٧٩).

(٣) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٨٥١).

أي: شقه، وهذا يدخل في قوله: فإن كسر صنماً؛ لأن التماثيل التي هي الصور كانت تعبد كما كان الصنم يعبد"<sup>(١)</sup>.

#### ● وكان ﷺ ينقض الصور بيده.

فكان النبي ﷺ لا يترك صوراً إلا نقضها، حتى بوب البخاري باباً في صحيحه سماه: باب نقض الصور، ذكر فيه عدة أحاديث، منها ما ذكره عمران بن حطان، أن عائشة رضي الله عنها، حدثته: "أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ إِلَّا نَقَضَهُ"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر رحمه الله: "والذي يظهر أنه استنبط نقض الصور التي تشترك مع الصليب في المعنى، وهو عبادتهم من دون الله، فيكون المراد بالصور في الترجمة خصوصاً ما يكون من ذوات الأرواح، وقال ابن بطال رحمه الله: في هذا الحديث دلالة على أنه ﷺ كان ينقض الصورة، سواء كانت مما له ظل، أم لا، وسواء كانت مما توطأ أم لا، سواء في الثياب، وفي الحيطان، وفي الفرش، والأوراق وغيرها"<sup>(٣)</sup>.

#### ● ونزع النبي ﷺ خاتم الذهب من يد الرجل الذي كان يلبسه، وطرحه في الأرض.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ، فَيَجْعَلُهَا

(١) - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٣٣).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب اللباس، باب نقض الصور) برقم: (٥٩٥٢).

(٣) - فتح الباري، لابن حجر (١٠ / ٣٨٥).

في يده! فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك اتفغ به، قال: لا والله، لا أخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

ففي الحديث غير النبي ﷺ المُنكَّر باليد، قال التَّووي رحمه الله: "فيه إزالة المُنكَّر باليد لمن قدر عليها، وأما قوله ﷺ حين نزعه من يد الرجل: "يَعْمُدُ أَحَدَكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ" ففيه: تصريح بأن النهي عن خاتم الذهب للتحريم"<sup>(٢)</sup>، وينكر على من يلبسه من الرجال. وقال فيصل النجدي رحمه الله: "في هذا الحديث: إزالة المُنكَّر باليد للقادر عليه، وأنَّ النهي عن خاتم الذهب للتحريم. وفيه: المبالغة في امتثال أمر النبي ﷺ واجتناب نهيه، ولهذا ترك الرجل أخذ الخاتم، وأخذه جائز للانتفاع به"<sup>(٣)</sup>.

● وأزال النبي ﷺ بنفسه النخامة التي كانت في قبلة المسجد، وأنكر على من فعلها.

فعن جابر رضي الله عنهما.....أتانا رسولُ الله في مسجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نَخَامَةً، فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قُلْنَا: لَا أَيُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي،

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب اللباس والزينة، باب في طرح خاتم الذهب) برقم: (٢٠٩٠).

(٢) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤ / ٦٥).

(٣) - تطريز رياض الصالحين (١ / ١٥٢).

فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ،  
وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ يَدُ بَادِرَةٍ فَلْيَقْلُ بِتَوْبِهِ  
هَكَذَا، ثُمَّ طَوَى تَوْبَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أُرُونِي عَيْبَرًا، فَقَامَ فَتَى مِنْ  
الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخَلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَجَعَلَهُ عَلَى  
رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَنْفِ النَّخَامَةِ<sup>(١)</sup>.

فقد غير النبي ﷺ المنكر بإزالته بيده، قال النووي رحمه الله: "في هذا  
الحديث تعظيم المساجد، وتنزيهاها من الأوساخ ونحوها، وفيه استحباب  
تطيبها، وفيه إزالة المنكر باليد لمن قدر، وتقبيح ذلك الفعل باللسان"<sup>(٢)</sup>.

● وأزال النبي ﷺ الأصنام، وكسرها لما مكن الله له في الأرض، ودخل  
مكة فاتحًا، ولم يترك صنمًا واحدًا منها.

فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: "دَخَلَ النَّبِيُّ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ  
سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةَ نُصْبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ  
وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ الإسراء: ٨١ ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا  
يُعِيدُ﴾ سبأ: ٤٩"<sup>(٣)</sup>.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل  
وقصة أبي اليسر) برقم: (٣٠١٤).

(٢) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٨/١٣٨).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم  
الفتح) برقم: (٤٢٨٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب إزالة  
الأصنام من حول الكعبة) برقم: (١٧٨١).



لقد كان من مراتب ودرجات تغيير النبي ﷺ المنكر: التغيير باليد، وقد اتخذ النبي ﷺ في استعمال هذه المرتبة درجات، فبعض المنكرات:

- أزالها النبي ﷺ بيده.
- وبعضها أمر غيره بإزالتها.
- وبعضها أقام النبي ﷺ الحد على مقترب تلك المنكرات بنفسه أحياناً، وبتكليفه غيره أحياناً آخر، وسيأتي بيان بعض تلك الصور.

وفقه تغيير المُنكَر باليد يقرره القاضي عياض رحمه الله بقوله: ((وقوله: " فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه " الحديث: أصل في صفة تغيير المنكر، وعلم على العلم في عمله، فمن حق المغير أولاً أن يكون عالماً بما يغيره، عارفاً بالمُنكَر من غيره، فقيهاً بصفة التغيير ودرجاته، فيغيره بكل وجه أمكنه زواله به، وغلبت على ظنه منفعة تغييره بمنزعه ذلك من فعل أو قول، فيكسر آلات الباطل، ويريق ظروف المسكر بنفسه، أو يأمر بقوله من يتولى ذلك، وينزع المغصوب من أيدي المتعمدين بيده أو يأمر بأخذها منهم، ويمكن منها أربابها، كل هذا إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، أو ذي العزة الظالم المخوف شره؛ إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، وامتنال أمره، وأسمع لوعظه وتخويفه، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الفضل والصلاح، لهذا المعنى، ويغلظ على المغتر منهم في غيه، والمسرف في بطالته، إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره، أو كان جانبه محمياً عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسببه، كف يده، واقتصر على القول باللسان، والوعظ والتخويف، فإن خاف أيضاً أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في

سعة، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان، ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة، وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال، وإن قتل ونيل منه كل أذى<sup>(١)</sup>.

### ٣ - إنزال العقوبة المستحقة على مرتكبي المنكرات، والمقررة شرعاً.

من درجات تغيير المنكر باليد: إنزال العقوبة المستحقة على مرتكبي المنكرات، والمقررة شرعاً، ومن أمثلة ذلك:

#### ● إقامة الحد على من وقع وارتكب الزنا.

كما فعل ﷺ مع ماعز والغامدية، فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنني قد ظلمت نفسي وزنيت، وإنني أريد أن تطهرني، فردّه، فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله، إنني قد زنيت، فردّه الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: أتعلمون يعقله بأساً تُنكرون منه شيئاً؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل، من صالحينا فيما نرى، فأناه الثالثة، فأرسل إليهم أيضاً، فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به، ولا يعقله، فلما كان الرابعة حفّر له حفرة، ثم أمر به فرجم، قال: فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله إنني قد زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً، فوالله إنني لحبلى، قال: إما لا، فأدهبي حتى تلدي. فلما ولدت أتته بالصبي في خرقه، قالت: هذا قد

(١) - إكمال المعلم بفوائد مسلم (١ / ٢٩٠).

وَلَدَتْهُ، قَالَ: أَذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمْيهِ. فَلَمَّا فَطَمْتَهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةً خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيَقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنْضَحُ<sup>(١)</sup> الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهَلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ<sup>(٢)</sup>.

وكذلك إقامة الحد على ابن الرجل العسيف، ومن زنا بها، فعن أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما، قال: جاء أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، فقام خصمه فقال: صدق، اقض بيننا بكتاب الله، فقال الأعرابيُّ: إنَّ ابني كان عسيفاً على هذا، فزني بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرجْم، ففديتُ ابني منه بمائة من الغنم ووليدة، ثمَّ سألتُ أهلَ العِلْمِ، فقالوا: إنَّما على ابنك جلدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ، فقال النبيُّ: لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، أمَّا الوليدةُ والغنمُ فردُّ عليك، وعلى ابنك جلدُ

(١) - قال النووي: "فتنضح" روي بالحاء، وبالحاء، والأكثر على الحاء، ومعناه ترشش وانصب. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/٢٠٣). (تنضح يتنضح): إذا ترشش؛ يعني: وقع رشاش الدم من المرجومة على وجه خالد. المفاتيح في شرح المصابيح (٤/٢٥٣).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى) (برقم: ١٦٩٥).

مِائَةً، وَتَغْرِبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُتَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَارْجُمَهَا، فَعَدَا عَلَيْهَا أُتَيْسٌ، فَرَجَمَهَا<sup>(١)</sup>.

● إقامة الحد على من سرقت، وإنزال العقوبة المقررة شرعاً في حقها.  
فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ امْرَأَةً مَخْزُومِيَّةً كَانَتْ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجِدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا فُقِطِعَتْ يَدَاهَا. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ جُوَيْرِيَّةٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَوْ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ زَادَ فِيهِ: وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: هَلْ مِنْ امْرَأَةٍ تَأْتِيهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَلْكَ شَاهِدَةً، فَلَمْ تَقُمْ، وَلَمْ تَكَلِّمْ<sup>(٢)</sup>.

● أمر ﷺ بقتل شديد العداوة والإيذاء للمسلمين ممن آذى الله والرسول بعد أن مكن الله له في الأرض، كابن خطل وغيره.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، "أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَعَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: ابْنُ خَطْلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: اقْتُلْهُ. قَالَ مَالِكٌ: وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا تُرَى، وَاللَّهِ أَعْلَمُ يَوْمَئِذٍ مُحْرَمًا"<sup>(٣)</sup>.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) برقم: (٢٦٩٥).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود) برقم: (١٦٨٨)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الحدود، باب في القطع في العارية إذا جحدت) برقم: (٤٣٩٥)، واللفظ له.

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح) برقم: (٤٢٨٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام) برقم: (١٣٥٧).

● وأنزل النبي ﷺ العقوبة المستحقة في كعب الأشراف الذي كان يهجو النبي ﷺ فأمر بقتله فقتل.

فمن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عمه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ كَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ نَفَرٍ، فَجَاؤُوهُ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ فِي الْعَوَالِي، فَلَمَّا رَأَهُمْ دُعِرَ مِنْهُمْ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَلْيَدْنُ إِلَيَّ بَعْضُكُمْ فَلْيُحَدِّثْنِي بِحَاجَتِهِ، فَدَنَا مِنْهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالُوا: جِئْنَاكَ لِتَبِيعَكَ أَذْرَاعًا لَنَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ، لَقَدْ جُهِدْتُمْ مِنْذُ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ - أَوْ قَالَ: بِكُمْ -، فَوَاعِدُوهُ أَنْ يَأْتُوهُ بَعْدَ هَذَا مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: فَجَاؤُوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: مَا جَاءَكَ هَؤُلَاءِ هَذِهِ السَّاعَةَ بِشَيْءٍ مِمَّا تُحِبُّ، قَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ حَدَّثُونِي بِحَاجَتِهِمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ اعْتَنَقَهُ أَبُو عَبْسٍ، وَعَلَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِالسَّيْفِ، فَطَعَنَهُ فِي خَاصِرَتِهِ بِخَنْجَرِهِ، فَفَتَلُوهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ يَهُودٌ، غَدَوْا إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالُوا: قُتِلَ سَيِّدُنَا غِيْلَةً، فَذَكَرَهُمُ النَّبِيُّ مَا كَانَ يَهْجُوهُ فِي أَشْعَارِهِ، وَمَا كَانَ يُؤْذِيهِ، قَالَ: ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُوَيَيْنَهُمْ كِتَابًا، أَحْسَبُهُ قَالَ: فَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ مَعَ عَلِيٍّ<sup>(١)</sup>.

● وأمر بقتل أبي رافع اليهودي، وكان ممن حزب الأحزاب ضد المسلمين.

(١) - أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (كتاب الجهاد، باب البيات) برقم: (٩٣٨٨)،

وأحمد في "مسنده" برقم: (٢٤٤٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٥/٦)،

(١٩٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

فمن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا، فَقَتَلَهُ، وَهُوَ نَائِمٌ»<sup>(١)</sup>. وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ لِيَقْتُلُوهُ، فَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَدَخَلَ حِصْنَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فِي مَرِيضٍ دَوَابَّ لَهُمْ قَالَ: وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ فَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ فَخَرَجْتُ فِيْمَنْ خَرَجَ أُرَيْهِمْ أَنِّي أَطْلُبُهُ مَعَهُمْ، فَوَجَدُوا الْحِمَارَ، فَدَخَلُوا وَدَخَلْتُ، وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ لَيْلًا فَوَضَعُوا الْمَفَاتِيحَ فِي كَوْفٍ حَيْثُ أَرَاهَا، فَلَمَّا نَامُوا أَخَذْتُ الْمَفَاتِيحَ، فَفَتَحْتُ بَابَ الْحِصْنِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ فَاجِئْنِي فَتَعَمَّدْتُ الصَّوْتَ فَضَرَبْتُهُ فَصَاحَ، فَخَرَجْتُ، ثُمَّ جِئْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ كَأَنِّي مُغِيثٌ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ لِأَمِّكَ الْوَيْلُ، قُلْتُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لَا أُدْرِي مَنْ دَخَلَ عَلَيَّ فَضَرَبَنِي، قَالَ: فَوَضَعْتُ سِنِّي فِي بَطْنِهِمْ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى قَرَعْتُ الْعَظْمَ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَأَنَا دَهْشٌ، فَأَتَيْتُ سَلْمًا لَهُمْ لِأَنْزِلَ مِنْهُ فَوَقَعْتُ فَوُثِّتُ رِجْلِي، فَخَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: مَا أَنَا يَبَارِحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى سَمِعْتُ نَعَايَا أَبِي رَافِعٍ تَاجِرِ أَهْلِ الْحِجَازِ، قَالَ: فَقُمْتُ، وَمَا بِي قَلْبَةٌ حَتَّى أَتَيْتَا النَّبِيَّ فَأَخْبَرْنَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب قتل المشرك النائم) برقم: (٣٠٢٢).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب قتل المشرك النائم) برقم: (٣٠٢٢).

وأُنزل النَّبِيُّ ﷺ العقوبة على كل من وقع في منكر من المنكرات يستوجب إقامة الحد عليه ، سواء من المسلمين كما ذكرنا من نماذج ، أو من غير المسلمين كما فعل مع بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، ومع الروم في غزوة مؤتة وتبوك ، وغير ذلك .

ثانياً : مرتبة تغيير المُنْكَرَ باللسان ودرجاتها .

من مراتب تغيير المُنْكَرَ والتي سلكها رسول الله ﷺ في احتسابه إنكار المُنْكَرَ باللسان ، وقد سلك النَّبِيُّ ﷺ في هذه المرتبة درجات ، ويمكن بيان تلك الدرجات فيما يلي :

١ - تعريف صاحب المُنْكَرَ أن ما فعله ، ووقع فيه منكرًا ، ومخالفاً للشرع ، بالبيان ، والإرشاد ، والتعليم ، مع التحلي بالرفق ، والتلطف في الاحتساب إذا كان جاهلاً .  
ومن أمثلة ذلك ما يلي :

● ما فعله النَّبِيُّ ﷺ مع معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه .

وذلك لما تكلم في الصلاة عن جهل ، فاحتسب عليه النَّبِيُّ ﷺ بتعريفه أن ما فعله لا يصلح أن يكون في الصلاة ، وأرشده إلى ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في الصلاة ، من البعد عن كلام الناس ، والانشغال بالتسييح ، والتكبير وقراءة القرآن<sup>(١)</sup> .

● وما فعله النَّبِيُّ ﷺ مع من لم يطمئن في الصلاة .

---

(١) - حديث معاوية بن الحكم السلمي أخرجه مسلم في "صحيحه" ( كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ) برقم : (٥٣٧) .

فأرشدته النَّبِيُّ ﷺ وعلمه، ويَبِينُ له ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في الصلاة من الاطمئنان، وإتمام الركوع والسجود، وحضور القلب<sup>(١)</sup>.

## ٢ - النصح والوعظ.

وهذه من درجات احتساب النَّبِيِّ ﷺ باللسان، وقد اتسم النَّبِيُّ ﷺ في تغيير المُنْكَرِ بسَمَاتٍ حسب ما يقتضية حال المُحْتَسَبِ عليه، والمقام. ومن السَّمَاتِ التي سلكها النَّبِيُّ ﷺ في هذه الدرجة ما يلي:

- وعظ من يقع في المُنْكَرِ دون تحديد الفاعل، والتصريح باسمه.

وأحياناً إذا استدعى الأمر ينادي في الناس، ويصعد المنبر، وينكر هذا المُنْكَرَ بعد أن يجمع الناس، وأمثلة ذلك في السنة النبوية كثيرة، منها قول النَّبِيِّ ﷺ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ"<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَزَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ

(١) - الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام، والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر ) برقم: (٧٥٧)، ومسلم في "صحيحه" ( كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ) برقم: (٣٩٧).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد ) برقم: (٤٥٦)، ومسلم في صحيحه ( كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق ) برقم: (١٥٠٤).



خَشِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي"<sup>(٢)</sup>.

● الإنكار على صاحب المنكر مباشرة، وتوجيه الاحتساب لمن وقع في المخالفة الشرعية بعينه.

وهذا كثير في احتساب النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

ما فعله مع ابن عمرو، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: "رَأَى رَسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ كُوفِيًّا مَعْصِفَرِيًّا، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلَا تَلْبَسَهَا"<sup>(٣)</sup>.

وما فعله مع عثمان بن مظعونؓ، فعن عُرْوَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: "دَخَلَتْ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ -وَأَسْمُهَا خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ - عَلَى عَائِشَةَ، وَهِيَ بَادَةٌ الْهَيْئَةَ، فَسَأَلَتْهَا: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ! فَدَخَلَ النَّبِيُّ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ عَائِشَةُ. فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنَّ

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب)، برقم (٦١٠١)، ومسلم في صحيحه، (كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته) برقم: (٢٣٥٦).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح) برقم: (٥٠٦٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب النكاح)، برقم: (١٤٠١).

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر) برقم: (٢٠٧٧).

الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ،  
وَأَخْفَظَكُمُ لِحُدُودِهِ" (١).

وما ذكرته قبل من فعله مع عائشة، وحفصة رضي الله عنهما، وغير ذلك كثير.

### ● تخويف وترهيب الْمُحْتَسِبِ عَلَيْهِ.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

تهديد من يرفع بصره في السماء في الصلاة. فعن قتادة، أن أنس بن مالك حدثهم، قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ؟ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: لَيْتَنَّهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ" (٢).

وترهيب من يتفاخر بالآباء والأجداد. فعن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لَيْتَنَّهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ

---

(١) - أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله) برقم: (١٠٣٧٥)، وأحمد في "مسنده" برقم: (٢٦٥٣٣)، وابن حبان في "صحيحه" المقدمة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم هدي المصطفى بترك الانزعاج عما أبيع من هذه الدنيا له بإغضائه) برقم: (٩)، والطبراني في "الكبير" برقم: (٨٣١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٣٠١): وأسانيد أحمد رجالها ثقات، إلا أن طريق "إن أخشاكم" أسندها أحمد ووصلها البزار رجال ثقات.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة) برقم: (٧٥٠).

اللَّهُ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»<sup>(١)</sup>.

وتخويف من يسمع نداء الجمعة ثم لم يجب، وترهيبه. فقد قال ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ لَمْ يُجِبْ - ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ لَمْ يُجِبْ - ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ لَمْ يُجِبْ - طَبَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى قَلْبِهِ، فَجُعِلَ قَلْبَ مَنَافِقٍ»<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَسْمَعُونَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ لَا يَأْتُونَهَا، أَوْ لَيَطْبَعَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»<sup>(٣)</sup>.

● بيان قبح واستهجان ما وقع فيه من منكرات.

ومن أمثلة ذلك:

(١) - أخرجه الترمذي في "جامعه" ( أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ) برقم: (٣٩٥٥)، وقال: وفي الباب عن ابن عمر، وابن عباس، وهذا حديث حسن، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) برقم: (٣٩٥٥).

(٢) - أخرجه أبو يعلى في "مسنده" برقم: (٧١٦٧)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" برقم: (٢٠٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣/٢): ومحمد بن عبد الرحمن هو ابن سعد بن زرارة اختلف عليه فيه فرواه عنه عبد الملك ابن إبراهيم الجدي، والنضر بن شميل عن شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن عن عمه ورواه أبو إسحاق الفزاري، عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن، عن ابن أبي أوفى كما سيأتي، وبقية رجاله ثقات.

(٣) - أخرجه الطبراني في الكبير برقم: (١٩٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣/٢ - ١٩٤): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

تشبيه النبي ﷺ لبعض المنكرات التي يقع فيها المرء بفعل بعض الحيوانات. فعن صفوان بن يعلى، "أَنَّ أَبَاهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَاسْتَأْجَرَ أَحْيِرًا فَقَاتَلَ رَجُلًا فَعَضَّ الرَّجُلُ ذِرَاعَهُ، فَلَمَّا أَوْجَعَهُ نَتَرَهَا فَأَنْدَرَ كُنَيْتَهُ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَعَضُّ أَخَاهُ كَمَا يَعْضُّ الْفَحْلُ! فَأَبْطَلَ كُنَيْتَهُ"<sup>(١)</sup>.

واستهجان النبي ﷺ لما يقدم عليه بعض الرجال، وتقبيح ما يفعله الزوج في جلد زوجته، ثم يجامعها آخر الليل. فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ»<sup>(٢)</sup>.

● إعلان البراءة من الفعل الذي وقع فيه صاحب المنكر.

ومن ذلك براءته من فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه لما قتل في المعركة من لم يحسن نطق الشهادتين، فعن سالم، عن أبيه، قال: "بَعَثَ النَّبِيُّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَّأْنَا صَبَّأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة) برقم: (٤٤١٧) ومسلم في "صحيحه" (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب الصائل على نفس الإنسان، أو عضوه إذا دفعه المصول عليه، فأتلف نفسه، أو عضوه لا ضمان عليه) برقم: (١٦٧٤)، النسائي في "المجتبى" (كتاب القسامة والقود، باب ذكر الاختلاف على عطاء في هذا الحديث) برقم: (٤٧٨٦)، واللفظ له.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، سورة والشمس وضحاها) برقم: (٤٩٤٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء) برقم: (٢٨٥٥).

مِنَّا أُسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرِ خَالِدٍ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أُسِيرَهُ، فَقُلْتُ:  
وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أُسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أُسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى  
النَّبِيِّ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ يَدَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ  
مَرَّتَيْنِ" (١).

● توجيه النبي ﷺ الصحابة إلى ما ينبغي عليهم فعله في الاحتساب على  
من وقع في تلك المنكرات.

وهدف النبي ﷺ بيان أفضل مراتب ودرجات الاحتساب على هذه المنكرات،  
ومن أمثلة ذلك:

أمر النبي ﷺ الصحابة لما مكن الله له في الأرض ألا يدعوا صورة إلا  
طمسوها، ولا قبراً إلا سووه بالأرض، ولا صنماً إلا كسروه. فعن أبي  
الهيَّاج الأَسَدِيِّ، قَالَ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أْبْعُثُكَ عَلَى مَا بَعَّثَنِي  
عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لَا تَدْعَ تَمَثَّالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ" (٢).

إرشاد النبي ﷺ إلى إحناء التراب في وجه المدَّاحين. فعن همام بن الحارث: "أَنَّ  
رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمَدَ الْمُقَدَّادُ، فَجِئْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَكَانَ رَجُلًا

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن  
الوليد إلى بني جذيمة ) برقم: (٤٣٣٩).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" ( كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ) برقم:  
(٩٦٩).

ضَخْمًا فَجَعَلَ يَحْتُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ :  
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْتُوا فِي وُجُوهِمُ التُّرَابَ<sup>(١)</sup> .

توجيه النبي ﷺ للصحابة إلى الشدة في إنكار بعض المنكرات القبيحة كالتعزي بعزاء الجاهلية. فعن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَعَضَّهُ ، وَلَمْ يَكْنِهِ ، فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ : إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ ، إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنَا : إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ ، وَلَا تَكُونُوا<sup>(٢)</sup> . وَعَنْ عُمَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ : رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي رَجُلًا تَعَزَى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَعَضَّهُ أَبِي ، وَلَمْ يَكْنِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، قَالَ : كَأَنَّكُمْ أَتَّكَّرْتُمُوهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَهَابُ فِي هَذَا أَحَدًا أَبَدًا ، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ : « مَنْ تَعَزَى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ وَلَا تَكْنُوهُ »<sup>(٣)</sup> .

تلك هي أهم سمات النصح والوعظ والتي سلكها النبي ﷺ في تغيير المنكر باللسان.

### ٣ - الإغلاظ في النصح لمن وقع في منكر يستدعي الشدة في الإنكار.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" ( كتاب الزهد والرقائق ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ) برقم : (٣٠٠٢).

(٢) - أخرجه أحمد في "مسنده" برقم : (٢١٦٢٤) ، والطبراني في "الكبير" (١ / ١٩٨) برقم : (٥٣٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣) : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات.

(٣) - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (باب : من كره أن يقعد ويقوم له الناس) برقم : (٩٦٣) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم : (٩٦٣).

من درجات تغيير المنكر باللسان: الإغلاظ في النصح لمن وقع في منكر يستدعي الشدة في الإنكار. وفي ذلك بيان من النبي ﷺ لشناعة ما وقع فيه من منكر، وتحذير لغيره من الوقوع في هذا المنكر القبيح، ومبالغة فيه.

ومن أمثلة ذلك إنكاره على أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين قتل من نطق الشهادتين ظناً منه أنه قالها خوفاً من السيف، فعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما، قال: "بَعَثْنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْتَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ، فَقَالَ لِي: يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا، قَالَ: فَقَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ"<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - التهديد والوعيد في إنزال العقوبة لمن يقع في المنكرات.

من درجات تغيير المنكر باللسان: التهديد والوعيد في إنزال العقوبة لمن يقع في المنكرات، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

● تهديد النبي ﷺ لمن يقع في جريمة الزنا بالتنكيل به، وإقامة الحد عليه. فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: "أَتَى رَسُولُ اللَّهِ يَرْجُلٌ قَصِيرٌ أَشْعَثٌ، ذِي عَضَلَاتٍ، عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَقَدْ زَنَى فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَرُجِمَ، فَقَالَ رَسُولُ"

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة) برقم: (٤٢٦٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله) برقم: (٩٦).

الله: كُلَّمَا نَفَرْنَا غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ، يَنْبُ نُيِّبَ النَّيْسِ، يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُتْبَةَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُمَكِّنِي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا أَوْ نَكْلَةً" (١).

فقد هدد النبي ﷺ من يقع في جريمة الزنا بمعاقبته، وجعله "سبب نكال، وانزجار عن الفاحشة لغيره" (٢). و"عاقبه بما يردعه، ويخيف غيره من إتيان صنيعه" (٣). قال النووي رحمه الله: "(إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا) أي عظة وعبرة لمن بعده بما أصبته منه من العقوبة ليمتنعوا من تلك الفاحشة" (٤).

#### ● تهديد النبي ﷺ وتوعده لمن يترك صلاة الجمعة في المسجد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ مِمَّنْ حَوْلَ الْمَسْجِدِ لَا يَشْهَدُونَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فِي الْجَمِيعِ، أَوْ لَأُحْرَقَنَّ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ بِحُزْمِ الْحَطَبِ" (٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبُ، ثُمَّ أَمْرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَدَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمْرَ رِجُلًا فَيُؤَمُّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتُهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى) برقم: (١٦٩٢).

(٢) - الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٨ / ٤٤٥).

(٣) - فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٦ / ٥٨٨).

(٤) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١ / ١٩٦).

(٥) - أخرجه أحمد في "مسنده" برقم: (٨٠٣١) والبخاري في "مسنده" برقم: (٨٣٨١)،

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٤٢): رواه أحمد، ورجاله موثقون.



لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ: أَنَّهُ يَجِدُ عَرَفًا سَمِينًا، أَوْ مَرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»<sup>(١)</sup>.  
 فقد هدد النبي ﷺ، وتوعد من يقع في هذا المنكر، "وفي الحديث الإشارة إلى ذم المتخلفين عن الصلاة بوصفهم بالحرص على الشيء الحقيقير من مطعوم، أو ملعوب به، مع التفريط فيما يحصل رفيع الدرجات، ومنازل الكرامة. وفي الحديث من الفوائد أيضاً: تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة، وسره أن المسفدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفي به عن الأعلى من العقوبة، نبه عليه ابن دقيق العيد"<sup>(٢)</sup>.

- هدد النبي ﷺ وتوعد بني وليعة التي شامت للهوسوله بسبي الذرية، وقتل المقاتلة.  
 فَعَنْ أَبِي دُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْتَهُنَّ بَنُو وَلِيعَةَ، أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي، يُنْفِذُ فِيهِمْ أَمْرِي، فَيَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ، وَيَسْبِي الذَّرِيَّةَ"<sup>(٣)</sup>.
- وهدد النبي ﷺ وفد ثقيف التي حاد قومها الله ورسوله بأن لم ينتهوا لينزلن بهم أشد العقوبة.

- 
- (١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة ) برقم: (٦٤٤)، ومسلم في "صحيحه" ( كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها ) برقم: (٦٥١).
- (٢) - فتح الباري، لابن حجر (١٣٠/٢).
- (٣) - أخرجه النسائي في "الكبرى" ( كتاب الخصائص، ذكر قوله ﷺ علي كنفسي ) برقم: (٨٤٠٣)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ( كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ) برقم: (٣٢٨٠٠)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (١١٠ / ٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات.

فَعَنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ فِدَ تَقِيفَ حِينَ جَاءُوا: وَاللَّهِ لَتَسْلِمُنَّ، أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنِّي - أَوْ قَالَ: مِثْلَ نَفْسِي - فَلَیَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ، وَلَيَسْبِغَنَّ ذُرَارِيَكُمْ، وَلَيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا أَشْتَهَيْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، جَعَلْتُ أَنْصِبُ صَدْرِي لَهُ رَجَاءً أَنْ يَقُولَ: هَذَا، قَالَ: فَالْتَمْتُ إِلَيَّ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هُوَ هَذَا، هُوَ هَذَا مَرَّتَيْنِ" (١).

ثالثًا: مرتبة إنكار المنكر بالقلب.

من مراتب تغيير المنكر: التغيير بالقلب إذا عجز عن التغيير باليد واللسان، أو كان تغييره للمنكر يترتب عليه منكر أكبر منه، فإذا اعتقد أن تغييره المنكر باليد سيؤدي إلى مفسدة محققة فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان، فإذا لم يجد ذلك أنكر المنكر بقلبه.

ومن تأمل السيرة النبوية، والسنة المحمدية تبين له ذلك، ومما يدل على إنكار النبي ﷺ للمنكر بقلبه عند العجز عن التغيير باليد ما يلي:

١ - عدم تكسير الأصنام في الفترة المكية، والاكتفاء بالإنكار بالقلب بعد أن لم يُجد التغيير باللسان.

فكان يطوف بالبيت مع وجود تلك الأصنام حول الكعبة، والسبب في عدم الاكتفاء بالإنكار بالقلب النظر إلى المفاصد العظيمة التي تلحق بالمسلمين إن

(١) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (كتاب الجامع، باب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) برقم: (٢٠٣٨٩)، والحديث خرجها بن حجر وذكر أقوال العلماء، ثم ذكر عدة شواهد في المطالب العالية محققا (١٦ / ٦٨ - ٧١) ثم بين أن الحديث يرتقي إلى درجة الحسن لغيره بجميع الشواهد، والله أعلم.

قاموا بتكسير الأصنام في هذه الفترة، وربما تكون سبباً في استباحة بيضتهم، ولحوق أشد أصناف العذاب بالمؤمنين، ثم ربما يؤدي إلى بناء أكثر من الأصنام التي كسرت، وتشيد أفخم منها، وكذلك عدم جدوى الفعل في إبعاد الناس عن عبادتها بهذه الصورة.

٢ - عدم مقاتلة الكفار في الفترة المكية، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، ومعاملة الكفار بالمثل، والاكتفاء بالإنكار عليهم باللسان، ثم بالقلب، إن لم يجد ذلك.

فعلى الرغم مما فعله كفار قريش مع المستضعفين من المؤمنين من أمثال: عمار، وياسر وسمية، وخباب، وزنيرة، وغيرهم من المسلمين رضي الله عن جميع الصحب والآل إلا أن النبي ﷺ أنكر المنكر بقلبه، حيث أنكر ما أقدم عليه المشركون من التنكيل بهؤلاء المستضعفين من المؤمنين، واكتفى النبي ﷺ بحثهم على الصبر، وبيان الثواب الجزيل الذي ينتظرهم في الآخرة، وظل الأمر كذلك إلى أن من الله على بعض المسلمين، فقاموا بعتق بعضهم، فلم يأمر النبي ﷺ بمعاملة هؤلاء المشركين بالمثل، وإنما أنكر النبي ﷺ الفعل بالقلب، وهذا على عكس الفترة المدنية لما أسست الدولة الإسلامية، فكان التغيير والإنكار باليد. قال ابن القيم رحمه الله: "إنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصفح؛ لئلاً يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسدة الإغضاء، واحتمال الضيم، ومصالحة حفظ نفوسهم، ودينهم، وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار، والمقابلة"<sup>(١)</sup>.

(١) - إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١١١).

٣ - عدم هدم الكعبة، وبنائها على قواعد إبراهيم، مع أنه خالف البناء الصحيح الذي بناه إبراهيم عليه السلام.

والسبب المانع للنبي ﷺ من ذلك خوف تنفير الناس من الإسلام مع قرب عهدهم به، فعن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْفِيًّا وَبَابًا غَرِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ"<sup>(١)</sup>. وفي رواية أن: عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت النَّبِيَّ عَنِ الْجَدْرِ، أَمِنَ الْبَيْتَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مِنْ شَاؤُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ، أَنْ أُدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابُهُ بِالْأَرْضِ"<sup>(٢)</sup>. قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"فالعامل الواحد يكون فعله مستحبًا تارة، وتركه تارة باعتبار ما يرجح من مصلحة فعله، وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النَّبِيُّ ﷺ بناء البيت على قواعد إبراهيم، وقال لعائشة رضي الله عنها: ((لولا أن قومك حديثو عهد

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها) برقم: (١٥٨٦).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها) برقم: (١٥٨٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها) برقم: (١٣٣٣).

بالجاهلية لنقضت الكعبة، ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها بابين بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه)) والحديث في الصحيحين، فترك النبي ﷺ هذا الأمر الذي كان عنده أفضل الأمرين للمعارض الراجح، وهو حدثان عهد قريش بالإسلام؛ لما في ذلك من التنفير لهم، فكانت المفسدة راجحة على المصلحة<sup>(١)</sup>.

فكان كراهية النبي ﷺ لما عليه الوضع الحالي للكعبة في زمانه من مخالفة قواعد إبراهيم، وأنكر ذلك بقلبه، وأظهر هذا الكره بلسانه لزوجته، إلا أنه لم يُقدم على التغيير باليد مخافة المفسدة المترتبة على الفعل، لذلك رجح المصلحة العظمى، وامتنع من نقض الكعبة.

**ومن خلال ما قام به النبي ﷺ في التعامل مع المُحتَسَب عليهم قرر العلماء في إنكار المنكر: مراعاة المصالح والمفاسد، وأكد عليها غير واحد من العلماء، ومن ذلك ما يلي:**

قال ابن القيم رحمه الله: "إنكار المُنكَر أربع درجات؛ الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة"<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي رحمه الله: "فينبغي لمن يقوم بهذه الوظيفة أن ينظر نظراً خالصاً، ويتأمل في العواقب، وما يترتب على الأمر والنهي، فقد تكون المفسدة المترتبة عليهما أشد من المفسدة المترتبة على تركهما؛ كمن يتعاطى

(١) - مجموع الفتاوى (٢٤/١٩٥).

(٢) - إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/١٢).

المُنْكَرَ بجواره، ويخيفه، ولا يكثر فعله خوفاً أن يبلغه، فإذا نهاه فقد أزعجه من جواره، فكأنه يقول له: افعل ما شئت بعد أن لا أراك، فيتقل إلى محل بين فساق يأمن فيه فيتجاهر. حكى عن العياض أنه زاره بعض الأعاظم فسمع بجواره صوت عود فأعظم ذلك، وذكره له ظاناً أنه يجمله، فقال: هذا جاري منذ سنين، وأعرف منه، وأعظم منه، ولم أنكر عليه قط، فإنه يترك كثيراً من المعاصي خوفاً أن تبلغني، ولو أعلمته تحول فسكن محلاً لا يحتشم فيه أحد، فيكون إغراء مني له على إكثار المعصية، والتجاهر بها"<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاومت فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصل مصلحة، ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"<sup>(٢)</sup>.

تلك هي أهم مراتب ودرجات، وسمات احتساب النبي ﷺ ذكرتها، ودللت عليها من خلال ذكر نماذج من السنة النبوية، والسيرة المحمدية.

### المطلب الثاني: ثمرات احتساب النبي ﷺ.

للقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمرات تعود على الفرد والجماعة، ومن تأمل عصر النبوة يجد العناية التامة من النبي ﷺ بهذه الشعيرة، فقد قام بها على أكمل وجه، وقام بها الصحابة الكرام، فعم الخير

(١) - فيض القدير (٣/ ٤٧٨).

(٢) - مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٩).

الوفير، والتمكين في الأرض، وانتشرت الفضيلة بعد أن كان السائد في العصر الجاهلي الرذيلة، واستتب الأمن بعد عصر كان القوي يأكل الضعيف، إلى غير ذلك من الثمرات، ويمكن بيان أهم ثمرات الاحتساب فيما يلي:

أولاً: انتشار الفضيلة والأمن والأمان والنحدر الرذيلة.

ثانياً: التمكين في الأرض.

ثالثاً: نزول البركات وفتح الدنيا على الصحابة.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

### أولاً: انتشار الفضيلة والنحدر الرذيلة وعم الأمن والأمان.

من ثمرات القيام بشعيرة الاحتساب في المجتمع المسلم في عصر النبوة: انتشار الفضيلة والنحدر الرذيلة، وعم الأمن والأمان، فبعد أن كان السائد في العصر السابق لعصر النبوة انتشار الفواحش، وظلم القوي للضعيف، وإساءة الجوار، تغير الحال بعد القيام بهذه الشعيرة إلى أفضل ما يطمح له مجتمع من انزواء الرذيلة، وانتشار الفضيلة، وعم الاستقرار والرخاء بإقامة الحدود، وغرس الوازع الديني، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

ولا أدل على تصور الواقع قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها من قول جعفر بن أبي طالب ﷺ حين صور الواقع بأحسن مقال، وأفضل صورة، وأفصح بيان، حيث قارن بين حال الجزيرة العربية قبل مجيء النبي ﷺ وبعده مجيئه، وكان مما قال: "كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطِعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ، وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ

وَالْأَوْثَانِ. وَأَمْرًا يَصْدَقِ الْحَدِيثَ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ، وَحُسْنَ الْجَوَارِ، وَالْكَفَّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانًا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمْرًا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمْرًا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ<sup>(١)</sup>.

وحتى نعلم واقع عصر النبوة والذي كان يعيشه المجتمع المسلم نستقرأ تاريخ هذا العصر لنجد استتباب الأمن، وحفظ الضرورات الخمس: الدين، والعرض، والنسل، والمال والعقل، فكم من جرائم قد حدثت في هذا المجتمع؟ إن من أقيم عليهم الحد من خلال استقراء واقع العصر في زمن النبي ﷺ بسبب ما ارتكبوا من جرائم، ومنكرات حالات فردية تعد على الأصابع، ماعز والغامدية<sup>(٢)</sup>. وابن الرجل الذي كان يعمل عسيفاً عند رجل وزوجة هذا العسيف<sup>(٣)</sup>. والمرأة القرشية التي كانت تجحد المتاع، والتي سرقت في غزوة الفتح، فعن عروة بن الزبير رحمه الله، «أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ أَمَرَ فَقُطِعَتْ يَدُهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنْتَ تَوْبَتُهَا وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) - أخرجه أحمد في "مسنده" برقم: (١٧٦٤)، وابن خزيمة في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة) برقم: (٢٢٦٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧/٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع.

(٢) - حديث ماعز والغامدية أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى) (برقم: (١٦٩٥)).

(٣) - الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود) برقم: (٢٦٩٥).



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>. وعدة حالات لمن شرب الخمر.

كل هذا يدلُّ دلالةً واضحةً على أن القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر من أهم أسباب استتباب الأمن والأمان والاستقرار، وانتشار الفضيلة، وتقليل الجريمة وانعدامها.

### ثانيًا: التمكين في الأرض.

وهذه من ثمرات القيام بالاحتساب في العصر النبوي، فبعد أن كان الصحابة في بداية الدعوة الإسلامية قلةً قليلةً مستضعفين في الأرض، يستقوي عليهم الوجهاء والزعماء، عذبوا الكثير منهم وآذوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وقتلوا بعضهم، مكَّن الله لهم في الأرض، وسادوا وقادوا، ولا أدلَّ على ذلك من:

قول أبي جهل لابن مسعود<sup>(٢)</sup> في غزوة بدر: "لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رُوَيْعِي الغنم"<sup>(٢)</sup>.

وخوف هرقل عظيم الروم من النَّبِيِّ ﷺ وطلب من قومه إن أرادوا المحافظة على ملكهم، وعزهم في الدنيا، فعليهم اتباع هذا النَّبِيِّ ﷺ المرسل من رب العالمين، وقد عبَّر عن ذلك هرقل لأبي سفيان وقومه، وأخبر أبو سفيان بأنه أصبح أمر ابن عبد الله عظيمًا بسبب ما مكَّن الله له في الأرض، ولنترك لأبي سفيان يقص علينا بعضًا مما جاء في حوارهم مع هرقل حيث قال له في نهاية الحوار: "فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف،

والسارق، والزاني) برقم: (٢٦٤٨).

(٢) - السيرة النبوية، لابن كثير (٢/٤٤١).

أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ، فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِنْدِبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْنَفِرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ" (١). وقد صدقت نبوة هرقل بقوله: " فَإِن كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ "، فقد ملك المسلمون الروم والفرس، ودانت لهم الأرض، وسادوا العالم بأسره، والله الفضل، والمنة في ذلك من قبل، ومن بعد، وكان ذلك بسبب قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا: نزول البركات وفتح الدنيا على الصحابة.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) برقم: (٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام) برقم: (١٧٧٣).

من ثمرات القيام بشعيرة الاحتساب نزول البركات، وفتح الدنيا على أصحاب النبي ﷺ، فبعد أن أخرجوا من بيوتهم، وأخذت أموال الكثير منهم، أغناهم الله بعد فقر، وكفاهم بعد حاجة، وفتحت عليهم خيرات الدنيا، فقسمت عليهم أموال وفيرة بعد خبير، وبعد غزوة حنين، ومن تأمل الغنائم، وما فتح الله عليهم من الدنيا علم ثمرة القيام بالاحتساب والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وحتى نعرف حقيقة ما كان يعيشه الصحابة أذكر ثلاثة من القصص التي تبين ما كان عليه الصحابة من الحاجة والفقر الذي كان يصل بهم الحال إلى عدم وجود ما يقيتهم من طعام وشراب، وهذا أقل الحالات التي يطمح إليها أي إنسان أن يرزق طعام يقتات به، مما دفع النبي ﷺ، وبعض الصحابة إلى الخروج ليلاً للبحث عن طعام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم - أو ليلة - فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياك، والحلوب»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شعبوا ورووا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: والذي نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم

الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم" <sup>(١)</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي يَوْمًا، مَا أَخْرَجَنِي إِلَّا الْجُوعُ، فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدْتُ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالُوا: مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقُلْتُ: أَخْرَجَنِي الْجُوعُ، قَالُوا: وَنَحْنُ مَا أَخْرَجَنَا إِلَّا الْجُوعُ، فَقُمْنَا فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: "مَا أَخْرَجَكُمْ هَذِهِ السَّاعَةَ؟" قُلْنَا: أَخْرَجَنَا الْجُوعُ فَدَعَا يَطْبِقُ فِيهِ تَمْرًا، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ تَمْرَتَيْنِ، فَقَالَ: "كُلُوا هَاتَيْنِ التَّمْرَتَيْنِ وَاشْرَبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنَّهُمَا سَيُجْزِيَانِكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَكَلْتُ تَمْرَةً وَخَبَأْتُ تَمْرَةً فِي حِجْرِي، فَرَأَنِي لَمَّا رَفَعْتُ التَّمْرَةَ فَسَأَلَنِي، فَقُلْتُ: رَفَعْتُهَا لِأُمِّي، قَالَ: "كُلْهَا فَإِنَّا سُنْعَطِيكَ لَهَا تَمْرَتَيْنِ" <sup>(٢)</sup>.

بل كانت تمر عدة أهلة، ولا توقد النار لطهي الطعام في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على قلة اليد، والفقر الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، فعن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت لعروة: «ابن أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ نَارًا، فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟» قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ حِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ آيَاتِهِمْ فَيَسْقِيْنَاهُ» <sup>(٣)</sup>.

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، (كتاب الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققًا تامًا، واستحباب الاجتماع على الطعام)، برقم: (٢٠٣٨).

(٢) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: (١٠٤٤٤).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا) برقم: (٦٤٥٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق) برقم: (٢٩٧٢).

ودخل عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثر الحصير في ظهره، وذلك لقلّة اليد فتأثر، وبكى من حال النبي صلى الله عليه وسلم فواساه النبي صلى الله عليه وسلم وبين له أن الآخرة خير وأبقى، ففي الحديث الطويل في الصحيحين، وفيه: "وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أهبّ معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكت، فقالت: « ما يُنيك؟»، فقالت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقالت: « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ »<sup>(١)</sup>.

وبفضل الله وبالقيام بشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تغير الحال، وفتح الله على الصحابة من بركات الأرض، يدل على ذلك ما يلي:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من كثرة البركات والخيرات يعطي عطاء كثيراً، فقد أعطى رجلاً غنماً بين جبلين، ولا يفعل ذلك إلا من فتح الله عليه الدنيا، وأعطاه من خيراتها، فعن موسى بن أنس، عن أبيه رضي الله عنه، قال: "ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا! فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة"<sup>(٢)</sup>.

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، بابتغني مرضاة أزواجك) برقم: (٤٩١٣) ومسلم في "صحيحه" (الطلاق باب في الإيلاء، واعتزال النساء وتخييرهن) برقم: (١٤٧٩).

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه) برقم: (٢٣١٢).

وأعطى المؤلفه قلوبهم الكثير والكثير بعد غزوة حنين حتى أعطى صفوان ثلاثمائة، ولا يفعل ذلك إلا من فتحت عليه الخيرات، فعن ابن شهاب، قال: «غَزَا رَسُولُ اللَّهِ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَفَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يَمَنَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا يَحْنِينَ، فَفَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بِنَ أُمِّيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةَ، ثُمَّ مِائَةَ»<sup>(١)</sup>. وأعطى غيرهم من سادة قريش الكثير والكثير.

أنه تكفل بسداد جميع ديون من مات، وعليه دين لم يقم بسداده، بسبب ما فتح الله له من الخيرات والبركات، ولم يكن يستطيع سداد تلك الديون أول الأمر، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِي بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدِّينَ، فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ فَضْلًا، فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدِينِهِ وَفَاءً، صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ. فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَتْوحَ، قَالَ: أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوَفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا، فَعَلَيَّْ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

أنه أعطى أم أيمن رضي الله عنها ترضية لها عشرة أضعاف ما لها، ولا يفعل ذلك إلا من فتح الله له من البركات والخيرات، فعن أنس رضي الله عنه، قال: "كَانَ الرَّجُلُ يُجْعَلُ لِلنَّبِيِّ النَّخْلَاتِ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ، وَإِنَّ أَهْلِي أَمْرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ، فَاسْأَلَهُ الدِّينَ كَأَنَّا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضُهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه) برقم: (٢٣١٣).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكفالة، باب الدين) برقم: (٢٢٩٨).

أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ التُّوبَ فِي عُنُقِي تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِيهَا، أَوْ كَمَا قَالَتْ، وَالنَّبِيُّ يَقُولُ: لَكَ كَذَّاءٌ، وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللَّهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ<sup>(١)</sup>.

وثمرات القيام بالاحتساب في عصر النبوة كثيرة اكتفيت بذكر أهمها: وهي انتشار الفضيلة، وانزواء الرزيلة، والتمكين في الأرض، ونزول الخيرات والبركات.

\* \* \*

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" ( كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ) برقم: (٤١٢٠).

## الْخَاتِمَةُ

فِي نَهَايَةِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَحْمَدُ اللَّهِ وَأَشْكُرُهُ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ؛ إِذْ بِفَضْلِهِ وَإِعَانَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ تَمَّتْ الصَّالِحَاتُ، فَلَهُ الْحَمْدُ الْحَسَنُ، وَالنِّسَاءُ الْجَمِيلُ عَلَى مَا يَسَّرَ مِنْ إِتْمَامِ تِلْكَ الدِّرَاسَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْيَاءِ وَالْمَشَاغِلِ.

وَلَعَلَّ مِنَ الْمَتَأَكَّدِ خَتَمَ هَذَا الْبَحْثِ بِإِيرَادِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوْصَلُ إِلَيْهَا الْبَاحِثُ مِنْ خِلَالِ بَحْثِهِ، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

١ - لَمْ يَسِرِ الْأَحْتِسَابُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلِ اتَّخَذَ عِدَّةَ صُورٍ، فَقَدْ سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحْتِسَابِهِ عَلَى مِنْ وَقَعَ فِي الْمُنْكَرَاتِ، وَتَرَكَ الْمَأْمُورَاتِ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ لَيْسَتْ عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ.

٢ - مِنْ مَرَاتِبِ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي سَلَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ إِزَالَةُ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّغْيِيرِ وَأَقْوَاهَا، وَلَهَا ضَوَابِطٌ، فَلَا يَصِحُّ اسْتِخْدَامُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ إِلَّا لِلْمُحْتَسِبِ الرَّسْمِيِّ، وَمِنْ لَهُ وَلايَةُ عَلَى الْمُحْتَسِبِ عَلَيْهِ.

٣ - مِنْ تَأَمَّلِ أَحْتِسَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَعْلَمُ فَقْهُهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْمُسْتَعْلَمَةِ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، حَيْثُ نَجَدَ اخْتِلَافَ الْإِنْكَارِ، وَتَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ بِاخْتِلَافِ مَقْتَرَفِ الذَّنْبِ، وَتَحْقِيقِ الْمَصْلُحَةِ وَهِيَ زَوَالُ الْمُنْكَرِ، وَعَدَمُ اسْتِخْدَامِ الْمَرْتَبَةِ الْأَعْلَى مَا دَامَتْ الْأَدْنَى سَتُودِي الْغَرَضِ.

٤ - كَانَ مِنْ مَرَاتِبِ وَدَرَجَاتِ تَغْيِيرِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُنْكَرِ: التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ، وَقَدْ اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ دَرَجَاتٍ، فَبَعْضُ الْمُنْكَرَاتِ أَزَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، وَبَعْضُهَا أَمْرٌ غَيْرُهُ بِإِزَالَتِهَا، وَبَعْضُهَا هَدَدٌ وَتَوْعِدٌ مِنْ يَقَعُ فِيهِ،



وبعضها أقام النبي ﷺ الحد على مقترف تلك المنكرات بنفسه أحياناً، وبتكليفه غيره أحياناً آخر.

٥ - أنزل النبي ﷺ العقوبة على كل من وقع في منكر من المنكرات يستوجب إقامة الحد عليه، سواء من المسلمين كما ذكرنا من نماذج، أو من غير المسلمين كما فعل مع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، ومع الروم في غزوة مؤتة وتبوك، وغير ذلك.

٦ - من مراتب تغيير المُنكَر، والتي سلكها رسول الله ﷺ في احتسابه إنكار المُنكَر باللسان، وقد سلك النبي ﷺ في هذه المرتبة درجات.

٧ - من درجات تغيير المُنكَر باللسان التي سلكها النبي ﷺ في احتسابه: تعريف صاحب المُنكَر أن ما فعله ووقع فيه منكر ومخالف للشرع، بالبيان والإرشاد والتعليم، والتحلي بالرفق والتلطف معه في الاحتساب إذا كان جاهلاً.

٨ - النصح والوعظ والتخويف والترهيب من درجات احتساب النبي ﷺ باللسان، وقد أئتم النبي ﷺ في تغيير المُنكَر بسمات حسب ما يقتضية حال المُحتَسَب عليه، والمقام.

٩ - من السمات التي سلكها النبي ﷺ في هذا درجة النصح والتخويف: وعظ من يقع في المُنكَر دون تحديد الفاعل والتصريح باسمه.

١٠ - أحياناً إذا استدعى الأمر في الاحتساب ينادي النبي ﷺ في الناس، ويصعد المنبر وينكر هذا المُنكَر بعد أن يجمع الناس.

١١ - الإنكار على صاحب المُنكَر مباشرة، وتوجيه الاحتساب لمن وقع في المخالفة الشرعية بعينه، وتخويف وترهيب المُحتَسَب عليه، وبيان قبح

واستهجان ما وقع فيه من منكرات من السمات التي سلكها النبي ﷺ في درجة النصح والتخويف.

١٢ - من السمات التي سلكها النبي ﷺ في درجة النصح والتخويف: الإغلاظ في الاحتساب لمن وقع في منكر يستدعي الشدة في الإنكار، بيأناً من النبي ﷺ لشناعة ما وقع فيه من منكر، وتحذيراً لغيره من الوقوع في هذا المنكر القبيح، ومبالغة في التحذير.

١٣ - إعلان البراءة من الفعل الذي وقع فيه صاحب منكر، وتوجيه ﷺ الصحابة إلى ما ينبغي عليهم فعله في الاحتساب على من وقع في تلك المنكرات سمة من السمات التي سلكها النبي ﷺ في درجة النصح والتخويف.

١٤ - من مراتب تغيير المنكر: التغيير بالقلب إذا عجز عن التغيير باليد واللسان، أو كان تغييره للمنكر يترتب عليه منكر أكبر منه.

١٥ - إذا اعتقد المُحتسِب أن تغييره المُنكر باليد سيؤدي إلى مفسدة محققة فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان، فإذا لم يجد ذلك أنكر المُنكر بقلبه، ومن تأمل السيرة النبوية والسنة المحمدية تبين له ذلك.

١٦ - للقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمرات تعود على الفرد والجماعة، ومن تأمل عصر النبوة يجد العناية التامة من النبي ﷺ بهذه الشعيرة، فقد قام بها على أكمل وجه، وقام بها الصحابة الكرام.

١٧ - من ثمرات القيام بشعيرة الاحتساب في المجتمع المسلم في عصر النبوة: انتشار الفضيلة وانحذار الرذيلة، وعم الأمن والأمان، والتمكين في الأرض.

١٨ - بعد أن كان الصحابة في بداية الدعوة الإسلامية قلة قليلة مستضعفين في الأرض، يستقوي عليهم الوجهاء والزعماء، عذبوا الكثير منهم

وآذوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وقتلوا بعضهم، مكن الله لهم في الأرض، وسادوا وقادوا بسبب قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ١٩ - من ثمرات القيام بشعيرة الاحْتِسَاب نزول البركات وفتح الدنيا على أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، فبعد أن أخرجوا من بيوتهم، وأخذت أموال الكثير منهم، أغناهم الله بعد فقر، وكفاهم بعد حاجة، وفتحت عليهم خيرات الدنيا.

### التوصيات

أما التوصيات التي أرى من الأهمية بمكان الأخذ بها فأجملها فيما يلي :

١ - أوصي جميع المسلمين بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بذلك فيما بينهم؛ إذ نجاه المجتمع بالقيام بتلك الشعيرة، وهلاكه بترك تلك الشعيرة، وما خبر قصة أصحاب السبت عنا ببعيد.

٢ - أوصي أهل التخصص بالحرص على عقد دورات وبرامج لبيان فقه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر حتى لا يقع القائم فيه بأضرار تعود على الْمُحْتَسِبِينَ بالضرر.

وما كان في هذه الدراسة من صواب فمن الله وحده، ومن كان فيها من خطأ ونقص وقصور فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه برآء، وأستغفر الله منه وأتوب إليه، وأسأله ألا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون، وعلى آله وصحبه أجمعين وأسأل الله أن ينفع به الكاتب والقارئ ويجعل له القبول في الأرض، وأن يجعل هذا الكلام شاهداً لنا لا علينا، وأن ينفعنا به يوم يقوم الأشهاد، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى، ومرافقة النَّبِيِّ ﷺ في الجنة، والمسلمين.

\* \* \*

## أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أحكام القرآن، لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- أخبار مكة، للأزرقي، دار الأندلس للنشر - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الأدب المفرد، للبخاري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تطريز رياض الصالحين، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل الحرمللي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- سنن الدارمي، للدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- سنن الدارقطني، للدارقطني، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- السنن الكبرى، للبيهقي، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ - ١٣٥٥هـ.

- السنن الكبرى، للنسائي، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، مكتبة الرشد - السعودية-الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح ابن حبان، لابن حبان البُستي، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- صحيح الأدب المفرد، للألباني، مكتبة الدليل، سنة النشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري، دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري دار الجيل - بيروت.
- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- صحيح وضعيف سنن أبي داود، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين لاشين، دار الشروق الطبعة: الأولى.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، مكتبة القدسي القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاکر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- المصنف، لابن أبي شيبة، دار القبلة - جدة - السعودية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- المطالب العالية، لابن حجر، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى.
- معالم السنن، للخطابي، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

\* \* \*

Al-Khatabi (1932). Ma`alem Al-Sunan (1st ed.). Aleppo: Al-maTba`a Al-`ilmiya.

Al-Tabarani, S. A. Al-Mu'jam Al-Kabir. Cairo: Ibn Taymiyyah.

Al-Nawawi (1392) Al-menahij SharH SaHīH Muslim bin al-Hajaj (2nd ed.).  
Beirut: Dar EHia' Alturath Al`Arabi.

\* \* \*



Maktabat Alqudsi.

Ibn Taymiyyah. Majmū` al-Fatawa. Medina: Mūjama` Almalik Fahad LiTeba`at almūsHaf alsharif.

Alqari, M. A. (2002). Mirqah AlmāfātīH SharH Mishkat AlmaSabiH (1st ed.). Beirut: Dar-elfikr.

Alnīsabouri, H. Almōstadrik `ala AlSaHīHin. Beirut: Dar Alma`refa.

AlTaālisi, A. S. D. (1999). Mūsnad Abi Dawood AlTaālisi (1st ed.). Egypt: Dar Hajr.

Al-MuSalli (1984). Musnad Abi Ya`ali Al-MuSalli (1st ed.) Damascus: Dar Al-Ma'amoun lil turath.

Bin Hanbal, A. (1995). Musnad AHmad (1st ed.) (A. Shaker ed.) Cairo: Dar Al Hadith.

Bin Hanbal, A. (2001). Musnad AHmad (1st ed.). (S. Arnaout ed.) Mo'sasat Alresalah.

Būsairi (1403). Mišbāh al-zujajah fi zawā'id Sunan Ibn Majah (2nd ed.). Beirut: Dar Al`arabiyah.

Al-Sannani, A. H. (1970). Mūsanf Abdul-Rāzzaq (2nd ed.). Beirut: almaktab al'islami.

Ibn Abi Shaybah (2006) AlMūsānf (1st ed.) Jeddah: Dar Al-Qibla. Damascus: Mo'asast `Ulūm alqur'an.

Ibn Hajar. Al-mātalīb al-`aliyah (1st ed.) Dar Al-`Asima lilmashr wa altawzee`. Dar Al-Ghaith lilmashir wa altawzee`.

Al-Nasā'ī, A. A. S. (2007). Sunan Al-Nasā'ī (1st ed.) Beirut: Dar Al Ma`arifa Ielnasher wa altawzee`.

Ibn Battal (2003). SharH SaHīH Al-Bukhari (2nd ed.), Riyadh: maktabt Al-Rashed.

Al-Bosti, I. (1993). SaHīH Ibn Habban (2nd ed.). Beirut: Mō'sasat Al-Risalah.

Al-'albani (1994). SaHīH Al-'Adab Al-Mūfrad, Maktabt al-daleel.

Al-Bukhari, A. (1422) SaHīH al-Bukhari (1st ed.) Beirut: Dar Tuq al-Najat.

Al-'albani. SaHīH al-Jāmi` asaghīr wa Ziyadatuh. Almaktab al'islami.

Al-Nisabouri, A. A. M. SaHīH Muslim. Beirut: Dar al-Jeel.

Al-'Albani (1997). SaHīH wa DHa`eef Sunan Ibn Majah (1st ed.), Riyadh: maktabat Al-Ma`aref.

Al-'Albani (1998). SaHīH wa DHa`eef Sunan Abi Dawood. Riyadh: maktabat Al-Ma`aref.

Al-'Albani (1998). SaHīH wa DHa`eef Sunan al-Tirmidhi. Riyadh: maktabat Al-Ma`aref.

Ibn Hajar (1379). FatH al-Bari. Beirut: Dar al-Ma`rifa.

Lashin, M. S. FatH AlMun`aim sharH SaHīH Muslim (1st ed.). Dar Al-Shoroq.

Al-Zāmākhshari. AlKashaf `an Haqa'iq Ghawamīdh Altanzeel. Beirut: Dar EHia' Alturath Al`Arabi.

Alhaithami (1994). Mūjma` Alzawa'ed wa Manba` Alfawa'ed. Cairo:

## List of References:

### Works cited

Alqura`an alkarām

Ibn al-`Arabi (2003). AHkam Alqur`ān (3rd ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-`ilmiyah.

Azarāqi (1996). Akhbar Makkah. Beirut: Dar al-'Andalūs Publishing.

Al-Bukhari (1989). Al'adab al-mufrad (3rd ed.). Beirut: Dar al-Basha'er al-islamiyah.

IbnHajar (1415). Al-ISabah Fi Tamyeze Al-SaHaba (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-`ilmiyah.

QaDHi `ayaDH (1998). Ikmal Almo`lem bi Fawa'ed almuslim (1st ed.). Egypt: Dar Alwafa' lilmnashr wa altawzee`.

Al-Harimli, F. A. F. (2002). TaTreez RiyaDH Al-SalHeen (1st ed.). Riyadh: Dar Al`asema lilmnashr wa altawzee`.

Darmi (2002). Sunan Al-Darmi (1st ed.). Riyadh: Dar Almughni lilmnashr wa altawzee`.

Al-Qazwini, I. (2009). Sunan Ibn Majah. Dar Al-Risala Al-`Alamiya.

Al-Sijistani, A. Sunan Abi Dawood, Beirut: Dar al-Kitab al-`Arabi.

Al-Darqutni (2004). Sunan Al-Darqutni (1st ed.). Beirut: Mō'sasat Al-Risalah.

Al-Bayhaqi (1352) Al-Sunan Al-Kubra (1st ed.). India: Majlis alm`areef al`omaniya fi Hyderabad.

Al-NasāT (2001). Al-sunan Al-Kubra (1st ed.) Beirut: Mō'sasat Al-Risalah.

The Prophet's Ihtisab "Seeking Allah's Blessings":  
Ranks, Degrees and Rewards

**Dr. Mahmoud bin Abdulhadi Desouki Al-Ezawy**  
Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

**Abstract:**

All praise is due to Allah, and Allah's Peace and Blessings be upon His Final Messenger. Seeking Allah's Blessings, or seeking the reward from Allah, in the Age of prophet Muhammad did not have one way to be applied, because the prophet "peace be upon him" applied his 'ihtisab for Allah blessings to those who committed vices and sins. Furthermore, seeking Allah only has important rankings, degrees and rewards which should be highlighted and clarified. The ranks of changing vices fall in degrees, have characteristics which should be applied to reap their fruits. This is what we will explore in the current study.

The rationale for the current study is seen in the following:

It is important to know that the seeker of ihtisab, its jurisprudence, and the fact that it does not fall in one grade, especially in our times when understanding ihtisab has been muddled up.

We need to take Prophet Muhammad's acts as a model to follow in seeking Allah's blessings, which can be achieved only by highlighting the Prophet's examples and extracting what is to be learned from them.

There is a need to collect what is related to the understanding of the prophet's seeking for Allah's blessings from the prophet's biographies and Sunnah literature in one volume.

The current study aims at the following: first getting acquainted with the aspect of the Prophet's life which relates to the ranks, grades and fruit of seeking Allah's blessings. The second aim is to clarify the Prophet's seeking of Allah's blessings in changing vices, illustrating that he did not follow one grade or one case but a number of ranks and degrees.

Keywords: ihtisab (seeking Allah's blessings), Prophet Muhammad biography, Prophet Muhammad's model. Ranks and degrees of ihtisab.

### **III. Documentation:**

1. Footnotes should be placed on the footer area of each page respectively.
2. Sources and references must be listed at the end.
- 3 - Sample images of the verified/edited manuscript are inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research are included in appendices.

**IV.** In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of research.

**V.** Foreign names of authors are transliterated in Arabic alphabet followed by the Latin characters between brackets). Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

**VI.** Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

**VII.** The modified article should be returned on a CD-ROM or via an e-mail to the journal.

**VIII.** Rejected article will not be returned to authors.

**IX.** Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of his article.

### **Address of the journal:**

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Shari'ah Studies:

Riyadh, 11432 PO Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

**Email : [islamicjournal@imamu.edu.sa](mailto:islamicjournal@imamu.edu.sa)**

## Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Shari'ah Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research in the campus that publishes scientific research according to the following regulations:

### I. Acceptance Criteria:


1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying to the established research approaches, tools and methodologies in the respective discipline.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

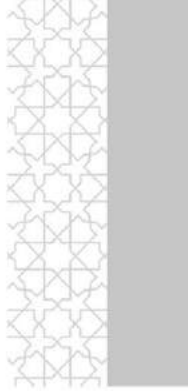
### II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and he won't publish the work before a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 60 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 13-font size for notes, with single line spacing.
5. Three copies must be submitted to the journal with an abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words in size.



## **Editor –in- Chief**

- **Prof. Mustafa Ibrahim Adee**  
Department of Islamic Studies, Usmanu Danfodiyo  
University, Nigeria
  
  - **Prof. Sa`eed Abdullah Hareb**  
Deputy Vice-Chancellor for Community Affairs -UAE  
University
  
  - **Prof. Abdulaziz Ibn Abdullah Al-Hulayl**  
Professor -Department of Sunnah and its Sciences -College  
of Fundamentals of Religion-Al-Imam Muhammad Ibn Saud  
Islamic University
  
  - **Prof. Abdulfattah Muhammad Idris**  
Department of Comparative Jurisprudence –Faculty of Sharia  
and Law Al-Azhar University
  
  - **Prof. Ali Ibn Muhammad Al-Suwailem**  
Professor in the Department of Creed and Contemporary  
Doctrines, College of Fundamentals of Religion
  
  - **Dr. Khaled Ibn Rashed Al-Abdan**  
Associate Professor -Supreme Institute for Dawah and Ihtisab-  
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University
  
  - **Dr. Hisham Abdulaziz Muhammad Al-Sharqawy**  
Secretary Editor of the Journal of Sharia Sciences, Deanship  
of Scientific Research
- 



Chief Administrator

**Dr. Mahmoud Ibn Sulaiman Almahmoud**

Acting / Rector of The University

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief

**Prof. Ibrahim Ibn Muhammad Qasim Al-Mayman**

Prof. at the Higher institute of Justice

Managing editor

**Dr. Ahmad Ibn Abdulrahman Al-Rasheed**

Associate Professor, Department of Fundamentals of  
Jurisprudence, College of Shari'ah

